

ذخائر العرب

٣٩

المنتخب
من

شعر ابن زاكور

عمل

عبدالله كنون الحسنى



دار المغارف بمطرب

١٩٦٦

المنتخب
من

شعرا بن زاكور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

قال عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ،

وإنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ »

في الأدب المغربي

ظَلَّتِ الآدابُ الْمَغْرِبِيَّةُ مَنْسِيَّةً طَوِيلَةَ الثَّلَاثَةِ عَشْرَ قُرُونًا مَاضِيَةً ، وَكَانَ هُنَاكَ عَامِلَانِ يَتَعَاوَنَانِ عَلَى بَقَائِهَا مَغْمُورَةٌ لَا تَلَافَتْ نَظَرَ أَحَدٍ وَلَا تَسْتَشِيرُ انْتِمَامَ بَاحِثٍ .

أولهما : انصراف المؤرخين المغاربة سواء منهم مؤرّخو السياسة ومؤرّخو العلم عن تسجيل الناحية الأدبية من تاريخ الفكر المغربي وإعطائها ما تستحقّه من العناية والدرس والتمحيص ! بل وتعمد إغفالها ، وغمطها وهضمها ، فبينما نجد الألقاب الفخمة والحلى الضخمة تُخلع على أبسط الناس تفكيراً وفهماً وأقلّهم معرفةً وتحصيلاً ، نرى بالعكس من ذلك أهل الأدب والبيان ، وذوى الملكة واللّسان ، إذا سمح غرورُ كُتّاب الطبقات بذكرهم ! وقليلًا ما يسمح بذلك ! : أوصافهم ضئيلة ونعوتهم هزيلة لا تزيد على « الأريب اللبيب والحاذاق النجيب » وما إليها ، ثم في غالب الأحيان يقع الاختصار على أسمائهم من غير إلمامٍ بتاريخ الولادة ولا الوفاة ، فأحرى النشأة والحياة ،

وأحسنهم حظاً وأوفاهم قسماً مَنْ يثبتون له قطعة من شعره أو نُبذة من كلامه تكون في الغالب الأعمُّ مُحرفة مصحفة لا تُقرأ إلا بمشقة وتعب .

فماذا يكون في هذا الإهمال من التشجيع والتشيط للأدب وأهله ؟

ثانيهما اختلاط تاريخ أدب المغرب والأندلس وتعود الناس على نسبة كل فضل وعبقريّة للجزيرة ، بداعي النبوغ العظيم الذي أبداه أهلها في العلوم والآداب ، ثمَّ فقدان ذلك بفقدانها وضياعه بضياعها ، فصار الحنين إلى عهد وصالها والتأسف على ما كان من فراقها يبعثان الناس على اعتبارها وحدها مصدر النبوغ والعبقريّة وينسبون إليها الفضل كلّهُ ، ما كان لها حقيقةً وما كان لغيرها من أهل هذه العُدوة بالخصوص في المغرب الثلاثة .

ولم يكن المؤرخون فيما مضى يميّزون بين أهل الأقطار المختلفة وأصولهم وأجناسهم ، بل كلُّ مَنْ حلَّ في بلدٍ سواء أقام بها أو مرَّ عليها مُروراً فهو عندهم من أهلها والمنسوبين إليها ! وبذلك دَخَلَ كثيرٌ من النبغاء المغاربة في عداد رجال الأندلس وعدُّوا من مفاخرها وحمل بعضهم أسماء النسبة إلى بلادها المختلفة ! كالقُرطبي والأشبيلي والغرناطي ! بينما همَّ إنما كانوا موظفين فيها أو ذهبوا إليها سفراء أو نحو ذلك ، وخصوصاً في العصر الموحدى .

ولا نزال نقف في الفينة بعد الفينة على أفراد ممَّن أدمجهم التاريخ الأندلسي في أبناء الجزيرة وهمَّ من أصلاء أبناء المغرب الذين يحقُّ بهم الافتخار ممَّا يزيدنا إيماناً بهذه الحقيقة الثابتة .

وعلى كلِّ حال فقد عرف أبناء المغرب أخيراً هذا الأمر وأخذت الأقلامُ المثقفةُ تعالجه من شتى النواحي ، وصدرت بحوثٌ مهمّةٌ في هذه القضية ! وكان لهذا العاجز اهتمامٌ أولىُّ بذلك ، حيث عكف بضع سنين على جمع

ما تفرق من الآثار الأدبية المغربية الخالصة ودُرِس أطوار الفكر المغربي وتميز الشخصيات المغربية الكبيرة ! ثم أخرج ذلك للناس في شكل كتاب جامعٍ مُبَوَّب بحسب المباحث المهمة ومقسَّم على العصور التاريخية ، هو كتاب « النبوغ المغربي » المعروف ، وقد تلقته الدوائر العلمية النزيهة في الشرق والغرب بقبول حسن واعتبرته بعثاً لتاريخ المغرب الفكري أو وَضْعاً له على الأصح ، ثم نُقل إلى اللغة الإسبانية ونُشِرَ سنة ١٩٣٩ ، وإلى الإنجليزية سنة ١٩٤٠ ، ونال المؤلف عليه لقب ! الدكتوراة الفخرية ! من جامعة مدريد المركزية في دجنبر عام ١٩٣٩

ولا تنتهى أعمال الإحياء للأدب المغربي عند هذا الحد ، فهناك مشاريع مهمة ستجلى عن نتائج طيبة في هذا الباب متى وجدت الإقبال الذى تستحقه من شباب المغرب المتعطش إلى معرفة تاريخ بلاده ، ومفاخر أجداده ، والتشجيع الواجب ممن بيدهم مقاليد الأمور إذا كانوا يريدون حقيقة خدمة الثقافة المغربية والتاريخ العام لهذا القطر .

ومن جملة هذه الأعمال نشر هذا المنتخب من شعر ابن زاكور ، فإنه لن يُخدم الأدب المغربي بمثل وضع مجموعات منتخبة من آثار أعلامه بين أيدي الباحثين والشباب ، فيجد أولئك مادةً كاملةً تُعينهم على مواصلة أبحاثهم ويجد هولاء وسيلةً جديدةً للمتاع والمباهاة !

ولنقدّم بين يدي الشعر ترجمة الشاعر ، فإن معرفة القائل مما يُعين على فهم القول وتقديره بقدره .

ترجمة ابن زاكور

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن زاكور الفاسي ، من عائلة ابن زاكور الشهيرة بفاس : العالمُ الأديبُ الواعية ، مفخرةُ عصره وجيله ، ونابعةٌ ببلده وقبيله ، كان كاتباً وشاعراً ولغوياً ومؤلفاً من أشهر مؤلّفي الآداب العربيّة من المغاربة .

وُلِدَ ونشأ بفاس وأخذ عن جلة مشايخها : كالشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وأحمد بن الحاج والقاضي بردلة وأبي عبد الله القُسمطيني وعبد السلام القادري وغيرهم ، كما أخذ بها عن أبي علي اليوسى لما قديم إليها سنة ١٠٩٥ ، وجمراً كش عن أبي العباس العطار ، فقد أخذ عنه أرجوزة ابن مينا في الطبّ وقد استدعى منه قراءتها بآبيات يقول في أولها :

ماذا على العطار لو أهدي لنا نفحاته من جونة الأرجوزة ؟

وأخذ بتطوان عن رجلها الفذّ وإمامها الأوحد الشيخ علي بركة ، وبالجزائر عن مفتيها الشيخ محمد بن سعيد قدورة والشيخ عمر المانجلاتي ومحمد بن عبد المؤمن الشريف وغيرهم .

أمّا الشيخ الإمام عبد القادر الفاسي فلم يأخذ عنه إلّا تبرّكاً بالجلوس بين يديه في زمن الصبا خلافاً لما عند بعضهم ، كما أخبر بذلك عن نفسه في رحلته حيث قال : « فاءاً البحر الزاخر ، والطود الشامخ الراسي ، الحبر الماهر : مولانا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه وأرضاه ، وبليّتم المغفرة والرضوان أسقاه ، فقد كنتُ أجلسُ لسماعه متبرّكاً ، أيّام

كنتُ في أحلام الصبا مرتبكاً ، وأزورُ مجلسه العالى ، وجيد نجابتى غير
حالى ، وأتيمّنُ في ابتداء المتون ، بخط- يده الميمون ، أسأل الله عليه من
شآبيب الرحمة كل هتون .»

قُلْتُ : ومن هنا يمكنُ أن نأخذَ بالتقريب تاريخَ ولادته المجهولة ، فإنَّ
الشيخَ عبد القادر الفاسى توفى سنة ١٠٩١ ، فلو فرضنا أنَّه كان حينذاك
في سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وهى السنُّ المقدَّرةُ لنجباءِ الأولاد الذين
يفرغون من حفظ القرآن ويعكفون على قراءة المتون العلمية ، لكانت ولادته
فيما بعد ١٠٧٥ ، وربما يؤكِّد ذلك أنَّه توفى مختصراً في ٢٠ محرم فاتح
عام ١١٢٠ كما ينبىءُ عن ذلك قول ابن الطيّب العَلَمى في رثائه :

قضى أخو النظم والنثر ابن زاكورٍ فجادَ دمعى بمنظوم ومنثورٍ
وامتدَّ شوقى بمقصودِ الحياة له ما حيلتى بين ممدود ومقصودٍ؟

فقلوه «مقصودِ الحياة له» دليلٌ على اختصاره ، واختطاف المنون له
في عنفوان العمر وابتداه ، أى حوالى الأربعين أو بعدها بقليل .

ومع ذلك فإنَّه ما مرَّت سنتان على تاريخ وفاة الإمام عبد القادر الفاسى
الذى وصف نفسه فيه يعطل جيد نجابته ، حتى كان ينظم الشعر الجيد
في مدح أشياخه ويتحجّنُ فرضَ الخمات المتوالية للمتون العلمية فينشدُ على
عادة نُجباءِ التلاميذ قصائدٍ بليغةً في الموضوع يُعلن بها عن نفسه قبلما
يشيد بمدح شيوخه .

فعرِفَت من ذلك الحين مكانته في الأدب واشتهر نبوغه في نظم الشعر
وصار ممّن يُشارُ إليهم بالبنان ، بل إنَّ في ديوانه ما يدلُّ على تَفَتُّق قريحته
بالنظم قبل هذا الإبان وهى قطعة شعر قالها بتطوان في سنة ١٠٩٢ يستعيرُ
بها كتاباً من أحد الأدباء .

وقد رأيت أنَّه رحل إلى تطوان والجزائر ومرّاكش وأخذ عمّن كان بها من

أهل العلم ، ونزید أنَّ رحلاته إلى تطوان كانت قد تکرَّرت ، وإن كانت هذه التي تاریخها في عام ١٠٩٢ هـی أولها على ما نطن ، ثم رحل إليها في سنة ١٠٩٣ ومنها إلى الجزائر في السنة نفسها وبقي بها إلى رجب من عام ١٠٩٤ ثم عاد إلى تطوان وكان بها في شعبان من العام نفسه ولا ندري : هل رحل إليها بعد ذلك أم لا ؟ لكن الذي لا بد من التنبيه عليه هو أنَّ رحلاته هذه لم يكن الباعث الأول عليها هو طلب العلم كما قد يُظن ، بل إنَّ هناك باعثاً عائلياً هو الذي كان يزعج أديبنا للترحل في سنه المبكرة إلى تطوان كما يدل عليه قوله في الرحلة بعد رجوعه من الجزائر «ولمّا حللت بتطوان حرسها الله وساعدني جدی ، وزرتُ ضريح جدی ، وشمتُ غرر أهل ودی ، انقشعت سحائب وجدی ، وأنفقتُ فيها من الشعر على قدر وجدی . . . : » فمن هذه الفقرة نعلم أنَّه كان له بتطوان روابط عائلية ووشائج أهلية هي التي كانت تبعثه حيناً بعد حين على تعهد تلك الديار وقصد ذلك المزار كما لا يبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الجزائر أيضاً ، لأنَّ أولاد ابن زاكور كانوا بها موجودين ، وهو نفسه لا يذكر في رحلته أنَّه خرج بقصد طلب العلم وإنما يقول : «لما حلَّ ببُلْد كذا أخذ عن فلان وفلان إلخ » .

وعلى كُلِّ حالٍ فقد حُبَّبَ إليه بعد ذلك الارتحال وسهَّلَ عليه الانتقال ، فصار جواباً أقطار ، وجِلَفَ أسفار ، وأكثر ما كان يشدُّ الرحلة لزيارة أضرحة الصالحين ومشاهد العارفين كالشيخ عبد السلام بن مشيش وأبي يعزى ومولاي إدريس ، وكثيرين سواهم ممَّن يطول ذكرهم ، وله فيهم القصائد المحبرة والمدائح المنورة .

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذه الرحلات كانت من العوامل القويَّة في تكوين

شخصية المترجم وتكميل نفسه بما لم يكن له لو اقتصر على الأخذ ببلده ولزم كسر بيته كما يفعل كثير من طلبة العلم في زمنه .

ففضلاً على أنه درس علوماً جمّة على كثير من الأئمة فإنه قد وسّع دائرة مداركه بمشاهداته في تلك البلاد وما جرياته ، فهذه أوصافه « لكيتان » من المنازه البديعة بتطوان ، وأوصافه للبحر وأمواجه ، في حالتي هدوئه وهياجه ، وكذا وصفه لهجوم « العدو الكافر على بلاد الجزائر » وكل ما صدر عنه من شعر حزين في الشوق والحنين إلى تلك المعاهد وإخوانه بها ، إنما ذلك من بركات هذه الحركات ونتائجها المحسوسات .

ثم هناك عامل آخر أثر جداً في توجيهه الأدبي وطبعه بهذا الطابع القوى الذي ظهر به كعالم لغوي يشرح ديوان الحماسة ولائمة العرب ويفسر غريبهما وإشارتهما وأمثالهما إلى غير ذلك من نظم عدة قصائد على مذاهب شعراء البادية ومن نحا نحوهم من علماء اللغة مرتكباً فيها أنواع الغريب وملتزماً للقوافي الصعبة ، كالثاء المثلثة والذال المعجمة ونحوهما ، هذا العامل هو اتصاله بأبي على اليوسى وأخذه عنه وكرعه من حياض معارفه الأدبية واللغوية ونسجه على منواله في شعره ، فإن أبا على كان ريان من علوم اللغة والأدب ناسلاً إلى فنونهما من كل حذب وقد أتى في شعره من ذلك بكل غريب وامتلاً ديوانه بما فيه متعة للغوى والأديب ، وحسبك بداليتة « عرج بمنعرج الهضاب » فإنها قد احتوت على فنون كثيرة من علم الأدب فضلاً عن اللغة ، وقد كان مترجمنا معجباً بها وقرأها على ناظمها ومدحها غير ما مرة ، فكيف لا يتأثر بأسلوبها ويضرب على نغمة صاحبها وهو يملأ من نفسه مكاناً عظيماً وينزل من قلبه منزلاً كريماً ؟

بل لقد أشار هو نفسه إلى هذا التأثير العظيم باليوسى وأنه فتح عينيه

على ما لم يكن رآه من قبل إذ غاية أمره أنه درس على مشايخ أعظم ما يحسنون
هو علم الفقه وما منه بسبيل ، ومن كان له منهم نظرٌ في علم البلاغة
والعربية فحسبه الإدراك والفهم لا التذوق والتأثر إلى حدّ الإنتاج والإنشاء
كما هو الحال في أبي علي اليوسى ، وفرقٌ عظيمٌ بين مَنْ يفهم الشيء ويذوقه
ومَنْ يفهمه فقط . ! هذا في نفسه فأحرى في غيره .

وهالك قول ابن زاكور في اليوسى :

«وَأَمَّا حَبْرُ الْأَحْبَارِ ، وَجُهَيْنَةُ الْأَخْبَارِ ، وَزَيْنُ الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ ،
العديم النظير في سائر الأقطار ، مَنْ أَسْعَدَ بِمَطَالَعِ أَنْوَارِهِ كَوَاكِبَ نُحُوسَى ،
مولانا أبو علي سيدى الحسن بن مسعود اليوسى ، أَطَالَ اللَّهُ مَدَّتَهُ ، وَحَمَى
مِنْ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ حَوَازَتَهُ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ لِهَذِهِ
الْحَضْرَةِ ، وَأَعَارَهَا بِقُدُومِهِ ابْتِهَاجًا وَنُصْرَةً . . . فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، وَنَقَعَ
بِهَا لِكُلِّ ظِمَانٍ إِلَى وَرْدِهِ أَوَامًا ، وَأَعَادَ نِيرَانَ الْجَوَانِحِ عَلَى الْأَفْئِدَةِ بَرْدًا
وَسَلَامًا ، فَلَا زَمْتُ مِنْهُ بِحَرًّا زَاخِرًا ، وَنَظْمْتُ مِنْ نَفِيسِ فَوَائِدِهِ لَوْلَا فَاخِرًا : »

ومن قوله فيه نظمًا والشاهد في الأبيات الأخيرة :

علامة الدنيا بلا ثنيا ومصقعهما المُسَدَّد
بحرُ الشريعة والحقيقة فاض فيضاً ليس يُعهد
بين الهدى ومقاله ، وفعاله حِلْفٌ موَكَّد
مَنْ ضلَّ عَنْ أَعْلَامِهِ ، لَمْ يَدْرِ كَيْفَ اللَّهُ يُعْبَد
لَا يَعْرِجَنَّ إِلَى الْعُلَا ، مَنْ لَمْ يَلْذُ مِنْهُ بِمِصْعَدٍ
لَا يَفْتَحَنَّ بَابَ الْمُتَى ، مَنْ لَمْ يَفْزَمْ مِنْهُ بِمِجْلَدٍ
يَفْرِى دِيَا جِيرَ الْهَوَى ، مَنْ يَقْتَدَى مِنْهُ بِفِرْقَدٍ

ويُجَارُّ من جمع العدا ، مَنْ ينتمى منه لمفرد

إلى آخرها وهي طويلة ، وغيرها كثيرٌ ممَّا صرَّح فيه بأنَّه مدينٌ له بعِلْمِه وعَمَلِه وأنَّه من مشكاة نوره اقتبس وبنفحات هديه انتعش بعد ما انتكس .
ثم بنظرة واحدة في ديوانيهما ومقارنة بسيطة بين شعريهما يقف الباحث على هذا التأثير المنوَّه عنه ، كما أنَّ مَنْ درس شعر ابن الطيب العَلَمى وصاحبه الشرق يرى كثيراً من أثر ابن زاكور فيهما بل إنَّ سَفَرُ الأوَّل إلى تطوان والثانى إلى الجزائر ربَّما كان من الاقتداء بابن زاكور وتتبع خطاه .

إنَّما ابن الطيب العَلَمى وصاحبه الشرق ألَمْ ينهجا نهج ابن زاكور في ارتكاب الغريب ولم يشدَّا عن ارتكاب مالوف الناس في وقتها كما أنَّ ابن زاكور نفسه لم يكن يغلو في ذلك المذهب غلو اليوسى وإنَّما له فيه آثارٌ معدودةٌ لعلَّه كان يريد أن يدلَّ بها على تضلُّعه من متن اللغة أكثر ممَّا يريد لها لذاتها وبعد ذلك يبقَى شعره في غالبه رقيقاً سهلاً مصفى مهذباً كما ستراه .
وجُمْلَةُ القول أنَّ ابنَ زاكور درس الفقه والحديث والأصول والتاريخ والأدب ، وبرز في علوم الأدب أكثر من غيرها وشارك في تكوينه عوامل مختلفة ، وكان ذا ملكةٍ مطبوعةٍ على الإنتاج وحافظةٍ قويَّةٍ ، حتَّى حكى القادري في « النشر » أنَّه كان يحفظ عدَّة تأليف منها : تلخيص المفتاح ، وجمع الجوامع ومختصر خليل ، وكافية ابن مالك وتسهيله ، وكافية ابن الحاجب ، وكلُّ هذا ممَّا مكَّن له أن يملأ في عالم الأدب فراغاً لم يُوجَد مَنْ يشغله منذ وفاة عبد العزيز الفشتالى ويؤدَّى رسالته في إحياء علوم العربية التى بقيت مهملة منذ قرن كامل .

وقد عرف له معاصروه ذلك ولم يجحدوه فضله ، فممَّا حلَّاه به الشيخ على

بركة في إجازته له قوله :

« مَنْ شَبَّ به زمان الأدب بعد الهرم ، وهبَّ به أوان المجد والحسب وقد
أشقى على العدم ، الذي ركض في مضامير البلاغة صافينات جياده ، وعقد
شُدُور البراعة على لبات عصره وأجياده : الجهبذ الأريب ، المصقع الأديب ،
الثقف اللقن ، المتفنن المشارك المتقن ، الفقيه النبيه ، الزكى الوجيه ،
ذو الفضل المعروف غير المنكور ، أبو عبد الله سيدى محمد بن قاسم بن
محمد بن عبد الواحد بن زاكور إلخ » .

ويعجبني تحلية ابن الطيّب العَلَمى له في « الأنيس المطرب » وقد
اشتملت على أوصاف شتى وتضمنت الإشارة إلى كامل العلوم ، التي كان
لابن زاكور فيها مقام معلوم ، وهى :

« وحيد البلاغة ، وفريد الصياغة ، الذى أرسخ فى أرض الفصاحة أقدامه ،
وأكثرَ وثوبه على حلِّ المشكلات وإقدامه ، فتصرف فى الإنشاء ، وعطف
إنشاءه على الاخبار وأخباره على الإنشاء ، وقارع الرجال ، فى ميادين
الارتجال ، وثار فى معترك الجدال ، ما شاء وجال ، فهو الذى باسمه فى الأوان
هتِف ، وهو الذى يعرف فى كلِّ العلوم من أين أكل الكتِف ، جلس
للإقراء فى شبابه ، فأتى بيت التدريس من بابيه ، وتاسى فى الصلاح
بأربابه ، ولم يصب لربوبه ولا ربابه ، فتكلَّم فى المذهب ، وذهب فى
التحقيق كلِّ مذهب ، وأوجز ما شاء وأسهب ، وطاول فى الفروع ابن
القاسم وأسهب ، وخاض فى المعقول ، فبهر العقول ، ووقف التحقيق عند
ما يقول ، ونصنر فى السيرة ، وأحكم القرآن وتفسيره ، وحرر (حرز أمانيه)
و (تيسيره) ، ونجا فى الرواية ، من الغواية ، وألف فى الأصول ، ما لم

يزل به بين الأقران يصول ، وقام للعروض ، بالنوافل والفروض ، ففكك منه الدوائر ، وسلم فيه من الدوائر ، واختار المراقبة فبرى من المعاقبة .

وقد اشتمل هذا الكلام على نقطتين اثنتين نعتقد أن لهما أيضاً دخلاً كبيراً في تكييف حياته الأدبية ، وهما : اشتغاله بالتدريس ونسكه ، فمما لا شك فيه أن التدريس يحول دون قضاء كثير من المآرب لاستغراقه من وقت المدرس أكثره ، والأدب وخصوصاً الشعر يقتضى الفراغ والانقطاع إليه بالكلية وقد شكّا ابن زاكور في إحدى قصائده من ذلك معترداً عن عدم إجادته القول بتبليبل فكره لاشتغاله بالتدريس .

وأما النسك والنزوع إلى حياة الزهد والورع فمما لا حاجة إلى بيان أثره في صدّ الأديب عن بلوغ أغراضه ، وإمساكه عن كثير من الأعمال والأقوال وإعراضه ، وتجدد هذا الأمر واضحاً بيناً في ديوان ابن زاكور حيث يُكثر من قوله في قصائد الغزل والنسيب :

« وقال على لسان من يلقى به ذلك » أو « وقال في زمن صباه » ونحو ذلك ، بل صرح في خطبة الديوان بأن ما وقع له من ذلك إنما هو محض صناعة ومحاكاة لأغراض الأدباء محذراً قارئه أن يظن به شراً ، ويحمل بسوء الاعتقاد فيه وزراً ، قال :

« وكثيراً ما أكنى فيه بالمُدام والراح ، عن الطرب والارتياح ، وما يردُّ على القلب من الأفراح ، فلا يتوهّم من لم يدر الصباح من المصباح ، وقد رأى ما عارضنا به ” شق جيب الليل عن نحر الصباح “ أن المراد التي تطلع في بروج الأقداح ، ويدور بها فلك الراح ، فيلزمى بمقتضى بلادته وأنا البريء أقبح جناح ! إذ تلك لا يصفها ، إلا من يعرفها ، ولا يذكرها ،

إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَهُ مِنَ الْأَنْذَالِ لَا يُنْكِرُهَا ! وَإِنَّمَا فَعَلْتُ مَا هُوَ بَيْنَ الْأَفْضَلِ
مَطْرُوقٍ ، وَيَعْمَرُ بِهِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْمَحَاسِنِ أَيْ سُوقٍ ، وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ مَنْ
كَانَ قَبْلُنَا ، نُحَسِّنُ بِبَدِيعِهِمْ كَلَامَنَا وَنَطْرُزُ بِاسْتِعَارَتِهِمْ قَوْلَنَا ، أَلَا وَلِيَشْهَدَ
عَلَى ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، أَنَّنِي كُلَّمَا وَصَفْتُ حُسْنًا أَوْ شَبَّيْتُ فِي الظَّاهِرِ
بِمَا يَفْنَى ، فَالْمَقْصُودُ إِنْ لَمْ يَصْلَحْ كَوْنُهُ الْمَعْنَى ، إِنَّمَا هُوَ التَّدْرِيبُ وَالِارْتِيَاضُ
وَتَصَرُّفُ الْفِكْرِ فِي سَائِرِ الْأَغْرَاضِ « إلخ .

فهذان أمران لولاهما لكان يجيئنا من ابن زاكور نابغة فذُّ يصحُّ أَنْ
نُطَاوِلَ بِهِ الْأَنْدَلُسَ وَمَا أَنْتَجَتْ ، وَالْعِرَاقَ وَمَا أَنْجَبَتْ ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ
خَلَّفَ ابْنُ زَاكُورٍ دِيوَانًا ضَخْمًا وَعَوَّضَ مَا نَحَرَّجَ عَنْهُ مِنْ مَوْضُوعَاتِ التَّشْبِيبِ
وَالْخَمْرِيَّاتِ ، بِمَوْشِحَاتِهِ الْعَبْقَرِيَّاتِ ، وَبِدَائِعِهِ الرَّبِيعِيَّاتِ وَالزَّهْرِيَّاتِ .

وإلى هنا نقف الكلام عن ابن زاكور وحياته وننصرف إلى النظر في
آثاره ومنتجاته ، وَقَدْ مَرَّ بِنَا أَنَّهُ بَدَأَ حَيَاتِهِ الْأَوَّلِيَّةَ كَشَاعِرٍ فِي سَنِ مُبَكَّرَةٍ
جَدًّا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ وَالْخَامِسَةِ عَشْرَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ ، وَالْقِصَائِدُ الَّتِي
قَالَهَا فِي هَذَا الطَّوَرِ مِنْ حَيَاتِهِ لَا تَقُلُّ عَنْ نَظَائِرِهَا الَّتِي قَالَهَا فِيمَا بَعْدَ نُضْجِهِ
وَتَفْتَحُ ذَهَنَهُ وَكَمَا أَنَّ لَهُ فِي هَذَا الطَّوَرِ بَعْضَ الْأَقْوَالِ الْبِدَائِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ
عَلَى التَّكَلُّفِ وَتُظْهِرُ فِيهَا آثَارَ الصَّنْعَةِ فَكَذَلِكَ نَجِدُ مِثْلَهَا فِي آخِرِ مَا قَالَ ،
بَلْ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا سِدَاجَةً وَأَعْظَمُ مِنْهَا هَلْهَلَةً مِمَّا لَا تَفْسِيرَ لَهُ عِنْدَنَا إِلَّا
الْوُلُوعَ بِإِثْبَاتِ جَمِيعِ مَا صَدَرَ عَنِ الشَّاعِرِ فِي جَدِّهِ وَهَزَلِهِ ، وَحَالَةَ جَمْعِ فِكْرِهِ
وَتَفَرُّقِهِ ضَنْبًا بِآثَارِهِ عَلَى الضَّبَاعِ وَعَدَمِ إِسَاءَةِ ظَنِّ بِالْإِحْسَانِ ! كَمَا هُوَ الْوَاجِبُ
حَتَّى لَا يَخْلُصَ لَهُ إِلَّا مَا سَلِمَ مِنَ النِّزَاعِ .

وهذا الغلط . قد استحوذ على كثير من أدبائنا ، فلذلك جاءت دواوينهم
مُشْحُونَةٌ بِالْغَثِّ وَالسَّمِينِ ، وَلَمْ يُمْكِنِ الْفَرْقَ بَيْنَ الرَّخِيسِ مِنْهَا وَالثَّمِينِ ،

وبسبب ذلك قد عملنا هذا المنتخب من شعر ابن زاكور ومثله من شعر اليوسى .

أما فيما عدا هذه الأقوال التي يجب الإغضاء عنها فإن له آثاراً بديعةً حقاً تنم عن رقة طبعه وسلامة ذوقه في الصغر والكبر وفي أول عهده بالنظم وآخره .

وكما أنه بكر بقول الشعر الجيد ، بكر بكتابة النثر الجيد كما يدلّ عليه تأليفه لرحلته سنة ١٠٩٤ وهى من النثر المسجوع القوى كما ستراه حيناً تاتى ببعض الفقرات منها

* وعليه فهو منذ نعومة أظفاره قد اشتغل بالكتابة والشعر ، ولذلك خلف هذه المجموعة القيّمة من التآليف مع قصر عمره وتخلّف العصر بأبنائه عن درك تلك الغايات وتأخره .

وهذا تعداد ما أبقيه من التآليف بأسمائها الأدبية :

١ - عنوان النفاسة فى شرح ديوان الحماسة ، ثلاثة أسفار (مخطوط)

٢ - مقباس الفوائد فى شرح ما خفى من القلائد ، قلائد بن خاقان

(مخطوط)

٣ - الصنيع البديع فى شرح الحلية ذات البديع ، يعنى بديعية الصفى الحلى .

٤ - الجود بالموجود فى شرح المقصور والممدود : لابن مالك .

٥ - تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب فى معرفة لامية العرب

(مطبوع) .

٦ - النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر ما راق من مقاصد الخزرجية (مخطوط) .

٧ - المُعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين ، جمع به بين كتابي القرطاس وروضة النسرين باختصار كبير (مطبوع) .

٨ - الاستشفاء من الألم في التلذذ بذكر صاحب العلم ، يعنى به الشيخ عبد السلام بن مشيش ذكر فيه ما له من بنين وإخوة وأعمام وبين محال الشرفاء وأهلها .

٩ - أنفع الوسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل .

١٠ - الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض ، وهو ديوانه (مخطوط) .

١١ - الروضة الجنية في ضبط السنة الشمسية ، وهى أرجوزة في التوقيت وحساب أيام العام .

١٢ - معراج الوصول إلى سماوات الأصول ، نظم فيه الورقات لإمام الحرمين .

١٣ - الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول .

١٤ - الدرّة المكنوزة في تذييل الأرجوزة ، يعنى أرجوزة ابن سيناء في الطب .

١٥ - الحلة السيرة في حديث البراء .

١٦ - نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان وهى رحلته المطبوعة .

نثره :

إن نثر ابن زاكور نوعان :

نثرٌ علمي وهو هذا الذي تجده في كتبه العلمية كشرح القلائد ولامية العرب والمغرب المبين ، وهو مرسلٌ بَيِّنٌ فصيح الألفاظ. يدلُّ على تمكنه من ناصية اللغة وقدرته على التعبير عن أغراضه بكل دقة .

ونثرٌ فنيٌّ وهو ما نجدُه في رحلته ورسائله وخُطبه ، ويمتاز بالسجع الموائ من غير تكلف وتفنُّن في مطالعه ومقاطعه وعدم تقيده فيه بالنماذج الرسمية والرواسم (الكليشيات) المحفوظة التي بسببها صار كثير من الكتاب ليس لهم أسلوبٌ خاصٌّ بهم ، وإنَّما هي عبارات مشتركة وتراثٌ موزعٌ فيما بينهم جميعاً ، فتجد كتاباتهم مُتشابهة وقريباً بعضها من بعض لنقل اللاحق منهم عن السابق ونسج الآخر على منوال الأوَّل .

فهذه خطبةٌ شرح لامية العرب ، انظر كيف بدأها وتخلَّص لذكر مقصوده من غير أن يُبالى بما اصطلاح عليه أهل عصره من التقاليد كالشهادة وتأسيس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقصر الانتقال على عبارة : (وبعد) أو (أما بعد) فضلاً عما أتى به فيها من التعليل والتفريع والاعتراض الذي يدلُّ على أنَّه كان يكتب كما يريدُ هو كما يَراؤ منه ! وهي :

« الحمد لله الذي جعل معرفة كلام العرب ، من أقوى دواعي الطرب ، من أجل أنَّه أحلى من الضرب ، على أنَّ الناس في ذوقه مُتفاوِثو الرتب ، وصلى الله على سيدنا محمد أفصح العرب قاطبة ، فإنَّه بلغ مشارق البيان ومغاريبه ، واسترق ساريه وساربه فلو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل فصاحته ، ما استطاعوا ولو ظاهر صاحبٌ منهم صاحبه وكانت نسبة كلامهم من كلامه ، عليه صلاة الله وعلى آله وأزكى سلامه ، وإن قادوا

البيان بخطامه ، وأفرغوا السحر في قالب نشره ونظامه ، نسبة التبر من التبر والخشب من الذهب ، ومع هذا فإن معرفة كلامهم وسيلة إلى معرفة كلامه وما أنزل عليه وسبب ، فكانت لذلك من أعظم الوسائل وأجل القرب ، فلذلك شرحت لامية العرب ، وأجاستها من البيان على مُرتَقَب ، وكشفت عن وجهها الذى طالما قد انتقب « إلخ .

ويطول بنا الكلام لو نقلنا من مقاله كل ما يليق بهذا المقام ، فلنقتصر على هذا ولنأت بقطعة بديعة من نشره الفنى فى وصف متنزه « كيتان ، بتطوان » نقلًا عن رحلته ، قال :

« وهذا الكيتان : من أجمل المواضع ، وأفضل المتنزهات والمصانع ، تطرد خلال رياضه أنهار ، تجرى فى الصباح بذائب اللجين وفى الأصيل برائق النصار ، وتسجع بأدواحه أطيّار ، لا تُدانيها نغمات الأوتار ، فقد اعتدل هواؤه ، واشتمل بالابتهاج بهأوه ، تُغصُّ الزهراء بطلاوة مرآه ، وتودُّ الزهرة لو ترتدى بملاءة حلاه ، وتحسد جماله النضير ، وطراره المرونق ، محاسنُ السرير ، وبدائع الخورنق ، ترتاح النفوس فى بساتينه ، وتحيى الأرواح بشم رياحينه ، إن حلَّ من أنحلّه الوجدُ برُياه ، صاح من حينه واطرباه ، وأسلاه تسلسلُ غدرانه ، وتغريدُ ورشانه ، عمّن قطف لُبّه بأجفانه ، ومزّق قلبه بهجرانه .

فهذه القطعة إنما هى شعرٌ منشورٌ قد اشتملت على تشبيهات واستعارات وخیال جميل ونظام أصيل ممّا لا يكون إلّا فى الشعر ! وهكذا غالب نشره الفنى .

شعره :

جمع ابن زاكور شعره كلّهُ فى ديوان سمّاه : (الروض الأريض فى

بديع التوشيح ومنتقى القريض) ورتبه على حروف المعجم في الأول، ثم صار يلحق به ما جد له من النظم على غير ترتيب، وقد انحصرت أغراضه الشعرية في المديح، وهو أكثر ما في الديوان والربيعيات والزهريات والغزل والرثاء والنصائح والإخوانيات، ولكن هذه الأغراض الثلاثة الأخيرة فيه قليلة، ثم المديح أكثره في الأولياء والصالحين من رجال المغرب بالخصوص، فقل أن ترى ذا ضريح معروف أو مقام مشهود إلا وله فيه مدح أو توسل به، وهو في ذلك متأثر بشيخه اليوسى وبوسطه المعلوم بهذه النزعة، وله كذلك مدائح في النبي صلى الله عليه وسلم ومشاخه الكثر وفي السلطان أيضاً. ونظمه كما ينبغي عنه اسم ديوانه على نوعين: موشح وخلافه من بحور الشعر المعروفة.

فأما موشحاته فإنها جميعاً من الإبداع. كان لا سيما وموضوعاتها في الغالب من هذه الموضوعات التي تهز المشاعر وتمس أوتار القلوب، وأعني وصف الطبيعة في مظاهرها الجميلة من الربيع والرياح، أو الغزل والنسيب. وأما شعره الآخر: فمنه ما هو جميل رقيق سلس عذب ينم عن ذوق أدبي سليم ومملكة مبدعة مطبوعة، ومنه ما هو شعر بدائي ساذج شبيه بالأنظام العلمية وقريب من أشعار الفقهاء، ونحن لا نعتبر هذا من قوله ولا نقيم له وزناً عند النقد، إنما شعره عندنا القسم الأول وهو الذي يحكم به على شاعريته، لأن لكل شاعر سقطة، ولكل قائل غلطاً، ولكن من هذب شعره وتخيرته فقد أخذ بالحزم ومن تركه على أصله وفيه ما احتفل له وما ألقى على عواهنه في ساعة من الساعات التي يكون قلح ضرس الشاعر فيها أهون عليه من قول بيت شعر! كما يقول الفرزدق فقد ضيع الحزم وإن اعتذر بما اعتذر كصاحبنا ابن زاكور الذي يحمل ذلك على غرارة

الشباب ويظنُّ أَنَّ حُسْنَ الحَسَنِ يُغَطِّي على قُبْح القبيح ، فلذلك رتب الديوان على حروف المعجم وهذا قوله :

«وبعد فهذا ما أثمر به روض القريحة إبان الشباب ، وألقحه نسيمُ الفكر إذ ذاك من خطإٍ أو صواب ، رتبته على حروف المعجم ، ليشتمل المبتهم بفضل رداء المعلم ، ويتعزز الضعيف ، بجوار ذى العز المنيف» إلخ. وعلى كلِّ حال فإننا عند الحكم على شعره إنما نظرنا في الديوان كما لو كان منتخباً مهذباً صادرين في ذلك عن قول بشَّار بن بُرد فيما حدث عنه العباس بن الفضل قال :

«كان بشَّار يجلس في مسجد الرصافة فيحضره ناس كثيرٌ ويحدثهم وينشدهم شعره فاندسست في الناس ليلة ثمَّ صحتُ به : يا أبا معاذ ! مَنْ الذى يقول :

أحبُّ الخاتم الأحم ر من حُبِّ مواليه

فأعرض عني وأخذ في إنشاد شعره ، فلبث ساعة ثمَّ صحتُ به : يا أبا معاذ ! مَنْ الذى يقول :

إنَّ سلمى خلقت من قصب قصب السكر لا عظم الجمل
وإذا أدنيت منها بصللاً غلب المسك على ريح البصل ؟

فغضب وصاح : مَنْ الذى يُقرِّعنا بأشياء كنَّا نعبثُ بها ويأتى برؤال شعرنا وما لم نرد به الجد ؟ » .

فإذا انتفى شيخ المولدين من سَقَط شعره واغتاظ ممَّن يرويه عليه فابن زاكور أولى بذلك وأحرى أن يغضُّ الراوية النظر عن ضعيف شعره .

(طريقتنا في الاختيار والترتيب)

إِنَّ ابْنَ زَاكُورَ جَمَعَ دِيْوَانَهُ بِنَفْسِهِ وَرَتَّبَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ ، ثُمَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ ذَلِكَ جَعَلَ يُلْحَقُ بِهِ مَا جَدَّ لَهُ مِنَ النِّظْمِ دُونَ مَا تَرْتِيبَ ، وَنَحْنُ بَعْدَ أَنْ تَخَيَّرْنَا مِنْ شَعْرِهِ كُلِّ مَا فِيهِ رُوحٌ وَعَلَيْهِ مُسْحَةٌ مِنَ الْجَمَالِ وَأَسْقَطْنَا سَفْسَافَهُ وَرَدِيئَهُ ، ارْتَائَيْنَا أَنْ نُرَتِّبَهُ عَلَى الْأَغْرَاضِ الَّتِي نُنْظِمُ فِيهَا وَهِيَ بِحَسَبِ الْاسْتِقْرَاءِ وَالتَّتَبُّعِ سَبْعَةٌ : المديح ، والرَّبَيعِيَّاتِ ، وَالزَّهْرِيَّاتِ ، وَالغَزَلَ ، وَالرِّثَاءَ ، وَالنِّصَائِحَ ، وَالْإِخْوَانِيَّاتِ . وَهَذَا التَّرْتِيبُ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ أَفِيدَ مِنَ الْوَجْهِةِ الْفَنِيَّةِ ، لَا يُفَيْتُ فَائِدَةَ التَّرْتِيبِ الْأَبْجَدِيِّ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُتَدَارَكَ بِفَهْرَسٍ خَاصٍ .

ثُمَّ إِنَّا رَبَّمَا تَخَيَّرْنَا مِنَ الْقَصِيدَةِ أَوْ أَخَذْنَا مِنْ أَطْرَافِ الْقِطْعَةِ حَرَصًا عَلَى مَا فِي بَعْضِ الْأَبْيَاتِ مِنْ سِحْرِ وَجَمَالٍ يَكُونَانِ مَغْمُورِينَ بِغَثَائِثَ بَعْضِ الْأَبْيَاتِ الْآخَرَى وَفُسُولَتِهَا ، وَلَوْلَا عَمَلِيَّةُ الْبَثْرِ هَذِهِ مَا صَحَّ رَوَايَةُ جَمِيعِهَا .

وَلَا يَقُولُنَّ أَحَدٌ كَانَ أَوَّلَى أَنْ تَعْرُضَ عَلَيْنَا الدِّيْوَانَ بِنَصِّهِ وَفَضِّهِ وَقَضِّهِ وَقَضِيضِهِ وَنَحْنُ نَخْتَارُ لِنَنْفَسِنَا مِنْهُ وَنَأْخُذَ مَا رَضِيَّتَهُ أَذْوَاقُنَا وَهَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِأَمَانَةِ الْعِلْمِ وَحَرْفِيَّةِ النَّقْلِ ، فَنَقُولُ لَهُ : إِنَّا مَا قَصَدْنَا نَشْرَ الدِّيْوَانِ ! وَمَنْ أَرَادَهُ فَعَلِيهِ بِهِ لِيَرَى مَا يُفِيدُ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا عَمَلْنَا هَذَا الْمُنْتَخَبَ عَلَى طَرِيقَةِ أَثْمَةِ اللُّغَةِ وَشِيْخِ الْأَدَبِ الْأَقْدَمِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَخَيَّرُونَ دَوَائِينَ الشُّعْرَاءِ وَيَنْتَخِبُونَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ كُلِّ نَفِيسٍ وَغَالٍ قَصَدَ تَرْغِيبَ النَّاسِ فِيهَا وَإِمْدَادَهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَرَوْى مِنْهَا مُؤَفَّرِينَ عَلَيْهِمْ تَعَبَ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ .

وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَتَّى بَعْدَ نَشْرِ دِيْوَانِ ابْنِ زَاكُورَ بِأَكْمَلِهِ سَيَبْقَى هَذَا الْمُنْتَخَبُ مُحْتَفَظًا بِمَكَانَتِهِ لَدَى الْأَدْبَاءِ مُعْتَبَرًا أَنَّهُ الدِّيْوَانُ الْحَقِيقِيُّ لِابْنِ زَاكُورَ .

عَبْدُ اللَّهِ كُنُونُ الْحَسَنِيِّ

خطبة الديوان لابن زاكور

حمدك يا مَنْ شَرَّفَ أَعْيَانِ الْبُلْغَاءِ وَبُلْغَاءِ الْأَعْيَانِ ، بِمَا ذَلَّلَ لَهُمْ مِنْ
شُمُوسِ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ ، فَصَرَّفُوهُ بِأَعْنَةِ الْأَفْكَارِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ ، وَأَعْلَى هِمَمٍ
مَنْ سَدَّ مِنْهُمْ أَبْوَابَ الطَّمَعِ مَنَاطِـ الْجِرْمَانِ ، وَمَطَافِ الذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ ! أَشْرَفُ
مَا افْتَتَحَ بِهِ دِيْوَانٌ ، لِأَنَّهُ عَلَى الْكَمَالِ : وَهُوَ لَكَ خَاصَّةٌ : عَنَوَانٌ ، وَشُكْرُكَ
لِأَنَّ أَوَّلِيَّتَ لَوَاءِ الْبِرَاعَةِ ، وَالْحَقَقْتَ بِمَنْ تَرَهَّبُ أَرْبَابُ الْعَوَالِي يَرَاعَهُ - لَيْسَ
لِي بِنَتَادِيَتِهِ يَدَانِ ، وَلَا وَجْهَ حُسَّانِ ، وَلَوْ أُيِّدَتْ بِقُوَّةِ عَبْدِ الْمَدَانِ ، وَلَهْجَةِ
حُسَّانِ ، إِذْ هُوَ مِنْ فَرِيدِ جَوْهَرِ الْإِحْسَانِ ، وَشُكْرُهُ (وَاجِبٌ) عَلَى
كُلِّ إِنْسَانٍ وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ عَصَمَتْهُ مِنَ الشَّعْرِ ، لِيَسْلَمَ مِنْ تَطَرُّقِ
الْخُلَلِ مَا أُيِّدَتْ بِهِ فَأَعْجَزَ الْفُحُولِ مِنْ مُحْكَمِ الذِّكْرِ : أَفْضَلُ مَا اقْتَبَسَ
بِهِ أَنْوَارُ الْعِرْفَانِ ، وَنَعَمِ الْمُنْجِدِ فِي تَنْوِيرِ الْجَنَانِ ، وَمَحَقَّ دِيَا جِيرِ الْأَشْجَانِ .
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ ، وَصَحْبِهِ فُرْسَانَ الْبَلَاغَةِ وَالْمُضْمَارِ ،
مِنْ كُلِّ حَدِيدِ اللِّسَانِ وَالسُّنَانِ ، صَلَاةً وَسَلَاماً يُنْشِقَانِنَا فِي الْحَشْرِ نَسِيمِ
الرِّضْوَانِ ، وَيُبَوِّثَانِنَا الْفِرْدَوْسَ مَعَ الْحُورِ الْجِسَانِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَهَذَا مَا أَثْمَرَ بِهِ رَوْضُ الْقَرِيحَةِ إِبَّانَ الشَّبَابِ وَأَلْقَحَهُ بِهِ
نَسِيمُ الْفِكْرِ إِذْ ذَاكَ مِنْ خَطَأٍ أَوْ صَوَابٍ ، رَتَّبْتُهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ ، لِيَشْتَمِلَ
الْمُبْهَمُ بِفَضْلِ رِءَاءِ الْمُعْلَمِ ، وَيَعَزَّزَ الضَّعِيفُ ، بِجَوَارِ ذِي الْعِزِّ الْمُنِيفِ ، وَذَلِكَ
أَنِّي لَمْ أَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى سَلُوكِ مَجَازٍ ، بَلْ يَوْمًا بِبَغْدَادٍ وَيَوْمًا بِالْحِجَازِ ، وَأَوْنَةً
بِعُكَاظٍ . وَطَوْرًا بِذِي الْمَجَازِ ، وَسَمَّيْتُ جَمْعَهُ الصَّحِيحَ ، وَقَدْ طَرَزَ آسَ الْقَرِيضِ
بِيَا سَمِينِ التَّوْشِيحِ ، وَمَزَجَ عَوِيصَ أَبِي حِزَامٍ بِرَفِيقِ عُرْوَةِ وَابْنِ ذَرِيحٍ : (الرَّوْضُ

الأريض ، في بديع التوشيح ومنتقى القريض) .

وكثيراً ما أكنى فيه بالمُدام والراح ، عن الطرب والارتياح ، وما يَرِدُّ على القلب من الأفراح ، فلا يتوهم مَنْ لَمْ يدرِ الصباح من المصباح ، وقد رأى ما عارضنا به « شَقَّ جَيْبُ الليل عن نحر الصباح » أن المراد التي تطلع في بُروج الأقداح ، وَيَدُورُ بها فَلَكُ الرَّاح ، فيُلزِمُنِي بمقتضى بلاذته وأنا البريء أقبحُ جناح ، إذ تلك لا يصفُها ، إِلَّا مَنْ يَعْرِفُها ، ولا يذكُرُها ، إِلَّا مَنْ كان مثله من الأنذال لا يُذكُرُها ، وإِنَّمَا فعلتُ ما هو بين الأفاضل مطروق ، ويُعَمَّرُ به عند أرباب المحاسن أَى سُوق ، وهل نحن إِلَّا مثل مَنْ كان قبلنا ، نُحَسِّنُ ببديعهم كلامنا ونطرزُ باستعاراتهم قولنا ، أَلَا وَلِيَشْهَدَ عَلَيَّ ذُو الْأَسْمَاءِ الحسنى ، أَنَّنِي كُلَّمَا وصفتُ حسناً أو شَبَّهْتُ في الظاهر بما يفنى ، فالمقصودُ إن لم يصلح كونه المعنى ، إِنَّمَا هو التدرُّب والارتياض ، وتصرفُ الفكر في سائر الأغراض .

وَمَنْ مَنْ عَلَيَّ به ، وجذبني إلى العُلا بسببه ، وجعلني من قائله استحساناً ، وتدريباً للفكر وامتحاناً ، وتطرباً لا تكسباً ، أستمِدُّ التوفيق والهداية ، والغنى بالكفاف والكفاية ، وَأَنْ يُحَسِّنَ لِي في الختم كما أحسن في البداية ، بجاه أفضل مَنْ عَلَّه بكأس الرسالة والولاية ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه ومن تَبِعَهُمْ بإحسان بلا نهاية !

المدح

جملة المدح :

ديوانُ حبِّكَ بالتوفيقِ مبتدأ
وجملةُ المدحِ لم يُرْفَعْ لَهَا خَيْرٌ
وبهَذَاكَ جَذَى الْأَفْهَامِ مُوقَدَةٌ
رَقَّتْ سَجَايَا بَنَاتِ الْفِكْرِ وَانْتَعَشَتْ
وَمِنْذُ الْإِحْلِيَّتِهَا بِدْرِ مَدْحِكُمْ
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا تُلَيْتُ
وَمَا جَرَى نَهْرٌ وَمَا ذَكََا زَهْرٌ
وَمَا تَرَفَّعَ مِنْ أَنْوَارِكُمْ قَمَرٌ
يَا مَنْ بِهِ الْحُسْنُ مَخْتَوْمٌ وَمُبْتَدَأُ
إِلَّا وَأَنْتَ - رَسُولُ اللَّهِ - مُبْتَدَأُ
يَا مَنْ بِهِ غَضَبُ الْجِبَارِ مَنْطِقُ
مُذْ عَلَّهَا مِنْ تُدَى مَجْدِكُمْ لَبَأُ
لَمْ يَبْقَ فِي الْقَلْبِ لَا رَيْنَ وَلَا صَدَأُ
أَمْدَا حُكْمَ وَزَهَا بِذِكْرِكُمْ نَبَأُ
وَمَا تَرْبُّعٌ مِنْ صَوْبِ الْحَيَا كَلَأُ
وَمَا تَضْلَعُ مِنْ أَسْرَارِكُمْ مَلَأُ

وقال في مدح الشيخ محمد بن عبد المؤمن بالجزائر أواخر ربيع الثاني (١٩٠٤) وهو من بديع الشعر :

البحرُ قد أبدى سنا نَضْرَتِهِ
قد خَلَعَ الْحُسْنَ عَلَيْهِ حِلْيَ
كَأَنَّهُ وَالشَّمْسُ قد أَوْدَعَتْ
مَطَارِفُ الْعَقِيَانِ قد طُرِّزَتْ
ذَكَرْنِي عَهْدًا لَنَا قد مَضَى
فِي جَنَّةٍ أَرَبْتُ عَلَى حَلْقِي
مَا شِئْتَ مِنْ نَوْرٍ كَثُرَ عَلَى
فَهَامَتِ الْأَعْيُنُ فِي بَهْجَتِهِ
وَانْتَضَمَ الْإِبْدَاعُ فِي لُبَّتِهِ
شُعَاعُهَا الْأَنْضَرُ فِي لُجَّتِهِ
بِاللَّازَوْرَدِ الْغَضُّ مِنْ زُرْقَتِهِ
بِأَرْضِ تَطْوَانَ عَلَى ضِفَّتِهِ
عَلَّمَهَا الْحُسْنَ بِأَلْوَبَتِهِ
زَبَرَجْدُ يَسْبِي سَنَا خُضْرَتِهِ

ومن غصون قد سقاها الحيا
 دبَّجها النوارُ من أصفر
 وأحمرٍ يُشبهُ خدَّ الذى
 حيثُ المني تطلعه قمرًا
 لم يعرُه هجر يهيج الجوى
 إلَّا زفارًا هو فى طبعه
 ينفر تيهًا ثم يثنيه ما
 فقلتُ إذ أبصرته تائها :
 «ولا تُعذبنى بنار الجفا
 فافتَرَّ أين الدرُّ من ثغره ؟
 وأين بدرُ التَّمُّ من وجهه ؟
 واهتزَّ عُجبًا بخضوعى له
 أىُّ هلال فى قضيب نقى !
 عانقتُ من قامته غُضُنًا
 لم أصحُّ من سُكرى بتعنيقه
 أىُّ زمان قد مضى مُسرِّعًا
 لم أنتبه من نوم لذته
 يا ليت شعرى والمنى ربَّما
 هل يدنونُ الغربُ بعد النوى
 وهل أرى تلك البُذورَ التى
 ما أقدرَ الله على ردِّ مَنْ
 فيا نسيماً مِنْ حِماهم سرى

فعريدتُ بالرقص من خمره
 يحكى النصار الغصَّ فى كُهبته
 أنحلنى الشوق إلى رؤيته
 تنأى دُجى الأحزان من طرته
 ويعطف القلب على حُرْفته
 إنَّ نِفَارَ الظَّبي من خلقتِه
 يُبصر من وَجْدَى على نِفرتِه
 كُنْ راضياً حبيَّ على وَثِه
 يا مَنْ حياة الصَّبِّ فى قبضتِه «
 وأين نَشْرُ المسك من نكهتِه ؟
 وأين لَمْعُ البرق من غُرْتِه ؟
 فأين غُصْنُ البانِ من هزَّتِه ؟
 أضاءه الدَّيْجور من لِمَتِه
 كما قطفتُ الورد من وَجَّتِه
 إلَّا بتقطيعى على فُرْقَتِه
 يا حرَّ أنفاسى على سُرْعَتِه
 إلَّا بأشواقى إلى أوبَّتِه
 تُساعدُ المُشتاق فى بُغيتِه
 فأقطف الآمالَ من ضيَعَتِه
 تُزرى ببدر الأفق فى طلعتِه
 ندَّ به البَيْنُ إلى فِئتِه
 شِمتُ عَرَفَ المسك من هبَّتِه

وَالنَّهْرُ وَالرَّوْضُ عَلَى ضِمَّتِهِ
 لَا رَاعَهَا الدَّهْرُ بِتَنْجِيَّتِهِ
 شَوْقِي الَّذِي أُوبِقْتُ فِي أَرْمَتِهِ؟
 أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ نُكْبَتِهِ
 أَعْدِمُ شَجْوًا ذَبْتُ مِنْ حَسْرَتِهِ
 قَضَى فَوَادِي مِنْ لَظَى لَوَعَتِهِ
 يَقْصِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي غُرْبَتِهِ
 أَنْ يُنْقَذَ الْمَلُوفُ مِنْ كُرْبَتِهِ
 خَيْلُ النَّوَى أَوْ حَادَّ عَنْ وَجْهِتِهِ
 عَاطِرَةَ الْأَنْفَاسِ مِنْ نَفْحَتِهِ
 فَهَا أَنَا أَنْعَمُ فِي جَنَّتِهِ
 تَحْتَ ظِلَالِ الْعِلْمِ فِي حَضْرَتِهِ
 أَعْجِزُ أَنْ أَنْفِكَ مِنْ حَوَزَتِهِ
 يُغْضَى عَلَى مِثْلِي فِي هَفْوَتِهِ
 وَيُسْعَدُ الرَّاعِبَ فِي رَغْبَتِهِ
 لَا عَاقَةَ الْمَقْدَارُ عَنْ نَزْهَتِهِ

كَيْفَ الرُّبَا وَالْمَنْخَى وَالنَّقَى
 عَهْدِي بِهَا مَرْتَعٌ كُلُّ رَشَا
 وَكَيْفَ أَحِبَابِي وَهَلْ عَلِمُوا
 نَكَبَتِي الدَّهْرُ بَبَيْنِهِمْ
 أَمْسَيْتُ صَبًّا بِالْجَزَائِرِ لَا
 لَوْلَا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمَنِ الْمُرْتَضَى
 جَعَلْتُهُ قَصْدِي وَنَعَمَ الَّذِي
 الْعَالَمُ النِّحْرِيُّ مَنْ دَابُّهُ
 وَأَنْ يُوَاسِيَ مَنْ بِهِ رَكَضَتْ
 أَنْخَتْ أَمَالِي بِهِ فَانْثَنَتْ
 إِنْ تَسَالَى الْأَحْبَابُ عَنْ نُزُلِي
 أَقْطَفُ أَنْوَارَ الْمُتَنَى غَضَّةً
 أَثْقَلَنِي بِالْبِرِّ حَتَّى لَقَدْتُ
 مَا شَانَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ
 وَيُسْعَفُ الطَّالِبَ فِي قَصْدِهِ
 نُزْهَتُهُ فِي الْعِلْمِ يَدْرُسُهُ

* * *

وَقَدْ تَنَاهَى الدَّهْرُ فِي خِدْمَتِهِ !
 وَابْدُرُ حَلَاةً بِتَحْلِيَّتِهِ
 وَفَاضَ بَحْرُ الْجُودِ فِي بُرْدَتِهِ
 تَسْجُدُ أَمْدَاحِي إِلَى قِبَلَتِهِ
 لَفَّعَهَا الصِّدْقُ بِأَقْبِيَّتِهِ

مَاذَا يَقُولُ الْمَرْءُ فِي مَدْحِهِ
 وَالشَّمْسُ أَوَّلَتْهُ أَشْعَتَهَا
 وَخِيَمَ الْمَجْدُ بِسَاحَتِهِ
 بَدْرُ الْهُدَى وَالْعِلْمِ يَا مَنْ غَدَتْ
 خُذَهَا عَلَى رِغْمِ الْعِدَا غَادَةً

خَوْدُ زَهْمٍ إِذْ بُشِّرَتْ بِكُمْ وَلَفَّهَا الْمَجْدُ بِأَرْذَيْتِهِ
 كَمْ رَامَهَا قَبْلَكَ ذُو هَمَّةٍ فَلَمْ تُصْخَرْ سَمْعاً إِلَى خَطْبَتِهِ
 بِنْتُ ابْنِ زَاكُورٍ فَمَنْشَرُهُ فَاْسُ وَأَهْلُ الْفَضْلِ مِنْ أُسْرَتِهِ
 صَدَاقُهَا الْغَالِي قَبُولُكَهَا مِنْهُ فَمَا أَغْلَاهُ فِي نَيْتِهِ
 فَاسْمَحْ لَهُ وَقَبِّلْ هَدِيَّتَهُ وَعَفَّ بِالصَّفْحِ عَلَى زَلَّتِهِ
 لَا زَلْتَ ذَا حَالٍ تَسُوُّ الْعِدَا مَا خَنَّ ذُو بُعْدٍ إِلَى تُرْبَتِهِ
 وَاللَّهُ يُبْقِيكَ إِمَامَ هُدًى مَا غَرَدَ الْقُمْرِيُّ عَلَى دَوْحَتِهِ

وقال مُوشِحاً فِي السَّلْطَانِ مَوْلَايَ إِسْمَاعِيلَ عَارِضَ بِهِ (لَقَدْ جَارَ عَنْ

قَصْدِي) :

نَظَّمْتُ حَلَى الْمَبْدَى	جَمِيلَ	الْصِّفَاتِ
فَجَاءَتْ كَمَا الْعَقْدُ	بِجَيِّدِ	الْمَهَامَاةِ
فَرِيدُ الْمُنَى مَنْظُومٍ	بِفَضْلِ	الْأَمِيرِ
أَمِيرٌ بِهِ مَوْسُومٍ	جَنَاحِ	الْكَاسِيرِ
يَلُودُ بِهِ الْمَظْلُومِ	فَنِعْمِ	النَّصِيرِ

لَهُ هَمَّةٌ	الْأَسَدُ	وَفَتْكَ	الْبُزَاةُ
وَفِيهِ حَيَا	الْخَوْدُ	وَحِلْمُ	الثَّقَاتِ
وَعِفَّةٌ ذِي	النُّسْكُ	وَنَفْعُ	الْمَطَرِ
وَرَائِحَةُ	الْمِسْكِ	وَحُسْنُ	الْقَمَرِ
بَقِيَّتَ سَنَا	الْمَلِكِ	مُنِيرَ	الْغُرَرِ
تَعْلُ ذَوَى	الْوُدِّ	بِكَأْسِ	الْهَبَاتِ

أَيَا كوكب السَّعْدِ	وَعَيْنَ	الْحَيَاةِ
أَمْوَلَايَ إِسْمَاعِيلَ	أَشْمَسَ	الْمُلُوكِ
بِمَدْحِكَ صَارَ الْقَيْلُ	كَدَّرَ	السُّلُوكِ
وَكَادَ مِنَ التَّسْهِيلِ	عَلَى مَنْ	يُحْوِكُ
يُنَالُ بِلَا قَصْدِ	رَقِيقَ	السَّمَاتِ
كَمَا فَاحَ مِنْ نَجْدِ	لَطِيفُ	النَّبَاتِ
يَزِيدُ بِهِ ذَوْقًا	غَرَامِ	اللَّيِّبِ
وَيَنْعَمُ مِنْ يَشْقَى	بِهَجْرِ	الْحَبِيبِ
وَرَاقِمُهُ يَرْقَى	عَلَى ابْنِ	الْخَطِيبِ
فَخُذْهُ كَمَا الشُّهْدِ	مَعَ	الرَّشَفَاتِ
حِكْمِي «جَارِ عَنْ قَصْدِي»	هَوَى	الْغَانِجَاتِ

تقریظ « عرج بمنعرج الهضاب »

يا حُسْنَه والحُسْنُ قَيِّدٌ فيه البَصِيرَةُ إِذْ تَأَوَّدُ
 تَخَذَ المَلاحَةَ مَلْبَسًا وَكَسَا المَلامَةَ مِنْ تَبَلَّدُ
 وَسَقَاهُ حَيْثُ سَبَّاهُ مَهَّ ١. يَزْدَرِي بِسُلَافِ صَرَخَدُ
 فَمَشَتْ حُمِيًّا حُبَّهُ ؛ فِي لُبِّهِ فَصَبًا فَعَرَّدُ
 غَنَى ! وَلَحْنُ غِنَائِهِ ؛ أَرَبَّى عَلَى نَعَمَاتِ مَعْبَدُ
 وَشَدَا بِمَا فِيهِ التَّخَلُّ حُصٌّ مِنْ عَنَا لِأَجَلٍ مَقْصَدُ
 عَقْدُ العُلَى والحَسَنِ يَشْهَدُ ؛ لَوْلَا «ابن مسعود» تَبَدَّدُ
 كَهْفُ الوَرَى «الحَسَنُ» الَّذِي ؛ دِينَ الإِلَهِ بِهِ مَوِيدُ
 خَبِرَ يُبِيدُ الخُبْرَ بَعْدُ ضَ مَدِيحِهِ والخُبْرَ يَشْهَدُ
 عَلَامَةُ الدُّنْيَا بَلَا ؛ ثُنْيَا وَمِصْقَعُهَا المُسَدَّدُ
 بِحَرِّ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقِ قَمَّةَ فَاضٍ فَيَضًا لَيْسَ يُعْهَدُ
 بَذَّ الدِّينَ تَقَدَّمُوا ؛ وَاسْتَشْهَدَ الأَخْبَارَ تُرْشَدُ
 فَسَمِيهِ «البَصْرِيُّ» لَوْ ؛ رَزَقَ الحَيَاةَ لَهُ تَرَدَّدُ
 حَسَنُ العَلاهُوَ وَالْحَلِي ؛ أَخْوَانِ : ذَاكَ بِذَاكَ يُعْصَدُ
 بَيْنَ الهُدَى وَفَعَالِهِ ؛ وَمَقَالَهُ حِلْفٌ مُؤَكَّدُ
 مَنْ ضَلَّ عَنْ أَعْلَامِهِ ؛ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ اللَّهُ يُعْبَدُ
 عُجْ بِالْحِمَى مِنْ حَبِّهِ ؛ إِنْ شِئْتَ فِي الدَّارَيْنِ تَسْعَدُ
 وَحَذَارِ صُحْبَةِ نَاقِصِ ؛ وَتَرَكَ مَنْ يَأْبَى وَيَابَدُ
 مَنْ لَمْ يَجِدْ فِي حَبِّهِ ، طَعَمَ الحَلَاوَةَ لَيْسَ يُحْمَدُ
 مَنْ لَمْ يَرِذْ مِنْ بَخْرِهِ العَذْ بَ الْمَوَارِدِ لَنْ يُسَدَّدُ
 عَكْسُ التَّقْيِضِ مُوَافِقُ ؛ لِمُرِيدِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدُ

والدينُ والدنيا لمن
واليمينُ والإقبال في
لا يعرجنَّ إلى العلا
لا يفتحنَّ باب المني
يفرى دياجير الهوى
ويجارُ من جمع العدا
يعنوا له الجبار ذو البتة
ويهابة من لم يذق
سر من الرحمن لا
وعناية الرب الروو
قد جاء شمس معارف
والدينُ مفصوم العرى
والحق مفلول الشبا
والخير فاعله تبدد
والغرب غرب نجاته
وبغائه مستنسر
وشحاً^(١) الردى أفواهه
صلى عليه الله ما
والآل والأصحاب من
من كل نجم طالع
والعلم مما قد عرا

وَالْيَ مودته بمرصد
لفظ. الثناء عليه مُغمد
من لم يَلد منه بمصعد
من لم يفز منه بمقلد
من يفتدى منه بفرقد
من ينمى منه لمفرد
ار وهو به مقلد
لوداده طعماً فيرعد
شر من السلطان أخمَد
فأذلت البطل المزرد
والجهل أنهم ثم أنجد
والغى أبرق ثم أرعد
والبغى صارمه مُهند
والشر موقده تودد
متخرق والبأس موقد
وسرائه سارت بجذجد
(فُضَّتْ) لبَلْع ولاة أحمد
نصر الإله به وأيد
نصروا النبي بكل مجد
في برج سامى الجيد أجرد
فيما أقام جوى وأقعد

فَأَعَادَ من أنواره
وبنى قواعده وشيّد
وأبادَ من سُحب الجها
وسقى رياضَ فُنونه
فَتَفَتَّقَتْ أَزهارُها
وسرى لأقصى الأرض من
ورمى الضلالَ بأسهم
فالدّينُ أصبحَ ضاحكاً
لِمَ لا وقد زُفَّتْ له الغَـ
وأدارَ خمرَ حقائقِ
ثَبَّتَتْ لَهَا الأفراحُ إذ
من ذاقَ منها شربةً
فإذا صحا منها بها
آخى بها بين العباد

* * *

عَرَّجَ بِأَنْجَادِ الْعُلَا
تَجِدُ الْمُنَى دَانِي الْجَنَى
وَتَرَى الْجَلَالَ مُحَيِّمًا
وَالْيَشْرُ يَعِشِي نُورَهُ
وَالْفَضْلُ مَنْشُورُ اللُّوَا
وَالْحِلْمُ رَاسِ طُودِهِ
من أرضه تَسْعِدُ وَتُنْجِدُ
وَتُصَافِحُ الْآمَالَ بِالْيَدِ
فِي بُرْدِ مِفْضَالِ مُمَجِّدِ
عَيْنَ الْعَنَا وَالْوَجْدُ يُطْرِدُ
لَمَنْ تَصُوبُ أَوْ تَصْعَدُ
وَقَصَائِدُ الْإِرْشَادِ تُنْشَدُ

والعلمُ ما جَ عُبَابُهُ يُرَوِّى وَيُشْبِعُ مِنْ تَسْوَرْدٍ
 مَنْ لَمْ يَطْفُ بِحِمَاهِ بَيْتِ الْإِ مَكْرُمَاتٍ فليس يُرْفَدُ
 مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ دَرْسَهُ وَنَفَائِسُ الْأَبْحَاثِ تُورَدُ
 وَالتَّجَحُّجُ دَانٍ وَالْوَقْدُ أَرُّ يَحْفُ مِنْهُ أَغْرٌ أَوْحَدُ
 وَجِدَا الصَّوَابَ يَمِدُّهُ هَطَّالُهُ بِزَلَالٍ مَدَمَدُ (١)
 وَالبِشْرُ يُوعِدُ بِالْمُنَى وَسَحَائِبُ الْأَوْهَامِ تُبْعَدُ
 وَاللَفْظُ يَجْلُو خَرْدًا قَدْزَقَهَا الْفِكْرُ الْمُوَيْدُ
 وَالْفَهْمُ يُنْشِدُ مَنْ تَبَلَّدُ لَبَّيْكَ أَبْشِرْ لَا تَأَلَّدُ
 لَمْ يَجْنِ تَمَرُ الْعِلْمِ بَلْ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ الْعِلْمِ يُنْشَدُ

* * *

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْمَسْدُ اَعِدْ وَالْمَعَانِدَ حَيْثُ شَرْدُ
 لِيَطِيبَ ذَا نَفْسًا فَيَحْمَدُ وَيَزِيدَ ذَا رَجْسًا فَيَخْرَدُ
 أَنَّى اقْتَنَيْتُ مِنَ الْعُلَا مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُعَدُّ
 جَالَسْتُ (فَخَرَّ الدِّينَ) وَالْإِلَّا رِشَادُ) بَيْنَ يَدَيْهِ يُسْرَدُ
 وَسَمِعْتُ (عَزَّ الدِّينَ) إِذْ أَمَلَى (قَوَاعِدَهُ) لِرُودُ
 وَشَهِدْتُ (سَعَدَ الدِّينَ) قَدْ أَقْرَأَ (مَقَاصِدَهُ) لِقُصْدُ
 وَرَأَيْتُ (مَجْدَ الدِّينِ) وَالْفَقْدُ أَمُوسُ) مُشْكِلُهُ يُقَيِّدُ
 فَأَفَادَنِي مِنْ نَظْمِهِ الْمُ زَرَى بِأَسْلَاكِ الزُّبُرِجْدِ :
 (عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ الْهَضْ اب) يَتِيْمَةُ الْعَقْدِ الْمُنْضَدِ
 وَقَصِيدَةٍ نَضَّدَتْ حِلَى الْإِبْر دَاعٍ مِنْ مَثْنَى وَمَوْحَدِ
 نَظَّمَتْ مِنَ الْأَمْثَالِ مَا لَمْ يَنْتَظِمِ بَطْلَى مُجَلَّدِ

وَحَوَّتْ مِنْ الْأَمْثَالِ مَا
يُبْدَى نَسِيمُ نَسِيئِهَا
وَتَقُودُ رَاحَةً وَعَظَهَا
وَمَدِيحُهَا يُنْسِيكَ مَا
لَمْ لَا وَدُرُّ عَقُودِهِ
ذَاكَ (ابْنُ نَاصِرٍ) الَّذِي
شَمْسُ الْهُدَى مُرْدَى الرَّدَى
سَحَّتْ عَلَى جَدَثٍ حَوَى
وَالْعِلْمَ وَالتَّحْقِيقَ وَالنُّصْ
وَأَسَحَّ مِنْ وَبَلِ الْحَيَا
وَمَدَارِ أَنْوَارِ الْهُدَى
هَظْلًا مِنْ رُوحِ الَّذِي
وَأَنَالَهَا مِنْ بَعْدِهِ
نُورِ الزَّمَانِ (أَبَا عَلِيٍّ)
مَنْ لَا يُحَاوِلُ شَأْؤُهُ
وَسَلَّ الدُّرُوسَ أَوْ الطُّرُ
إِنْ شَبَّ جَمْرَ ذَكَائِهِ
وَإِذَا انْتَضَى مِنْ هَدْيِهِ
فَكَأَنَّ (سَيْفَ اللَّهِ) عِنْدَ الشَّ
أَوْ (حَمْزَةً) وَهُوَ الْغَضَنُ
أَوْ (ذَا الْفَقَارِ) يَقْدُ مِنْ
أَوْ عَضِبَ (عَمْرُو) ذَا الصَّرِّ

لَمْ يَحْوَ دِيْوَانَ (الْمُبَرِّدِ)
لُطْفًا صَبَابَةً مَنْ تَجَلَّدَ
مَنْ قَدْ قَسَا قَلْبًا بِمِقْوَدِ
صَاغِ الْمُخْضَرِّ وَالْمَوْلَّدِ
لَمَوَازِرِ الْإِسْلَامِ مُسْنَدِ
نَصَرَ الرِّشَادِ وَقَدْ تَنَهَّدَ
غَيْثُ النَّدَى الْمَوْلَى مُحَمَّدِ
مِنْهُ النَّصِيرُ لِمَنْ تَشْهَدُ
حِجَّ الْعَمِيمِ لِكُلِّ مُهْتَدِ
وَأَعَمَّ مِنْهُ جَدًّا وَأَفِيدَ
وَمَنَارِ عِرْفَانٍ وَسُودَدِ
أَبْقَى مَآثِرَهُ تَرَدَّدِ
مِصْبَاحُنَا ذَا اللَّذِّ تَوَقَّدِ
عَزُّ مِنْ لَبَّى وَوَحْدِ
فِي حَلِّ إِشْكَالٍ تَعَقَّدِ
سَ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ تُفْنَدِ
شَاهَدَتْ كَيْفَ الْجَهْلِ يَصْخَدِ
عَضْبًا رَأَيْتَ الزَّيْغَ يُحْصَدِ
أَمْ قَدْ شَامَ الْمُهْنَدِ
فَرَّ يَقْصِمُ الْجَنْدَ الْمُجَنَّدِ
جَمْعَ الْخَوَارِجِ مَا تَمَرَّدِ
أُمَّةٌ يَوْمَ فَارَسٍ إِذْ تَجَرَّدِ

سَجَدَتْ رُؤُوسُهُمْ لَهُ وَالْفُرْسُ لِلنَّيِّرَانِ سُجَّدَ

مولای یا مَنْ حَاكَ مِنْ
وروی أَحَادِیثَ الْفَضَا
عن نَاصِرِ الدِّینِ (ابنِ نَا
شَعْرَى أَتَاكَ وَوَجْهَهُ
رَفَلَتْهُ بِمَدِیْحَکُمْ
وَعَقَلَتْهُ بِعُلَاکُمْ
إِنْ كَانَ سَاءَ مَزَاجُهُ
وَأَسَاءَ إِذْ أَهْدَى الزُّبُو
بِلَ قَطْرَةٌ مِنْ آسَنِ
فَاعْذِرْهُ يَا مُوَلَّائِ إِنْ أَلْعُ
هَذَا وَإِنَّ تَأْتِي
قُطِفَتْهُ رَاحَةٌ حَبِکُمْ
أَذَوْتُهُ أَعْصَارُ تَهْبُ
وَقَبُولُکُمْ إِيَّاهُ يَا
وَيَفَاخِرُ الدَّرَّ الَّذِي
هَبْ لِي رِضَاكَ فَمَنْ يَفْزُ
وَيُهْجَ تَحْرِقُ كُلَّ أَوْغَدٍ
فَلَقَدْ تَعَوَّدَتِ الرِّضَى
أَبْقَى الْإِلَهِ وَجُودُكُمْ
يَحْيَى فَيُوجَدُ حِينَ يُفْقَدُ

غَزَلَ الْبِلَاغَةَ كُلَّ مُحَفَّدٍ
ثَلِ وَالْمَنَاقِبَ عَنْ مُسَدَّدٍ
صِرَ) الَّذِي أَحْيَى وَجَدَّدَ
بِحَيَاتِهِ مِنْكُمْ مُورَدَ
إِذْ مِنْهُ لِلْأَمَالِ يُضْعَدُ
فَلِذَا الرُّوْيُ بِهِ مُقَيَّدُ
وَشَوَى فَأَنْضَجَ ثُمَّ رَمَدُ
فَ لِمِعْدِنِي وَرَقٍ وَعَسَجَدُ
لِلنَّيْلِ حِينَ طَمَا وَأَزْبَدُ
نَدْرَ عِنْدَكُمْ مُمَهَّدُ
مَا مَدَّ جَنَاهُ مِنْ يَدِ
مِنْ رَوْضِ فِكْرٍ غَيْرِ أَغْيَدِ
عَلَيْهِ مِنْ نَفْحَاتِ حَفْدِ
مُولَايَ يَرْفَعُهُ فَيَسْعَدُ
فِي جَيِّدٍ أَجِيدٍ قَدْ تَنْضُدُ
بِرِضَاكَ يَقْهَرُ كُلَّ أَصِيدِ
فَيَحْنُ غَدَاةَ الْيَوْمِ أَوْغَدِ
وَالْقَرْمُ يَحْفَظُ مَا تَعُوذُ
وَالْبِرُّ فِي الدُّنْيَا مُخْلَدُ
مَنْ لَيْسَ يُفْقَدُ حِينَ يُوجَدُ

وقال زاسجاً على هذا المنوال في مدح السلطان :

أَمَلَى الهنا والسَّعدُ رَدَدَ	نَصَرَ لَمولانا مَوْبَدَ
وسَعَادَةُ معقودَةٌ	بِبُنُوده في كُلِّ مشهَدَ
وسلامَةٌ تُهدى له الآه	الَ واضحةً المقلَّدَ
وصرامَةٌ تجنى له	زهرَ المني من كُلِّ مقصدَ
وعزائمٌ تسبي له	الأعداء من مثني وموحدَ
وغنائمٌ تُجبي له	ممن عن الإذعان عرَّدَ
مولاي (إسماعيل) من	جندُ الإله له مويَّدَ
مولاي إسماعيل من	جمعُ العداة به مُبَدَّدَ
ملكٌ علا فوق العُلا	والعفو عن ذى الجرم يشهدَ
ملكٌ تناهى حمده	إذ ليس من في الناس يُحمدَ
فالسَّعدُ من أنصاره	والحلمُ رائده المسدَّدَ
وله من الرُّعب الذى	يعبى العدا جندُ مُجندَ
أوليس من أبناء خيد	ر الخلق مولانا (محمد)
صلَّى عليه الله ما	دامت مواهبه تُجددَ
والرُّعبُ كان يومه	شهرًا فيخذل كُلَّ مُبعدَ
لا بدع في أن يقتنى	ما للآب الولدُ المنجدَ
يغشى الوغى مُستبشراً	والباسُ منها قد توقدَ
والضربُ أبرق ثم أرعد	والطعنُ أنهم ثم أنجدَ
والسُّمرُ تُغرُس في الكُلا	والبيضُ في الأعناق تُغمَدَ

والأَرْضُ تُكْسَى حُلَّةً بدم المجْدَلِ والمَقْدَدِ
 فهناكَ يزْهَدُ في الدُّنْيَا لِمَا لَيْسَ فِي الإِقْدَامِ يزْهَدُ
 وهُنَاكَ يَعْظُمُ بِشِرُّهُ والوَيْلُ مِنْهُ لِكُلِّ أَصِيدٍ
 فَيَفُلُّ جَمَعَ كُمَاتِهَا وَيَحُلُّ مِنْهَا مَا تَعَقَّدُ
 يَنْسَى نَجَاةَ مَنْ انْثَنَى وَيَقْدُ جِلْدَةً مِنْ تَجَلَّدُ
 والليثُ أَبْطَشَ مَا يَكُ وَنَ إِذَا تَبَسَّمَ أَوْ تَأَوَّدَ
 شَبَّهُ بِهِ الْمَقْدَامَ لَيْثُ مَثَ اللَّهُ (حَمْزَةً) ذَا الْمَهْنَدِ
 أَوْ جَدَّهُ الْمَوْلَى (أَبَا حَسَنَ) يَدْمُرُ مَنْ تَمَرَّدَ
 أَوْ فَارِسَ (الْيَرْمُوكَ) سِي فِ اللَّهِ (خَالِدًا) الْمَخْلَدِ
 أَوْ صَاحِبَ الصَّمْصَامِ لِي مَثَ (الْقَادِسِيَّةِ) حِينَ يَنْهَدُ
 أَوْ جَدَّهُ (النَّفْسَ الزَّكَ دَعُ ذَكَرَ بِسْطَامَ وَعِنْدَ
 وَرَبِيعَةَ بْنِ مُكْدَمٍ وَرَبِيعَةَ
 وَمُتْلَاعِبٍ لَأَسَنَّةَ وَابْنِ الطُّفَيْلِ خَلِيلَ أَرْبَدَ (١)
 هَذَا الْمَلَاعِبُ لِلْأَسَدِ هَذَا الْجَبِينُ الْحَرْبُ أَسْوَدَ
 هَذَا الْمَصَادِمُ وَالْمَقْدَ هَذَا الْمَضَارِبُ وَالْمَطْ
 هَذَا الْمَقْدَمُ رَمَحَهُ هَذَا الْبَطْلُ الْمَزْرَدُ
 هَذَا الْمَبْدُودُ مِنْ تَأَلَّى هَذَا الْمَعْفَرُ كُلُّ أَوْغَدَ
 هَذَا الْمَرْفَعُ كَ لَ أَوْرَعُ وَالْمَعْفَرُ كُلُّ أَوْغَدَ

(١) هو أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأنه كان وفد على النبي (ص) غادراً مع عامر بن الطفيل فدعا عليه فهلك . ولهذا الوفادة مع عامر وصفه بخلته .

هذا المنظم فضله عقد المعالي اللذ تبدد
 هذا الذى بحلى المفد آخر والمآثر قد تفرّد
 هذا الذى بملى المح امد والمادح قد تزرّد
 هذا الذى يروى أح اديث الفضائل عن (مسند)^(١)
 هذا الذى عادت به أفرأحنا والعود أحمد
 فحياتنا بوجوده لله ما أهنا وأرغد !
 وجميعنا عن جوده م العذب الموارد ليس يُطرّد

* * *

أخليفة الله الذى كل الفخار إليه مسند
 شعري ازدهى بمديحك حتى ازدرى بحلى الزبرجد
 أربى تناسق نظمه بكم على العقد المنصد
 فاخلع على أعطافه حلل الرضى فبذاك يسعد
 وقال من أسماك من شر تصوب أو تصعد
 وبقيت يا شمس الهدى ركن الملاذ لمن تشهد
 واصعد أمير المؤمنين ن ودّم قرير العين واسعد

ونظم على لسان بعض الأشراف الصقليين تحية إلى جدّهم المصطفى (ص)

أزف الرحيل فخاننى صبرى إذ هاج ما فى القلب من جمر
 رمتم أحببنا غداة غد أن تظعنوا بالقلب والفكر
 رمتم أحببنا غداة غد أن ترسلوا دمعى كما القطر
 رمتم أحببنا غداة غد أن ترحلوا عنى إلى (بدر)

(١) هو مسند بن مسعود أحد رواة الحديث ومشيخته .

فِي جِيدِهِ الْأَغْلَالُ مِنْ ضُرِّ
 فِي جِيدِهِ الْأَصْفَادُ مِنْ عَسْرِ
 اللَّهُ حَادِي الرُّكْبِ فِي أَمْرِي
 يَا بَدْرُ رَكْبِكَ صَدَّعُوا صَدْرِي
 يَا بَدْرُ رَكْبِكَ شَرِّدُوا صَبْرِي
 قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ سِرِّ
 وَمُعَرِّسِ الرَّحْمَاتِ وَالْبِرِّ
 كُنْسِيمِ تُرْبِكَ مِنْ ضَنْأٍ يُبْزِي
 بِمُبَرِّحِ الْأَشْوَاقِ ذِي الْحَرِّ
 شَوْقًا يَهْدِي قَوَائِمَ الصَّخْرِ
 فَهَذِي بِهِمْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
 شَوْقَ السَّلِيلِ إِلَى الْأَبِّ الْبَرِّ
 وَالنَّاسُ فِي بَحْرِ مِنَ الشَّرِّ
 وَالنَّاسُ فِي دَاجٍ مِنَ الْكُفْرِ
 يَرْجُو الْأَمَانَ بِكُمْ مِنَ الدَّهْرِ
 حِمْلَ الذُّنُوبِ الْقَاصِمِ الظُّهْرِ
 أَدْلَى الْحُسَيْنِ بِكُمْ إِلَى الْفَخْرِ
 وَكَفِ الصَّقْلِي فَادِحَ الضَّرِّ
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَفِي النَّشْرِ
 لِسَلِيلِكُمْ مِنْ رِبْقَةِ الْخُسْرِ
 فِي دَارِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْحَشْرِ

رِفْقًا أَحَبَّتْنَا عَلَى زَمَنِ
 رِفْقًا أَحَبَّتْنَا عَلَى دَنْفِ
 اللَّهُ حَادِي الرُّكْبِ فِي جِلْدِي
 يَا بَدْرُ رَكْبِكَ زَلَّعُوا^(١) كَبْدِي
 يَا بَدْرُ رَكْبِكَ أَضْرَمُوا حَرِّي
 حَمَلْتُهُمْ لِحِمَاكَ مَنَزِلَ مَا
 وَمَحَطَّ جَبْرِيلَ وَمَهَبِطِهِ
 أَزَكَى سَلَامٍ طَيِّبِ النَّشْرِ
 أَوْدَعْتُهُمْ لِحِمَاكَ وَهُوَ حَرِّ
 شَوْقًا تَطِيرُ بِهِمْ عَزَائِمُهُ
 شَوْقَ الَّذِي بَانَتْ أَحِبَّتُهُ
 شَوْقَ الْغَرِيبِ إِلَى مَنَازِلِهِ
 يَا رَحْمَةَ الرَّحْمَانِ أَنْزَلَهَا
 يَا شَمْسَ هَدَى اللَّهُ قَدْ طَلَعَتْ
 هَا عَبْدُكَ الْمُسْكِينُ لِأَذَى بِكُمْ
 هَانِجُلُكَ الْمَضْطَرُ حَطَّ بِكُمْ
 يُدْنِي لِمَجْدِكَ بِالْحُسَيْنِ كَمَا
 فَاحْفَظْ حُسَيْنَكَ فِي قَرَابَتِهِ
 وَأَنْزِلْهُ مِنْ جَدِّوَاكَ مُنِيَّتَهُ
 وَافْكُكْ رَسُولَ اللَّهِ نَاطِمَتَهُ
 أَلْبِسْهُ مِنْ نَسِجِ الرِّضَى حُلَلًا

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا رَقَصَتْ
وَعَلَى أَهْلِكُمْ وَصَحْبِكُمْ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا رَقَمَتْ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا نَسَجَتْ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا عَبَقَتْ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا زَهَرَتْ
قُضِبُ الرِّيَاضِ وَغَرْدُ الْقَمَرِ
وَنُحُوصُ الْمَوْلَى أَبَا بَكْرٍ
أَيْدَى الْغَمَامِ مَطَارِفَ الزَّهْرِ
كَفُّ النِّسَائِمِ لَأَمَةِ النَّهْرِ
بَارِيجُ ذِكْرِكَ رَوْضَةُ الذِّكْرِ
بَحْلَى عُلَاكَ حَدَائِقُ الشَّعْرِ

وقال يمدح الشيخ أحمد ابن الحاج سنة ١٠٩٣ :

لِي اللَّهُ كَمْ قَلْبِي يَذُوبُ مِنَ الذِّكْرِ
حَيْنِي لِمَنْ قَدْ شَطَّ عَنْ مَزَارِهِمْ
فِيَا دَارَنَا الْغُرَا عَلَى الرَّبْوَةِ الْخَضِرَا
سَقَاكِ رَذَاذُ الْغَيْثِ مِنْ بَعْدِ وَبَلِهِ
وَحَيْتُكَ أَنْفَاسُ الْأَزَاهِرِ مَوْهِنَا
ذَكَرْتُ بِمَغْنَاكِ الْكَرِيمِ مَعَاهِدَا
لِيَالِي خِلْدِي كُلُّ يَمْشُودٍ^(١) أَغِيدُ
يَبِيتُ يُعَاطِنِي سُلَافَ رَحِيقِهِ
إِذِ الدَّهْرُ ذَهْرٌ وَالزَّمَانُ مُسَاعِدُ
وَلِلَّهِ لَيْلٌ فِي رَبَائِكِ سَهْرُهُ
كَسَاهُ ضِيَاءُ الْبَدْرِ لَأَمَةِ فِضَّةٍ
فَتَشَبَّهُ بِهِ نَهْرُ الْمَجَرَّةِ حَلَّةُ
أَكْرَنَا عَلَيْهِ الرَّاحَ رَاحَ مَسْرَةٍ
وَكَمْ كَبِدِي تُفْرِي وَكَمْ عِبْرَتِي تُذْزِي
أَتَاخُ لِي الْأَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يُدْرِي
لَدَى الصَّدَفَيْنِ الْمَشْرِفَيْنِ عَلَى الْحَمْرَا
وَزَادَكَ إِيَّامُ الصَّبَا بِهَجَةٍ أُخْرَى
وَنَشْتُ لَكَ الْأَرْوَاحُ مِنْ طِيهَا نَشْرَا
مُنْصَرَّةٌ أَذْكَتْ لَطَى كَبِدِي الْحَرَّى
تَجَلَّى عَلَى أَطْوَاقِهِ وَجْهُهُ بَدْرَا
فَأَكْرِمْ بِهِ بَدْرًا وَأَعْظِمْ بِهِ خَمْرَا
وَنُورُ الصَّبَا غَضُّ سَقَاهُ الْحَيَا نُورَا
عَلَى ضِيقَتِي نَهْرُ بِيْشْنِيلٍ قَدْ أَزْرَى
وَفَتْ ذُبَالُ الشَّمْعِ فِي مَتْنِهِ تَبْرَا
عُطَارِدُ الْجُوزَاءِ وَالْقُطْبُ وَالشَّعْرَى
وَقَدْ مَدَّ جَيْشُ اللَّيْلِ أَلْوِيَةً سَمْرَا

(١) اليمشود الغض الناعم يوصف به الغض والجارية .

وَأَرَخَى عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ سُتُورَهُ
كَأَنَّ الدَّرَارِي الشُّهُبَ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ
كَأَنَّ سُهَيْلًا إِذْ تَأَلَّقَ مُفْرَدًا
يُرِيدُ الثَّرِيًّا وَالْبِعَادُ يَعُوقُهُ
وَقَدْ رَقَّتِ الشَّعْرَى الْعَبُورُ لِحَالِهِ
وَقَدْ عَبَّرَتْ نَهْرَ الْمَجْرَةِ نَحْوَهُ
لِذَلِكَ مَا تَوَلَّى أَنْيَابًا وَزَفَرَةً
تُرِيدُ أَخَاهَا إِذْ أَضْرَّ بِهِ النَّوَى
كَأَنَّ ضِيَاءَ الْبَدْرِ وَالشُّهُبُ حَوْلَهُ
يَكَادُ يُرِيبُ الْجَاهِلِينَ شُعَاعُهُ
يَقُولُونَ جَهْلًا إِذْ أَضَاءَ مَعَالِمًا
بَلَى ! إِنَّهُ نَوْرُ الْهَدْيِ لَاحٍ فِي الدُّجَى
فِيَا وَهْمٌ مَا أَذْجَاكَ فِي أَغْثِنِ الْوَرَى
تَجَلَّتْ بِهِ حُورُ الْعُلُومِ عَرَائِسًا
إِمَامٌ حَبَاهُ اللَّهُ حِلْمًا وَسُودَدًا
إِذَا اسْتَصْعَبَتْ غُرُّ الْمَعَالِي لِمَعْشَرٍ
وَرَوَّضَهَا حَتَّى تَدَلَّلَ صَغْبُهَا

* * *

بِقَلْبِي وَأَذْكَى الْوَجْدُ فِي كَبَدِي جَمْرًا
يُودُونَنِي جَهْرًا وَيُودُونَنِي سِرًّا
أَبَحْتُهُمْ مِنِّي الْأَضَالَعِ وَالصُّدْرَا
أَنَا الْكُوكَبُ الْوَهَّاجُ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَّا

بِعَيْشِكَ أَنْصِتْ لِي فَقَدْ بَرَّحَ الْجَوَى
أَعْنَدَكَ أَنِّي قَدْ بُلَيْتُ بِمَعْشَرٍ
عَلَى أَنَّنِي لَا دَرَّ لِلَّهِ دَرُّهُمْ
يُودُونَ إِخْفَائِي وَهَيْهَاتَ إِنَّمَا

فأولا سماء العلم تهوى نجومها
وجندت من فكرى إليهم كتاباً
وتصميمهم حيث استقلوا سهاها
ولكن أبنت لى هممة أدبية

لأوليتهم من مقول البطشة الكبرى
توزهم أزا وتنظرهم شزرا
فلا يجدون الدهر فى حربها نصرا
سمت للعلا لا ترتضى أبداً غدرا

* * *

وهاك عروساً من بُنيات خاطرى
شريفة قدر لم أجد كفواً لها
رُشوقاً أنوقاً عذبة القول غادة
فلا تنتقدُها بالمالام فإننى

تطاولُ خوداً ألبستُ خللاً حمرا
سواك - أبا العباس - فاهناً بها بكرا
مُعطرة أرجو القبول لها مهراً
أحملُها بيتاً يكون لها عُذراً :

فإن الذى يُهدى إلى مصقعٍ شعرا
نظيرُ الذى يُهدى إلى طيبةٍ تمرا

وقال يمدح الشيخ عمر بن محمد المانجلاني بالجزائر عام ١٠٩٤

حى على الأنس إن طيف الهموم سرى
ولا تُصغِ لدواعى البث إن صدحت
واذكر معاهد قد راقَت نضارتها
لله منها أصيلان جَنيتُ بها

وسل نفسك وانهج نهج من صبرا
إن دواعيه تستجلب الضررا
فإن فى ذكرها أنسا ومعتبرا
فى روضة اللهو من نخل المني تمرا

حى على الأنس إن طيف الهموم سرى
ولا تُصغِ لدواعى البث إن صدحت
واذكر معاهد قد راقَت نضارتها
لله منها أصيلان جَنيتُ بها

بُعْدُ يُوجِجُ فى أحشائنا سقرا
نلنا عدا الأعطرين الورد والزهرا
دان خلا النيرين الشمس والقمر
أغرى بنا الأعجمين الطير والوترا

حى على الأنس إن طيف الهموم سرى
خذ ما صفا لك وانبذ كل ما كدرا
كف النسيم دُرُوعاً حُسْنُها سحرا

إذ الأعبة يعلو عن وصالهم
حيث اختلفنا ولا واث ينم بما
ولا رقيب على الأفراح يحسدنا
وزهونا بتلاقينا وألفتنا

فصاح ذاك على أفنان دوحته
وبث ذا ببنان اللذ يُحرِّكه
والبحر مثل مُذاب التبر حاك به

وَالْوُرُقُ تَسْقُطُ فِي أَمْوَاجِهِ دُرَرًا
 خَبِرَ الْجَزَائِرَ وَالدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا
 بِدْرِ الْجَلَالِ وَمِصْبَاحِ الْكَمَالِ وَمِقْدُ
 شَيْخٍ أَحَاطَ بِأَنْوَاعِ الْمَدِيحِ فَمَا
 إِنْ تَنَمَّ أَهْلَ الْعُلَا إِلَى مُحَاسِنِهِ
 ذُو هِمَّةٍ شُغِفَتْ بِالْمَجْدِ عَالِيَةٍ
 إِلَى شَمَائِلِ أَزْرَتْ بِالنَّسِيمِ ضُحَى
 مَنْ يُبْلَغُ الْأَهْلَ أَنْيَ بَعْدَ بَيْنِهِمْ
 وَقَدْ ظَفِرَتْ بِمَا قَدْ كُنْتُ أَمْلُهُ
 حَتَّى لَقَدْ خِلْتُ آمَالِي قَوَائِلَ لِي :
 مَنْ ذَا يُطَاوِلُنِي وَالْمَجْدُ صَافِحُنِي
 قَدْ كُنْتُ قَدَمًا أَرَى خَطْبَ النَّوَى ضَرَرًا
 مَا أَحْسَنَ الْبَيِّنَ إِذْ كَانَتْ إِسَاءَتُهُ
 بَقِيَّةَ السَّلَفِ الْمَاضِي وَنُخْبَتِهِ
 قَاضِي الْقَضَاةِ الَّذِي لَا شَيْءَ يَبْعُدُهُ
 بَحْرُ الْعُلُومِ الَّتِي قَدْ غَاضَ مِنْهَلُهَا
 بِدْرِ الْجَزَائِرِ صَانَ اللَّهُ بِهَجَّتِهِ
 وَبِحَرِّهَا الْعَذْبُ لَا زَالَتْ جَدَاوِلُهُ

وقال يمدح الشيخ على بركة بتطوان سنة ١٠٩٣ :

إِلَى مَ قُوَادِي يَذُوبُ زَفِيرًا ؟
 عَرَانِي مِنَ الْوَجْدِ مَا قَدْ نَفَى
 لَقَدْ كَدْتُ أَقْضَى مُعْنَى حَسِيرَا
 كَرَايَ وَأَذْكَى حَشَايَ سَعِيرَا

فمن رَقَّةٍ قد حَكَيْتُ نَسِيمًا
 وشَيْبَنِي والشَّبَابُ نَضِير
 وَمَنْ لَسَعَتْهُ أَفَاعِي الصُّدُودِ
 فَمَاذَا عَلَى وَدَّهِمْ لُودُنَا ؟
 وَمَاذَا عَلَى عَاذِلِي لَوْ غَدَا
 فَيَا عَاذِلِي لَا تَكُنْ عَاذِرِي !
 وَيَا هَاجِرِي لَا تَكُنْ وَاصِلِي
 فَمَذُ شَرِمْتُ بَرَقَ الْعَلَا وَالْهُدَى
 سَلَوْتُكَ فَانْجَابَ لَيْلُ الْأَسَى
 فَلَا مُقْلَتِي تَسْتَهِّلُ دَمًا
 وَمَنْ شَامَ بَرَقَ الْعَلَا مُسْتَطِيرَا
 وَهَانَ عَلَى الَّذِي قَدْ لَقِيَ
 وَأَنْقَذَنِي مِنْ ظَلَامِ الْهَوَى
 إِمَامٌ تَسْرِبَلُ بِالْمَكْرُمَاتِ
 وَطَاوَلَ بِدَرِ السَّمَاءِ مُنِيرَا
 وَأَضْحَى لِكَاؤِ السَّمَاءِ الْمَعَالِي مُدِيرَا
 تَوَاضَعَ حِلْمًا فَرَادَ ارْتِقَاءَ
 وَمَنْ رَامَ إِخْفَاءَ بَدْرِ الدِّيَاغِي
 تَنَاهَتْ مَسَاهِبُهُ فِي الْعَلَا
 فُطُورًا تَرَاهُ لِقَوْمٍ بَشِيرَا
 وَكَائِنَ تَرَاهُ يَفُكُّ الْمُعَمَّى
 إِلَى رَقَّةٍ لَوْ حَوَاهَا النَّسِيمُ

وَمِنْ دَنْفٍ قَدْ حَكَيْتُ نَضِيرَا
 صُدُودُ الْأَلَى أَوْدَعُونِي زَفِيرَا
 فَاجْدُرْ بِهِ أَنْ يَشِيبَ صَغِيرَا
 وَمَا ضَرَّ لَوْ نَعُشُونِي يَسِيرَا ؟
 عَذِيرَا لِمَنْ كَانَ مِثْلِي أَسِيرَا ؟
 وَلَسْتُ أُوْمَلُ مِنْكَ عَذِيرَا
 إِلَى أَنْ تُتَوَازَى الْحَصَاةُ ثَبِيرَا
 لَدَى (بَرَكَاتِ الْعَلَا) مُسْتَطِيرَا
 وَأَسْفَرُ صُبْحُ السُّرُورِ بَشِيرَا
 وَلَا كَبِدِي تَتَدَاعَى فُطُورَا
 فَلَا يَغْدِمُنْ دَدًا وَحُبُورَا
 مَتَى لَمَّا سَقَانِي نَدَاهُ نَمِيرَا
 وَكَانَ لِقَابِي الْمَعْنَى مُجِيرَا
 وَأَرْخَى إِزَارَ الْعَفَافِ كَبِيرَا
 وَسَاجَلَ قَطَرَ الْغَمَامِ غَزِيرَا
 وَأَمْسَى لِرَوْضِ الْعُلُومِ سَمِيرَا
 وَرَامَ خَفَاءَ فَرَادَ ظُهُورَا
 بِجُنْحٍ دُجَى زَادَ نُورًا كَثِيرَا
 فَلَيْسَ يُرَى لِسَوَاهَا ظَهِيرَا
 وَطُورًا تَرَاهُ لِقَوْمٍ نَذِيرَا
 وَيُوضِحُ مَا كَانَ صَغْبًا عَسِيرَا
 لَمَّا قَصَفَ الدَّهْرَ غُصْنًا نَضِيرَا

وَنَظْمٍ يُنْسِيكَ شِعْرَ (جَرِير) إِذَا أَنْتَ عَايَنْتَ مِنْهُ سُطُورًا
وَوَجْهٍ جَلَّ الْبَشَرُ عَنْهُ الْوُجُومُ فَلَيْسَ يُرَى أَبَدًا قَمْطَرِيرًا
تُضِيءُ الدِّيَاجِيرَ غُرَّتُهُ فَتَحْسِبُهَا قَبَسًا مُسْتَنِيرًا

* * *

أَلَا هَلْ أَتَى مَعَشَرِي أَنَّنِي عَلِقْتُ بِتَطْوَانٍ عِلْقًا خَطِيرًا
وَأَوَيْتُ مِنْهَا إِلَى جَنَّةٍ فَلَا شَمْسَ فِيهَا وَلَا زَمْهَرِيرًا
لَدَى عَالِمٍ قَدْ حَوَى عَالَمًا وَحَبَّرَ تَضَمَّنَ خَلْقًا كَثِيرًا
وَأَلْحَفَهَا مِنْ مُحَاسِنِهِ بَرُودًا حَكَتْ سُندُسًا وَحَرِيرًا
وَأَسْرَجَهَا بِسِرَاجِ الْهُدَى وَكَمْ مَكَّثَتْ قَبْلُ تَحْكِي قُبُورًا
فَلَا نَجَدَ إِلَّا اسْتِطَارَ سَنَى وَلَا غَوَرَ إِلَّا تَلَالًا نُورًا
وَلَا طِيرَ إِلَّا تَغْنَى سُورًا وَلَا غُضِنَ إِلَّا تَنَنَى اِرْتِيَاحًا
أَضَاءَ سَنَاها وَضَاعَ شَذَاها فَشِمِتْ سَنَى وَشِمِمْتَ عَبِيرًا
إِمَامَ الْوَرَى بِشَفِيعِ الْوَرَى أَصْبَحَ لِنِظَامِي وَكُنْ لِي عَذِيرًا
وَأَسْبَلَ عَلَيْهِ بَرُودَ الْقَبُولِ فَلَسْتُ (حَبِيبًا) وَلَسْتُ (جَرِيرًا)
وَهَبْنِي كَذَاكَ فَمَنْ لِي بِمَا أُحِلِّي بِهِ مَجْدَكَ الْمُسْتَنِيرَا ؟
وَمَنْ أَرَهَقْتَهُ خُطُوبُ الدُّنَا فَكَيْفَ يَحُوكُ الْقَرِیْضُ النَّضِيرَا ؟
فَعُذْرًا لِمَنْ خَانَهُ دَهْرُهُ وَأَخْنَى عَلَيْهِ الزَّمَانُ مُغِيرَا
وَدُونَكَ مِنِّي سَلَامًا كَرِيمًا يُفَارِحُ عَرْفُهُ رَوْضًا مَطِيرَا

وقال موشحاً مولدياً عارض به موشح ابن سهل (ليل الهوى يقظان)

يَا لَيْلَةَ الْمِيلَادِ مَا كَانَ أَحْلَى سَمْرَكٍ
شَفِيتِ إِذَا أَنْكَادِ بَاتَ يَشِيمُ غُرْرَكِ
فَاللَّهُ بِالْأَسْعَادِ بَيْنَ اللَّيَالِي نَضْرَكِ

بُنُور شَمْسِ الْبَشَرِ	أَسْرَجَهَا الرَّحْمَانُ
يَا قُوَّةً مِنْ حَجَرٍ	مَنْ هُوَ فِي الْإِنْسَانِ
بَذَى اللَّوَا وَالْقَضِيبِ	بِمُوضِحِ اللَّبْسِ
عَنْ غُرَّةِ الدِّينِ الْعَجِيبِ	بِمُبْعِدِ النَّحْسِ
مَنْ خُصَّ بِالْحُسْنِ الْغَرِيبِ	بِطِيبِ النَّفْسِ
بِالدَّعْجِ وَالْحَوَرِ	مَكْحَلِ الْأَجْفَانِ
يَبْسِمُ عَنْ كَالِدُرِّ	مَفْلَجِ الْأَسْنَانِ
إِلَى ذَوَى الْجَاهِ الْخَلُوبِ	نَبِينَا الْمَنْسُوبِ
مَنْ حَبَهُ يَمْحُو الذُّنُوبِ	الْمُصْطَفَى الْمَحْبُوبِ
مُنْبَأً عَنِ الْغُيُوبِ	مَنْوَرِ الْأَسْلُوبِ
عَلَى سَنَاهِ الْأَبْهَرِ	فَأَعْظَمُ الْبُرْهَانِ
يُفْجِمُ كُلَّ مُجْتَرَى	أَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
عَلَى الْكَلَامِ الْمُشْرِقِ	لَمْ يَقَوْ ذُو قُوَّةٍ
مِنْ شَاعِرٍ ذِي مَنْطِقِ	مَمَّنْ لَهُ قَسْوَةٌ
مَعَارِضاً فِي النَّسَقِ	أَنْ يَحْتَذِيَ حَذْوَهُ
مَنْ خَدَشَ كُلَّ مُمْتَرٍ	قَدْ صَانَهُ الْمَنَانُ
فِي أَنَّهُ مِنْ بَشَرٍ	أَيْمَتَرَى الْإِنْسَانَ
يَا مَنْ لَهُ أُذُنٌ وَعَيْنٌ	يَكْفِيكَ فِي مَجْدِهِ
أَنْ فَاضٍ مِنْ يُمْنَاهُ عَيْنٌ	وَحَارٌ فِي قِصْدِهِ
وَمَا حَوَى يَوْمَ (حُنَيْنِ)	رَوَتْ ذَوَى جُنْدِهِ
وَمَرَّ كُلُّ مَدْبِرٍ	لَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ
بِقَبْضَةٍ مِنْ حَجَرٍ	مِنْ هَزَمِ ذِي الْأَوْتَانِ

يا عِلْقُ	أَعْلَاقِ	يا خَيْرَ مَنْ خَصَّ وَعَمَ
ذُبْتُ	بِأَشْوَاقِ	إِلَى ضَرِيحِكَ الْأَشْمِ
وَقَيْدُ	إِمْلَاقِ	أَلْبَسَنِي بَرْدَ سَقَمِ
يَرْجُوكَ	ذُو الْأَشْجَانِ	فِي الْفَوْزِ يَوْمَ الْمَحْشَرِ
مُشِيبُ	الْوِلْدَانِ	بِهَوْلِهِ الْمُسْتَنْكَرِ
قَدَّرَ	رَسُولَ اللَّهِ	لِذَا الْمَعْنَى فَرَجًا
صَلَّى	عَلَيْكَ اللَّهُ	مَا لَاحَ نَجْمٌ فِي دُبَا
وَمَا شَدَا مَنْ تَاهَ		فِي لَيْلِ هَجْرَانٍ سَجَا :
(لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانِ		وَالْحُبُّ تَرْبُ السُّهَرِ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَّانِ		وَالنَّوْمُ عَنْ عَيْنِي بَرَى)

وقال في اللجأ والاضطرار إلى الله تعالى :

تَعَزَّزْتُ	بِدَى الْعِزِّ	مِنْ الشَّيْطَانِ ذِي الْأَزِّ (١)
وَمِمَّا يَنْسُبْنَ	فَكَرَى	إِلَى الشَّخْرِ (٢) أَوْ الْأَزِّ (٣)
وَمِنْ شَرِّ الذِّى	قَدْ بَزَّ	مَكْرًا نُهْيَةَ الْبَرِّ (٤)
وَمِنْ قَوْلِ	بَلَا فَعَلْ	وَفَعَلَ رَبَّهُ يُخْزَى
وَمِنْ فَقْرٍ	أَخَى ذُلِّ	وَمِنْ بُخْلِ وَمِنْ عَجْزِ
وَمَا بِالْشَّرِّ	قَدْ يَقْضَى	وَمَا بِالذُّلِّ قَدْ يَجْزَى
وَمِمَّا يَقْتَضِي	طَرْدَى	عَنِ التَّوْفِيقِ أَوْ بِهِزَى (٥)

(١) الإغراء على المعاصى .

(٢ و ٣) الاضطراب .

(٤) الرجل العاقل .

(٥) الهز : الدفع العنيف .

وَمَنْ يَشْتَهَى ضَرَى	وَمَنْ وَدَّ جَازَى (١)
وَذَى هَمَزٍ وَذَى لَمَزٍ	وَذَى غَمَزٍ وَذَى طَنْزٍ (٢)
وَذَى نَهَزٍ وَذَى نَكَزٍ (٣)	وَذَى وَكَزٍ (٤) وَذَى وَخَزٍ (٥)
وَذَى نَبَزٍ وَذَى نَحَزٍ (٦)	وَذَى نَفَزٍ (٧) وَذَى نَغَزٍ (٨)
وَذَى صَكَزٍ (٩) وَذَى مَرَزٍ (١٠)	وَرَزٍ (١١) مُفْرِع الرِّزِّ
وَذَى لَخَزٍ عَلَى بَزَى (١٢)	مِنَ الْمَلْبُوسِ مِنْ عَزٍّ
مِنَ الْعَرَبِ أَوْ الْعُجَمِ	أَوْ التُّرْكِ أَوْ الْغَزِّ
وَمَنْ فَلَمَّ أَخَى لُؤْمٍ	وَمَنْ نَزَّ أَخَى (١٣) وَفَزٍ
وَذَى جَرَحٍ بَلَا رُمَحٍ	وَذَى حَزٍّ بَلَا لَخَزٍ (١٤)
وَذَى بَزٍّ يَبْزُ الْبَزُّ	عِنْدَ الْبَزِّ بِالْبَزِّ (١٥)
وَمَنْ سَيَّرَ إِلَى عَيْرٍ (١٦)	وَمَنْ جَمَزَ إِلَى جَبَزٍ (١٧)
وَمَنْ مَنَعَى مِنَ النَّفْعِ	وَمَنْ حَجَرَى وَمَنْ حَجَزَى

-
- (١) الجَازُ : الغصص في الصدر .
 (٢) الطَنْزُ : السخرية .
 (٣) طعن .
 (٤) ضرب بجمع الكف .
 (٥) الوخز : الطعن بالرمح وغيره .
 (٦) نخس ودفع .
 (٧) ضرب بالرجل أو بالعصا .
 (٨) الإفساد بين المتحابين .
 (٩) الغمز الشديد .
 (١٠) القرص الخفيف والعيب والضرب باليد .
 (١١) الرز : الصوت .
 (١٢) اللخز : الإلحاح والبز : النزغ .
 (١٣) النز : الطياش والوفز : العجلة .
 (١٤) الحز : القطع واللخز : السكين المحددة .
 (١٥) البز : الغاية والنزع والمتاع وأخذ الشيء بحفء وقهر والسلاح ، وهى على هذا الترتيب في البيت .
 (١٦) العير : الحمار وهو هنا كناية .
 (١٧) الجمز : نزع من العدو والجيز : اللثيم .

ومن كَزَّرَ أَخِي لَزَّ (١) ومن فَزَّرَ أَخِي قَزَّ (٢)
 قَسَا قَلْبِي مِنَ الذَّنْبِ الذى يُرْبِي عَلَى الرِّزِّ
 حَنَانِيكَ أُمُولَانَا أَرَبِي سَامَعَ الرِّكَزِ (٣)
 لَأُضْنَانِي وَأَرْدَانِي سِنَانُ الْغَمِّ بِالرَّكَزِ (٤)
 فَكُنْ لِي سَيِّدِي عَوْنًا عَلَى الشَّيْطَانِ ذِي الْهَمَزِ
 وَكُنْ حِصْنِي وَكُنْ حِرْزِي وَكُنْ مَالِي وَكُنْ كَنْزِي
 بِشَمْسِ الرِّسْلِ وَبِلِ الْفَضْلِ م رُكْنِ الْعِزِّ وَالْعِزِّ (٥)
 رُسُولِ اللَّهِ سَيْفِ اللَّهِ م مَنْ أَفْنَى ذَوِي الرِّجْزِ
 صَلَاةً ثُمَّ تَسْلِيمًا عَلَيْهِ رَائِقًا الطَّرِزِ

وقال يمدح أبا علي اليوسى :

مَا لِلْأَحْبَةِ أَشْيَافَ الْجَفَا اخْتَرَطُوا أَيْنَ الْعُهُودُ وَمَا فِي الْحُبِّ قَدْ رَبَطُوا
 سَلُّوا عَلَى اضْلَعِي مَخْرَاطَ هَجْرِهِمْ إِذْ أَبْعَدُونِي وَأَغْصَانُ الْمُنَى خَرَطُوا
 أَفْدِيهِمْ وَلَطَى الْأَحْشَاءُ مَوْقِدَةً مِنْ هَجْرِهِمْ عَدَلُوا فِي ذَاكَ أَوْ قَسَطُوا
 لَوْنَفَحَةٍ مِنْ شَذَا الْيُوسَى تَشْفَعُ لِي إِلَى رِضَاهُمْ رَضُوا عَنِّي وَإِنْ سَخَطُوا
 بَلْ فِي رِضَاهُ رِضَاهِمُ وَهُوَ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْهُدَى وَالنَّدَا وَالْخُلُقُ السَّيِّئُ
 وَنُصْرَةُ الدِّينِ وَالْأَعْلَامُ طَامِسَةٌ مِنْهُ وَأَمْرُ الْجَوَى مِنْ أَمْرِهِ فُرْطُ
 وَأَرْبَعُ الْعِلْمِ لَمْ يَلْفَ بِمَنْهَلِهَا مِنَ الْإِفَاضِلِ لَا سَاقٍ وَلَا فَرْطُ
 مِنْ عِنْدِهِ لُضْيَاءُ الرُّشْدِ مُقْتَبَسٌ وَلِجِيَادِ التَّقَى وَالصَّبْرِ مُرْتَبَطُ

(١) الكز : الشحيح والزز : الطعن .

(٢) الفرز : الرجل الخفيف والقز : ما يتقزز منه .

(٣) الصوت الخفى .

(٤) الركن مصدر ركن الرمح بمعنى غرزه .

(٥) العز بالفتح المطر الشديد وهو هنا كناية .

ولأَزهَر نَشَرَ الحِلْمِ مَقْتَطُفٌ ونُجَوَاهِر سِمَطِ. العِلْمِ مَلْتَقَطُ.
دَامَتْ لَنَا وَلِدِينِ اللَّهِ غُرَّتُهُ فالِدَيْنِ لَوَلَاكَ لَمْ يُنْقَشْ لَهُ نَمَطُ.

وقال في مدح المولى إدريس بن إدريس باني مدينة فاس

كَمْ ذَا تُقَرِّطُسْنِي بِسُمْرِ نَبَالِهَا سُودُ الخُطُوبِ وَتُعْتَدِي بِشِمَالِهَا
هَذَا عَلَى أَنِّي لَجَأْتُ إِلَى حِمَى مِنْ قَدْ حَمَى مِنْ كَانَ عُرْضَ نَصَالِهَا
مَوْلَى إدريس بن إدريس بَنِي مَنْ ذَلْتُ لَهُ الْآسَادُ فِي أَغْيَالِهَا
(عَبْدُ الْإِلَهِ الْكَامِلِ) بَنِ الْمُتَرْضَى (حَسَنُ الْمُثَنَّى) ذِي اللَّهِ بِذَالِهَا
نَجْلُ الَّذِي حَازَ الْمَفَاخِرَ كُلَّهَا (حَسَنُ) الْبَتُولِ أَخِي الْعُلَا وَهَلَالِهَا
سَبْطُ. الرُّسُولِ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى الْمُخْتَارِ مِنْ أَقْبَالِهَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا صَابَ الْحَيَا وَاهْتَأَجَتِ الْأَرْوَاحُ فِي آصَالِهَا
وَعَلَى جَمِيعِ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَنْ سَلَكُوا الْهُدَى وَتَوَقَّلُوا بِجِبَالِهَا

مَوْلَايَ يَا نَجْلَ الْأُلَى شَادُوا الْعُلَا وَعَدُوا عَلَى الْأَبْطَالِ يَوْمَ نِزَالِهَا
خَلَصْ جُويَرَك مِنْ حُبُولِ (١) أَوْلَغْتَ فِيهِ الْمُدَى فَعَدَا حَلِيفَ قِتَالِهَا
فَلَقَدْ تَأَكَّدَ بَلْ تَعَيَّنَ سَيْدِي أَنْ تُنْقِذَ الْمَأْسُورَ مِنْ أَغْلَالِهَا
عَهْدِي بِمَنْ آوَى إِلَيْكَ تُجِيرُهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْشَاهُ مِنْ أَهْوَالِهَا
مَا بَالُ مِنْ أَمْسَى نَزِيلَ مَقَامِكُمْ مَدَّتْ لَهُ الْأَهْوَالُ سُودَ حَبَالِهَا
إِنْ سَاءَ مِنْهُ الْفِعْلُ قِدَمًا فَالْأُلَى سَادُوا وَجَادُوا، الْعَقْفُ عِلْقُ خِصَالِهَا
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ مِنَ الْوَرَى لَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ مِثْلِي وَالْهَى
يَا مُلْجَأَ الْمُلْهُوفِ وَالْمَكْرُوبِ يَا غَوْثَ الضَّرِيكَ (٢) مِنَ الْعَدَا وَوَبَالِهَا

(١) جمع حبل بالكسروهي الداهية .

(٢) الفقير والزمن والضرير .

عَجِّلْ بِمَا أَمَلْتُهُ مِنْ رَفْدِكُمْ
 أَتَجِدُ آمَالِي فِيكَ لَدَى الظُّمَأِ
 مَا ضَرَّ لَوْ رَوَيْتَ غُلَّ فُؤَادِهَا
 غَيْرِي يَعُوبُ بِصَفْوِ أَفْلَاجِ الْمُنَى
 ذِي قَسْمَةٍ ضَيَّرَ وَحَاشَ جَلَالُكُمْ
 قَدْ كَانَ أَجْدَرُ بِالْمُنَى لَمَّا دَنَا
 بِأَبْيَكِ وَهِيَ وَسِيلَةٌ لَا يُمْتَرَى
 وَبِمَنْ مَضَى مِنْ مَاجِدٍ أَوْ زَاهِدٍ
 مِنْ كُلِّ أَبْلَجٍ فَاضِلٍ غَمَّرَ النَّدى
 سَامِيَ الدَّرَى مُشْرِى الْقَرَى لَيْثَ الشَّرَى
 لَا تَأْخُذْنِي بِالَّذِي أَسْلَفْتُهُ
 فَلَقَدْ بَخَسْتَ بِهَا حَقُوقَ جَوَارِكُمْ
 وَرَكَضْتَ أَفْرَاسَ الْبَطَالَةِ لَا هِيَأُ
 وَالْآنَ يَاقُطَبَ الْوَرَى أَعْرِيتُهَا
 وَهَدَمْتُ مَا شَيْدَتْ أَيَّامُ الصُّبَا
 وَهَجَرْتُ سَعْدَى وَالرَّبَّابَ وَعِزَّةً
 وَتَشَوَّقْتُ نَفْسِي إِلَى تَمْرِ التُّقَى
 حَقَّقْ إِذَا أَمَلِي وَأَنْجِجْ حَاجَتِي
 وَاحْفَظْ. (أَبَى) فِي غِيَةِ شَطَّتْ بِهِ

يَا كَعْبَةَ الْأُمَالِ فِي آمَالِهَا
 نَهَرَ الْمُنَى قَدْ فَاوَصَ مِنْ سَلَمَالِهَا
 مِنْ فَيْضِهِ وَأَرَحْتَنِي مِنْ حَالِهَا
 مِنْ رَفْدِكُمْ وَأَنَا أَغْصُ بِحَالِهَا^(١)
 أَنْ تَغْبُونُوا مَمْلُوكَكُمْ بِمِثَالِهَا
 مِمَّنْ نَأَى وَبِرَشَفِ ثَغْرِ مَنَالِهَا
 بِقَبُولِهَا أَعْظَمَ بَغْرُ رِجَالِهَا
 أَوْ مَثَلِ الْهَيَّاءِ فِي أَبْطَالِهَا
 نَجْمَ الْهُدَى سَمَّ الْعِدَا وَثِمَالِهَا^(٢)
 كَهْفَ الْوَرَى مَمَاعِرًا وَثِمَالِهَا^(٣)
 زَمَنَ الصُّبَا مِنْ غِيَّهَا وَضَلَالِهَا
 وَعَدَلْتُ عَنْ سَبِيلِ التُّقَى وَظَلَالِهَا
 مَا بَيْنَ أَزْهَارِ الْهَوَى وَضَلَالِهَا
 وَبَذَلْتُ جَهْدَ الْجَدِّ فِي إِهْمَالِهَا
 فِي مَطْمَحِ الْآثَامِ أَوْ أَصْلَالِهَا
 وَرَدَعْتُ نَفْسِي عَنْ قَبِيحِ جَدَالِهَا
 وَعَدَلْتُ عَنْ مُقَلِّ^(٤) الْهَوَى وَجَدَالِهَا
 يَا مُنْجِزَ الْحَاجَاتِ قَبْلَ سُؤْلِهَا
 وَكَأَلَاهُ مِنْ غَوْلِ النَّوَى وَخَبَالِهَا

(١) الطين الأسود .

(٢) السم المنقع .

(٣) غيائها .

(٤) المقل : ثمر شجر الدوم ، والجدال جمع جدالة وهى البلع إذا أخضر واستدار قبل أن يشتد .

إِكْنَفْه حَيْثُ ثَوَى وَعَجَلَ أَوْدَةً
 وَاشْفَعَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلْنَا
 يَا فَرَعَ أَصْلَ قَدْ سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ
 وَعَلَى مَقَامِكُمْ الْعَلَى تَحِيَّتِي
 أَذْكَى مِنَ النُّوَارِ أَرْجَهُ الْحَيَاةِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا هَبَّتْ صَبَا
 وَامْنَحْهُ مِنْ فَيْضِ الْغِنَى بِسَجَالِهَا
 نَغْدُو مِنَ النَّاجِينَ مِنْ أَهْوَالِهَا
 وَابْنَ الْأَلَى مُنِحُوا النَّهْيَ بِكَمَالِهَا
 مَا رَدَّدْتَ وَرَقَاءُ فِي أَزْجَالِهَا
 وَأَنْتَ بِهِ الْأَرْوَاحُ فِي أَذْيَالِهَا
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ شَمْسُهَا وَهَلَالِهَا
 وَتَهَدَّلْتَ قَضَبُ الرُّبَا بِشَمَالِهَا

وقال وقد تعذّر عليه المسير من حضرة الشيخ اليوسى بعد ودّاعه :

سَلَامٌ [مُخْجِلٌ] عَرَفَ الْغَوَالِي
 أَمِيرَ الْعَارِفِينَ (أَبِي عَلِيٍّ)
 رَجُلًا الْوَقْتُ يَا مَوْلَايَ مِنْكُمْ
 أَلَا إِنَّ (ابْنَ زَاكُورَ) دَهَاةُ
 وَبَعْدُ إِثْرَ قَرَبِ هَاجَ وَجْدِي
 تَعَفَّنْ مِنْ وَدَاعِكَ خَلَطُ صَبْرِي
 فَأَعُوذُ بِالْمَسِيرِ غَدَاةَ يَوْمِي
 وَفِي غَدْنَا أَسِيرُ بِإِلَا وَدَاعٍ
 (وَلَوْ نَعَطَى الْخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا
 عَلَيْكَ قَضِيَّةَ الْإِحْسَانِ تُتْلَى
 عَلَى (حَسَنِ) الْمَنَاقِبِ وَالْخِلَالِ
 مَنَارَ الرَّشْدِ نَبْرَاسِ الْجَلَالِ
 بِمَنْزِلَةِ الْعِيَالِ مِنَ الرِّجَالِ
 فِرَاقُ دُرَاكُمُ مَغْنَى الْمَعَالِ
 فَمَا أَشْجَى النَّوَى عَقَبَ الْوَصَالِ !
 فَحُمُّ الْبَالِ مِنْ فَرَطِ الْخَبَالِ
 رَجَاءُ الْبِرِّ مِنْكَ مِنْ اعْتِلَالِ
 فِرَارًا مِنْ ثُمَالِهِ يَا ثِمَالِي
 وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ اللَّيَالِي
 إِلَى يَوْمِ انْفِصَالٍ بِاتِّصَالِ

وقال يمدح أبا عبد الله القُسمُطَينِي سنة ١٠٩٣ :

مُظَنَّةٌ إِتْلَافُ الْمُحِبِّ الْعَوَازِلُ
 أَلَا لَا رَعَى الرَّحْمَانُ مِنْ هُوَ عَاذِلُ

يريشون للمضنى نبال ملامهم
 يظنون أَنَّ اللّوم يُجدى وما درّوا
 أعاذلتى والعدل ليس يهلونى
 دعينى وتهيامى فلستُ ببارح
 توغلتُ أنجاد الصّابة بالصّبا
 وجئتُ فتاة الحى والحى أهل
 فأحرزتُ خصل السّبق وحدى ولم أدع
 بروحى من روجى لدّينهم مقيمة
 أولئك أحبّابى الألى صحّ ودّهم
 لقدّ حال ما بينى وبين ذراهم
 إكام وأنهار طغت ومهامه

* * *

هيامى وأنّى من لظى الشوق ذاهل
 إليهم وحدثهم بما أنا فاعل
 وطارحهم شوقى الذى أنا حامل
 وبئى لهم أنّى من البثّ قاحل
 ونئى لهم أنّى برتنى البلابل
 تطارحهم عهد الوصال بلابل
 فإنّى على عهد الوداد لخايل
 وأصبو لهم أو ينحت الطود صايل
 وما حلّ مشتاقي وما احتاج زاجل
 فقلبه خفاق ودّمعه هامل

ألا ليت شِعرى هل تقرر عندهم
 فيا مُزِمّ التّرحال أبليغ تحييتى
 ويا نفس الأسحار هبّ عليهم
 ويا ديمة الوسمى حى ثراهم
 ويا نفحة الخيرى عوجى بدورهم
 عساهم إذا طارحتهم ببلابل
 لئن شطّ ما بينى وبين أحبّتى
 أجنّ لهم أو يغمد القبر مرهفا
 عليهم سلام الله ما هام عاشق
 فلا مدّنف إلا الذى شفّه النوى

ولا زَمَنٌ إِلَّا الضُّحَى والأَصَائِلُ
ولامُتَّجِدٌ إِلَّا القَنَا والقَنَابِلُ
ولا حَسْبُ إِلَّا الحَيَا والشَّمَائِلُ
نُجُومُ الهُدَى إِذْ هُمْ سُرَاةُ أَفَاضِلُ
أَلَمْ تَرَ مَا تَلْقَاهُ مِنْهُ الْمَسَائِلُ
تَبَدَّتْ لَهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ دَلَائِلُ
هِلَالُ الْمَعَالَى أَرِيحَى حُلَايِلُ
عَلَى أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَائِينَ نَازِلُ
وَلَا يَبْلُغُ الْعُلَيَاءُ مَنْ لَا يُطَاوِلُ
وَأَمْسَتْ ضُرُوبُ الدَّهْرِ عَنْهُ تُنَاضِلُ

ولا عُمُرٌ إِلَّا الصَّبَا وَعَقِيبُهُ
ولا هِمَمٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَدْبِيَّةُ
ولا نَسَبٌ إِلَّا السَّمَاحَةُ وَالتُّقَى
وما النَّاسُ إِلَّا الْعَالَمُونَ ذَوُو الْعُلَا
ولا عَالِمٌ إِلَّا الْإِمَامُ (مُحَمَّدُ)
إِمَامٌ حَبَاهُ اللَّهُ كُلَّ فَضِيلَةٍ
سَمِيدَعُ أَهْلُ الْعَصْرِ أَرْوَعُ مَا جَدُّ
حَوَى فِي قُلُوبِ الْأَذَكِيَاءِ مَنَازِلًا
وَطَاوَلَ أَعْلَامَ الزَّمَانِ ففَقَاهَهُمْ
فَأَصْبَحَ فِي أَوْجِ الْمَفَاخِرِ رَاقِيًا

بَأَنَّكَ حَلَى الدَّهْرِ إِذْ هُوَ عَاطِلُ
وَأَنَّكَ وَقَادٌ وَغَيْرُكَ آفِلُ
وَأَنَّكَ سَحْبَانٌ وَغَيْرُكَ بَاقِلُ
تَكِلُ بِأَدْنَاهَا الْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ
فَجُرْتَ بِحَارًا مَا لَهْنٌ سَوَاحِلُ
جَدِيرٌ بَأَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الْفَضَائِلُ
وَأَضَحَّتْ بِكَ الْآمَالُ وَهِيَ مَنَاهِلُ
وَأَنَعَشَتْ بِالْإِقْرَاءِ مَا هُوَ خَامِلُ
وَلَا بَرَحَتْ تُطَوِي إِلَيْكَ الْمَرَاحِلُ
وَنُورُكَ وَضَاحٌ وَحْدُكَ فَاصِلُ
لَهَا النَّظْمُ دُرٌّ وَالْقَوَافِي خِلَاجِلُ

قَضَى اللَّهُ يَا حَبَرَ الزَّمَانِ وَعَلَقَهُ
وَأَنَّكَ شَمْسُ الْعِلْمِ وَالْغَيْرِ كَوَكَبُ
وَأَنَّكَ فِي أَهْلِ الْبَلَاغَةِ مِضْقَعُ
قَطَعْتَ بِطَرْفِ الْعِزْمِ أَكْلُ تَنُوفَةٍ
وَجُرْتَ بِرِيحِ الْعِزْمِ بَحْرًا غَطْمَطَمًا
وَعَابَرَ بِخَرَى لَجَّةٍ وَمَحْجَّةٍ
فَأَصْبَحْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ سِرَاجُهَا
فَأَعْلَمْتَ أَغْفَالَ الْعُلُومِ وَخَزَنَتَهَا
فَلَا زِلْتَ فِي وَجْهِ السِّيَادَةِ غُرَّةُ
وَدُمْتَ دَوَامَ الدَّهْرِ غَيْرَ مُكَدَّرِ
أَنْتَ عَلَى رَغْمِ اللَّثَامِ خَرِيدَةُ

بَرَهْرَهَةً رَقْرَاقَةً عَذْبَةً اللَّيْمَى
 هَدِيَّةً مِنْ يَفْدِيكَ مِنْ كُلِّ حَادَثٍ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ بَارِقٌ
 أَنَّمْ مِنَ النُّوَارِ يَصْقِلُهُ الْحَيَا
 ثَوَتْ بِقُصُورِ الْغَرْبِ وَالْأَصْلُ بِأَبْلِ
 وَفِيهَا عَلَى صِدْقِ الْوَدَادِ دَلَائِلُ
 وَمَا صَابَ هَطَّالٌ وَمَا سَحَّ وَابِلٌ
 يُبَارِي شَذَا الْغِيْطَانِ وَاللَّيْلُ رَاحِلٌ

وقال هذا الموشح في السلطان :

حُقُّ الْهِنَا وَالسُّرُورِ	مَدَى الدُّهُورِ	بَعْلِدِ الْمُخْتَارِ
المصطفى بَدْرُ الْبُدُورِ	شَمَائِلِ الصُّدُورِ	بِالنُّورِ وَالْأَسْرَارِ
وَبَابِنِهِ بَحْرُ الْبُحُورِ	دُرُّ النَّحُورِ	مُعَقَّرِ الْأَشْرَارِ
مَنْ قَدْ حَكَى يَوْمَ الْكِفَاحِ	بَيْنَ الرَّمَّاحِ	لَيْثَ الشَّرَى فِي الْغِيْلِ
عَيْنَ الرِّشَادِ وَالصَّلَاحِ	قُطْبِ الْفَلَاحِ	مَوْلَايَ إِسْمَاعِيلِ

شَمْسُ الْمُلُوكِ أَجْمَعِينَ	إِذْ لَا قَرِينَ	وَإِسْطِةِ الْعِقْدِ
لَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ	نُورٌ مُبِينٌ	فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
حَكَى جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ	فِي الْعَالَمِينَ	كَفًّا بَلَا زَنْدِ
إِذْ هُوَ عُنْوَانُ النَّجَاحِ	بَحْرُ السَّمَّاحِ	يَفِيضُ فَيَضُ النَّيْلِ
عَيْنَ الرِّشَادِ وَالْفَلَاحِ	قُطْبِ الْفَلَاحِ	مَوْلَايَ إِسْمَاعِيلِ

أَتَاكَ مَوْلِدُ الرِّسُولِ	يَا ابْنَ الْبَتُولِ	فَاضْطَدَّ بِهِ الْأَفْرَاحِ
فِي قَصْرِكَ الَّذِي يَهْوُلُ	كُلُّ الْعُقُولِ	بِحُسْنِهِ الْوَضَّاحِ
فَالْبَسَ بِهِ بُرْدَ الْقَبُولِ	يَا كُلُّ سُؤْلِ	يَارَحْمَةَ الْفَتَّاحِ
فَلَوْ حُبِّي طَيْرُ الصَّبَاحِ	نُطْقًا لَصَّاحِ	بِأَحْسَنِ التَّرْتِيلِ :
عَيْنَ الرِّشَادِ وَالصَّلَاحِ	قُطْبِ الْفَلَاحِ	مَوْلَايَ إِسْمَاعِيلِ !

وقال أيضاً مثله :

زَنْدُ سَعْدٍ أَوْرى	والهنا جاءنا سافر
وتوالتْ بَشْرَى	بهمام لنا ظافر
بالذى قدْ أَغْرَى	مَوْجَ بَحْرِ النَّدى الوافر
مَلِكُ الْبَرِّيا ^(١)	مَنْ عِدَاهُ الرَّدَى نالوا
زَاهِرُ الْمُحْيَا	ذُو نَوَالٍ لَهُ بَالُ
مَنْ سَنَاهُ أَغْنَى	عَنْ سَنَى نَالَهُ الْبَدْرُ
وَشَبَاهُ أَفْنَى	كُلِّ مَنْ شَأْنُهُ الْغَدْرُ
وَنَدَاهُ أَذْنَى	مِنْهُ مَنْ دَارُهُ مِصْرُ
وَاجِبُ عَلَى	مَذْحُهُ مَا بَدَا آلُ
وَعَلَا الثُّرَيَّا	وَتَلَا الصُّبْحُ آصَالُ
مُسْتَطَابُ مَذْحِهِ	مُسْتَبِينَ الْكِرَامَاتِ
مُسْتَتِمٌ نُصْحُهُ	عَمَّ حَتَّى الْجَمَادَاتِ
لَا يَزَالُ صُبْحُهُ	مُسْتَنِيرَ الْعَلَامَاتِ
جَاعَنَا وَفِيَا	لَهُ فِي الْمَجْدِ إِرْقَالُ
لَمْ يَزَلْ غَنِيَا	عَنْ نُجُومٍ إِذَا مَالُوا

وقال يمدحُ أبا علي اليوسى وقد ورد فاسماً سنة ١٠٩٥

عَنْ نُورِ هَدْيِكَ ثَغْرُ الدَّهْرِ مَبْتَسِمٌ	يَا وَاحِدًا وَرَدَتْ مِنْ بَحْرِهِ أُمَمٌ
هَشَّتْ لِلْقِيَاكَ فَاثٌ إِذْ حَلَلْتَ بِهَا	وَفَاسٌ لَوْلَا سَنَا وَجُودِكُمْ عَدَمٌ
فَزَهَّوْهَا بِكَ يَا مَوْلَايَ مُنْتَظِمٌ	وَأُنْسُهَا بِكَ يَا مَوْلَايَ مُنْتَظِمٌ

(١) مستعمل في البرية ولا يصح .

إِنَّ الْجَوَى بِدُونِكَ مِنْكَ يَنْحَسِمُ
 فِي النَّاصِرِيَّةِ نَصْرٌ لَيْسَ يَنْصَرُمُ
 لِمَثَلِهَا تَسْتَعِدُّ الْأَيْنُ الرُّسْمُ
 يُنَجِّدُهُ الْوَجْدُ إِذْ أَعْوَزَهُ الْحُلْمُ
 عَنْ ثَغْرِ صُبْحٍ فَيَبْدُو لِلْمُنَى عِلْمُ
 قَدْ كَادَ يَلْحَقُنِي مِنْ طَوْلِكَ الْهَرَمُ
 «وَاحِرٌ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيمُ»
 إِذَا بَدَتْ ظُلُمَاتُ الْجَهْلِ تَزْدَحِمُ

أَبْهَجْتَ عَبْدَكَ إِذْ وَافَاكَ مَكْتَسِبًا
 وَافَاكَ يَطْلُبُ نَهْجَ النَّاصِرِيَّةِ إِذْ
 وَاهًا لَهَا رَغْبَةً مَا كَانَ أَنْفَسَهَا
 أَمْهَلَتْهُ لِيَغْدَ فَبَاتَ فِي سَهَرٍ
 يَخَاطِبُ اللَّيْلَ كَيْ تَفْتَرَّ دُهُمَتُهُ
 يَا عَنَبِرَ اللَّيْلِ كَافُورَ الصَّبَاحِ أَعِذْ
 إِنْ لَمْ تَجِدْ لِي بِصُبْحٍ صِخْتُ مِنْ أَسَفٍ
 لَا زِلْتُ مِقْبَاسَ عِلْمٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ

وقال الإمام أحمد الشَّيْخُ الْإِسْبَاحِي الْحَاج :

عَنْ هَدْيِ قُدْوَتِنَا الْمُعْظَمِ	تَغَرُّ السِّيَادَةِ قَدْ نَبَسَمُ
طَيْرُ السَّعَادَةِ قَدْ تَرَنَّمَ	وَبِحَمْدِهِ عَنْ قَضْدِهِ
ر ، فِيهِ سَائِرٌ مِنْ تَقْدَمِ	شَمْسُ الْمَفَاخِرِ فِي الْأَوَاخِرِ
وَالْحِلْمُ رَائِدُهُ الْمَقْدَمِ	فَالْعِلْمُ حَشْوُ بُرُودِهِ
لَفْظُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ يُعْلَمُ	وَالدِّينُ وَالتَّوْفِيقُ مِنْ
لِرُقِيِّ دِينِ اللَّهِ سُلَّمِ	إِذْ مَدَحَ أَعْلَامُ الْهُدَى
خِلَانِ ذَاكَ بِذَاكَ مُغْرَمِ	مَقْفُوءُ أَحْمَدِ وَالْهُدَى

طَافَ الرِّشَادُ بِهَا وَأَحْرَمَ	أَبْنِيَّةَ السُّورَعِ ! الَّتِي
بُعْلَاكَ يَا مَوْلَايَ تُعْجَمُ	إِنْ السِّيَادَةُ أَحْرَفُ
أَتَقِ الرِّقَاقِ حَسْبُ يُفْهَمُ	وَلَدَيْكَ مَدْلُولُ الْحَقِّ
دُرَرُ الْمَفَاخِرِ كَيْفَ تُنْظَمُ	وَسَنَاكُمُ يَهْدِي إِلَى

فاسلّم أتنوير الزّم ان أشمس بهجته لنسلم

وقال يمدح الشيخ سعيد العميري :

هل لدى البُعد من تدانٍ يدومُ لا تدانٍ ودّاعه التّسليمُ
 فعسى ينعشُ الفؤاد ويسلّو أم يموتُ وجبّله مفصّومُ
 حسبنا الله ما لنا كلّ حينٍ ينعقُ البينُ بيننا ويحومُ
 حسبنا الله كم يقسمُ قلبي ناظرُ فاترٍ ووجهُ قسيمُ
 صاحبي صاح بي البعاد وأمستُ بي مطاياهُ ترتبي لا تريمُ
 قد ألقتُ النوى وإن عشتُ شيباً فسأصبر إلى النوى وأهيمُ
 كلّما امتدَّ بُعدنا وتناعى طابَ بعد المقام والتخيمُ
 وبُعيدَ الظما يلدُ شراب وبإثر الهجير يُهوى نسيمُ
 لا تسلّ عن حشائِ ماذا يُعاني إنّ ربّي بأمره لعليمُ
 قرطسته سهامٍ وجدٍ وعَضَ ته أفاعي الهموم فهو سليمُ
 سأنث حديثَ وجدى وبثي لِسِرِّي إذ لا خليلُ حميمُ
 لإمامٍ حوى المفاخر طُرّاً ما حوى مثلها سواه أريمُ
 لهلالِ الهدى (سعيد) المعالي من به سَعَدَ البيان الوسيمُ
 وبه انزاحَ عن صباح معانيه دُجى الشُّبّهاتِ فهو قويمُ

يا إمامَ الزمان أنت لعمري قمرُ والزمان ليلُ بهيمُ
 بسناك اهتدى الغي لفهم ضلّ عن مثله الزكيّ الفهمُ
 وبلغظكم وهو نشرُ لآلٍ فآخِرُ الدرسِ وازدهى التعليمُ
 ما رأينا ولا سمعنا كلاماً يُنعشُ الفكر قبله ويسيمُ

قد لبستم من السيادة بُرداً
دُمتَ في رفعة ودهركَ طلقُ
طَرَّاهُ الجلال والتعظيمُ
وإليك من العلى تسليمُ
ر وصابَ عليها ودَّ صميمُ
أثمرت يانع البديع بأفد
ان البيان فضاع منها شميمُ

وقال مخاطباً للقائد عبد الله الرومي وقد لزم بيته خوفاً من بعض الأشرار :

ألا أيها القائد المُجْتَبَى
ومن هو في فاس بدرٌ دجى
ومَن حاز في المجد أسمى مقام
يُطاولُ بالأفق بدرَ التَّمام
فَزِعْتُ إليكم وقد شَفَى م
وقد شَبْتُ ممَّا قُدِفْتُ به
ويا ليت من هو مثلى شج
« فلا تأخذنى بقول العدا
فما جِئْتُ شيئاً ألامُ به
أخوضُ بحار العلوم مدى
وهبنى اقترفت ذنوباً طغت
فجِلْمُك قد عم كلَّ الورى
وجُد لى بعفوك يا ربَّه
فمن لابن زاكور من متجد
فلا زلتَ ترقى سماءَ العُلا

وَمَن حاز في المجد أسمى مقام
يُطاولُ بالأفق بدرَ التَّمام
امتدادُ مقامى بهذا المقام
بإثر اثنتين وعشرين عام
يصير خبيثة إحدى الرجام
وإن أكثروا في زور الكلام
سوى أننى بالعلأ مستهام
وأسحرُ طوراً بدرَ النظام
فمِثْلُك يؤلى الذنوب العظام
وأصلح ما بين خاص وعام
فعفوك عندى المنى والمرام
سواك إذا حاربتَه اللئام
وكهفاً يلود به من يُضام

وقال في مدح تطوان :

تَطَوَّانُ ! ما أدراكما تطوانُ
سألت بها الأنهار والخُلجانُ

قُلْ إِنْ لِحَاكَ مَكَابِرُ فِي حُبِّهَا هِيَ جَنَّةٌ فِرْدَوْسُهَا الْكِتَانُ
 قال معارضاً توشيح (شقَّ جيبُ الليل عن نحر الصباح) متخلّصاً لمدح
 الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم :

عِلَّلَانِي	فَلَقَدْ	جَاءَ	الصَّبَاحُ	بُسُلَافِ	الرَّاحِ
وَأَمْرُجَاهَا	بِلَمْحَى	غَيْدِ	صَبَاحِ	وَأَمْلًا	الْأَقْدَاحِ
وَأَسْقِيَانِي	فَلَقَدْ	غَنَى	وَصَاحِ	طَائِرُ	الْإِصْبَاحِ
إِنَّ فِي الْكَاسَاتِ	مِنْ	خَمْرِ	الدَّنَانِ	سَلْوَةٍ	الْمَحْزُونِ
فَأَشْرَبْنَهَا	فَلَقَدْ	آنَ	وَحَانَ	زَمَنُ	مَيْمُونِ

* * *

مُنْ	بَدَتْ	تَطْلُعُ	أَقْمَارُ	الْمَدَامِ	فِي	سَمَا	الْفِكْرِ
قَوَّضَ	الْأَشْجَانِ	مِنْ	بَعْدِ	التَّثَامِ	رَائِدُ	البِشْرِ	
مَثَلَمَا	قَوَّضَ	غَرْبَانَ	الظَّلَامِ	أَجْدَلُ	الفَجْرِ		
بِأَلْهَا	مِنْ	خُمْرَةٍ	رَقَّتْ	مَعَانِ	مِنْ	بِهَا	مَلْبُونِ
فَاقَتْ	الْأَقْمَارُ	فِي	أَيْدِي	الْقِيَانِ	فِي	الْيَالِي	الْجُونِ

* * *

مَرْجَتْهَا	رَاحَةُ	الْإِسْكَندَرِ	بَثْرَى	أَسْرَنْدِيبِ
فَلِذَا	أَزْرَتْ	بِطْعَمِ	السُّكَّرِ	وَأَرِيحِ
وَأَشْبَبَتْ	بَسَنَاهَا	الْأَبْهَرِ	أُمْنِيَّاتِ	الشَّيْبِ
فَاسْقِنِيهَا	قَهْوَةً	تَكْسُو	الْبَنَانَ	عِنْدَ
مَكَّثَتْ	فِي	الدَّنِّ	دَهْرًا	مُنْ
			زَمَانِ	صَانِهَا
			أَفْرِيدُونِ	

* * *

بنت كرم حُبَيْتْ كَرْمُهَا لَأَبِي بَلْفَيْسِ
 وَسَقَاهَا فَبَدَّتْ نَضْرَتُهَا أَرِسْطَاطَالِيْسِ
 خَاتَمُهَا لَمَّا غَشَّتْ سَوْرَتُهَا فِي حِشْمِ الْبَنِيْسِ (١)
 زَجَلَ الرَّهْبَانُ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ فِي حِمَى عَبْدُونِ (٢)
 أَوْ فُرَادَى إِذْ عَلَاهُ الْخَفَقَانُ فَهُوَ كَالْمَجْنُونِ

* * *

هَاجَهُ ذَكَرُ عَهْدٍ بِاللَّوَى فِي ظِلَالِ الْبَانَ
 وَبِرُوحِي يَا عَذُولِي فِي الْهَوَى شَادِنُ فَتَّانِ
 وَجْهُهُ وَالْبَدْرُ فِي الْحُسْنِ سَوَا فَهَمَا مِثْلَانِ
 يَا لَهُ مِنْ أَحْوَرِ الْجَفْنِ بَرَانِ لِحِظُهُ الْمَسْنُونِ
 وَجَفَا عَيْنِي الْكَرَى لَمَّا جَفَّانِ وَصَلُهُ الْمَمْنُونِ
 لَيْتَ إِذْ مَزَّقَ صَبْرِي بِالْجَفَا وَسَبَا لُبِّي
 وَكَسَا جِسْمِي الضَّنَا وَالْدَّنْفَا وَبَرَى قَلْبِي
 يَتَّقِي الرَّحْمَنَ فِيمَنْ أَتَلَفَا دُونَ مَا ذَنْبِ
 فَلَقَدْ أَوْدَى بِرُوحِي الْهَيْمَانِ وَكَسَانِي الْهَوْنِ
 وَحَكِي لَوْني مِمَّا قَدْ عَرَانِ صَفْرَةَ الْعُرْجُونِ

* * *

يَا حَيَاةَ الرُّوحِ صَلِّ ذَا الْمُبْتَلَى بِأَلْهَوَى قَهْرَا
 لَا تَظُنَّ الْقَلْبَ مِنْهُ قَدْ سَلَا أَوْ نَوَى غَدْرَا
 لَا وَمَنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ طُرَا

(١) البنيس الدَّنَّ . انظر بحثاً حوله بعنوان (البنيس وألفاظ أخرى) في كتابنا (خل وبقل) .

(٢) دير عيرون كان بجزيرة ابن عمر من أحسن المستنزهات .

الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى الثَّابِتَ الْجَنَّانَ ذِي السُّمَى الْمِيْمُونَ
 مِنْ حِبَاهِ اللَّهِ بِأَلَايِ الْحِسَانِ وَالنَّبَا الْمَكْتُونِ

* * *

وَبِهِ أَنْقَذْنَا الرَّحْمَانَ مِنْ ظُلَمِ الشَّكِّ
 وَأَقَالَ اللَّهُ مَنَا مَنْ غُبِنَ بَيْعَةَ الشُّرْكِ
 لَمْ يُطَقْ فِي الدَّهْرِ جَهِيذٌ لِسِنَ وَصَفِ ذَا الْمَكِيِّ
 حَسْبُنَا فِي فَضْلِهِ آيُ الْقُرْآنِ ذِي السَّنَا الْمُخْزُونِ
 لَمْ يَزَلْ يُتْلَى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ صَادُهُ مَعَ نُونِ

* * *

خَاتِمُ الرُّسُلِ الْكَرَامِ الْمُصْطَفَى وَاضِحُ الْمِنَهَاجِ
 مَنْ حَبَاهُ اللَّهُ مِنْهُ شَرْفًا لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ
 هُوَ حَسْبِي فِي هُمُومِي وَكَفَى نُورُهُ الْوَهَّاجِ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا رَحْبَ الْبَنَانِ يَا مُنَى الْمُحْزُونِ
 رِشٌ كَثِيْبًا بَزَهُ صَرَفُ الزَّمَانِ ذُو الشَّبَا الْمَسْنُونِ
 يَا سَحَابَ الْبَذْلِ يَا بَحْرَ الْعَطَا يَا عَظِيمَ الْجُودِ
 كُنْ شَفِيْعًا لِلَّذِي قَدْ أَفْرَطَا فِي الذُّنُوبِ السُّودِ
 وَاسْقِ مَنْ أَظْمَأَهُ حَرُّ الْخَطَا حَوْضَكَ الْمَوْرُودِ
 أَنْتَ أَوْلَى مَنْ يَقِي ذَا الْهَيْمَانَ وَالشَّجَى الْمَفْتُونِ
 يَوْمَ يُكْسَى ذُو الْهَوَى ثُوبَ الْهَوَانِ مِنْ عَذَابِ الْهُونِ

* * *

وَعَلَيْكَ اللَّهُ صَلَّى وَعَلَى آدَمَ الْغُرِّ
 وَعَلَى الْأَصْحَابِ مَنْ شَادُوا الْعُلَا بِالْقَنَا السُّمْرِ

أَبَدًا تَنْتَرَى عَلَيْنَكُم مَّا اَنْجَلَى
هَآكِهَآ تُزْرِى بِمَنْ أَرْخَى الْعِنَانِ
وشدا لما بدا الصُّبحُ وِبَانَ
الليَّل بالْفَجْرِ
في دَم الزَّرْجُونِ
في حِمَى جَيْرُون :

* * *

«شَقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاحِ
وَبَدَا لِلطَّلِّ فِي جِيدِ الْأَقَاخِ
وَدَعَانَا لِلذِّيدِ الْأَصْطَبَاحِ
أَيُّهَا السَّاقُونَ
لَوْلَوْ مَكْنُونُ
طَائِرٌ مَيْمُونُ»

وقال في الثناء على الله عز وجل :

أَمَّا رَضَاكَ عَمُومُهُ وَخُصُوصُهُ
وَهَذَاكَ، جَلَّ هَذَاكَ، يَلْزَمُ كُلَّ مَنْ
وَجَدَاكَ مُنْسَجِمَ الْغَمَائِمِ عِنْدَ مَنْ
يَدْنُو لِمَنْ يَدْنُو لِبَابِكَ مُهْطِعًا
وَيَخُصُّ خَزَائِكَ بِأَمْخَصِّصُ كُلِّ مَنْ
سَبَحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا مِنْ كَائِنٍ
عَمَّ الْخَلَائِقَ جَوْدُكَ الْغَمْرُ الَّذِي
أَوْرَدْتَنَا مِنْ بَعْدِ مَا أَوْجَدْتَنَا
فَالرَّوْضُ قَدْ فَاحَتْ بِهِ أَزْهَارُهُ
وَالْحَوْضُ قَدْ رَقَّتْ سَجَايَا مَائِهِ
وَالْبَحْرُ قَدْ سَبَحَتْ بِهِ حَيَاتَانُهُ

فَمُنَاخَةٌ بِذُرَى الْمُنِيبِ قُلُوصُهُ
لَزِمَ الضَّلَالِ مَحِيصُهُ وَحُبُوصُهُ (١)
لَزِمَ اضْطِرَارًا مِنْ جَلَالِكَ بُوصُهُ (٢)
بِكَ وَاثِقًا ، صَدْرُ الْيَقِينِ وَبُوصُهُ (٣)
قَدْ خُصَّ فِي شَيْءٍ سِوَاكَ خُصُوصُهُ
إِلَّا وَمِنْكَ فُرُوصُهُ وَأَصُوصُهُ
مِنْهُ الْوُجُودُ عُرُوقُهُ وَفُصُوصُهُ
بَحْرًا غَلَّتْ أَصْدَافُهُ وَفُصُوصُهُ
وَالْغُصْنُ قَدْ غَنَّى بِهِ بَلَصُوصُهُ (٤)
بِهِ فَاَنْتَشَى مِنْ عَذْبِهِ دُعْمُوصُهُ (٥)
وَالْبَرُّ مِنْهُ وَعُوْثُهُ وَدُعُوصُهُ (٦)

(١) الخيصوص والحبوص : العدو السريع .

(٢) البوص : اللون .

(٣) مؤخره .

(٤) طائر صغير .

(٥) دويبة تغوص في الماء .

(٦) أراضيه ورماله .

شَهِدَتْ بِوَحْدَتِكَ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا
نطق الجمادُ بذاك والحيوانُ قد
والعالمُ العلويُّ والسفليُّ قد
رُحِمَاكَ فِي قَلْبِي الْمُجْرَحُ بِالْمُدَى
حُطَّهُ وَحُضَّهُ بِالتَّقَى يَا سَيِّدِي
وَاسْتَرْ عُبَيْدَكَ فِي دُنَاهِ وَوَارِهِ

بُعْدًا لِمَنْ قَدْ بَانَ عَنْكَ نُكُوصُهُ
بَهَرَتْ وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ نُصُوصُهُ
شَهِدَتْ بِهِ أَعْرَاضُهُ وَشُخُوصُهُ
مِنْ بَاطِلِي فَعَلَى عِزِّ حُمُوصِهِ (١)
مَنْ لِي سِوَاكَ يَحُوطُهُ وَيَحُوصُهُ
حَتَّى يُوَارِيَ جِسْمَهُ قُرْمُوصُهُ (٢)

وقال في الموضوع :

إِلَهِيَّ إِنْ كَانَتْ فِعَالِي لَا تُرْضَى
لَكَ الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ أَنْتَ مُنِيلُهُ
إِلَهِيَّ أَعْتَقْتَ الْمَسَاجِدَ (٣) كُلُّهَا
وَفِيمَا بِهِ أَرْسَلْتَ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ

فَحِلْمُكَ يَا مَوْلَايَ بِالْعَفْوِ قَدْ يَقْضَى
وَلَا خَيْرَ إِلَّا مَا لِعَفْوِكَ قَدْ يُفْضَى
مِنْ النَّارِ وَهِيَ الْبَعْضُ مِنْ مُلْكِكَ الْمَخْضَى
يُنَجِّزُ عِتْقُ الْبَعْضِ مِنْ مُعْتَقِ الْبَعْضِ

وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

لَسِنْ كَانَ وَرَدُ الْخَدِّ أَبْدَعَ فِي الصَّبْغِ
وَذَادَتْ نِبَالُ اللَّحْظِ دُونَ اقْطِطَافِهِ
فَفِي قَطْفِ وَرْدِ الْمَدْحِ مَدْحِ مُحَمَّدٍ
أَدِمَّ قَطْفَهُ تَظْهَرُ عَلَى كُلِّ حَاسِدٍ
فَفِي قَطْفِهِ قَطْفُ الْمُنَى دُونَ مَا عَنَا

وَحَاطَتُهُ حَيَاتٌ تَدَلَّتْ مِنَ الصَّدْغِ
وَبَانَتْ عَلَى مَنْ سَامَهُ سِمَةُ الصَّدْغِ (٤)
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ أَمْنٌ مِنَ اللَّدْغِ
وَتَظْفَرُ بِأَسْنَى مَا تُرِيدُ وَمَا تَبْغِي
وَهَضْرُ غُصُونِ الْبَرِّ مِنْ دَوْحَةِ الرَّفْعِ (٥)

(١) حموص الجرح سكون وزمه .

(٢) حفرته .

(٣) أعضاء السجود .

(٤) الرد والطرء .

(٥) سعة العيش وطيبه .

مُنْمَنَةً الْأَعْلَامِ بِأَهْرَةَ الصَّبْغِ
وإن كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْإِجَادَةِ وَالنَّبْغِ
وَمَدْحُكَ مِنْهُ فِي الْحَقِيقَةِ كَالنَّشْغِ^(١)
حَلَا ذِكْرُهُ يُؤَلِّي الْجَزِيلَ عَلَى الْوَشْغِ^(٢)
فإنَّهُ لِلْمُثْنَى عَلَى مَجْدِهِ مُضْغِ
فَادِّمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا فَازَ بِالنَّبْغِ
وَبَضْعَتِكَ الزَّهْرَا كَفَيْنَا كُلَّمَا مِلَغِ^(٣)
بَسَجَلٍ مِنَ الْإِحْسَانِ مُتَسِعِ الْفَرْغِ
فَذَاكَ الَّذِي نَرْجُو وَذَاكَ الَّذِي نَبْغِي
نَظِيرَ الَّذِي يَلْقَى الْهَشِيشَ مِنَ الْمَضْغِ
كَمَا غَيَّرَتْ بَيَضَ الثِّيَابِ حُلَى الصَّبْغِ
شَجَاهَا كَمَا يَشْجُو الْفَتَى وَرَمَ الرُّفْغِ
جَمِيعَ الْوَرَى مَا اسْتُوصِلَتْ شَافَةُ النَّزْغِ

فُحُكٌ فِيهِ مِنْ حُرِّ الشَّمَاءِ مَطَارِفًا
وَقُلْ وَاعْتَرَفْ بِالْعَجْزِ فِيهِ قَصِيدَةً
فَقَدْ أَفْصَحَ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ بِمَدْحِهِ
وَلَكِنَّهُ صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِ مَا
وَكُنْ ذَا خُضُوعٍ فِي خِطَابِ جَلَالِهِ
بِجَاهِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَا أَصْلَ أَصْلِهِ
وَحَقُّ أَبِي بَكْرٍ لَدَيْكَ وَبِنْتِهِ
وَحُطْنِي وَأَهْلِي مِنْ عُدَاتِكَ وَاسْتَقِنَا
خَنَانِيكَ قُدْنَا لِلْسَّعَادَةِ وَاهْدِنَا
لَقَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْيَابِ بُوسِهَا
وَعَيِّرْنَا فِيهَا قَبِيحُ ذُنُوبِنَا
فَأَنْقِذْ نُهَانَا مِنْ هَوَانَا فَإِنَّهُ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَا مُرْسَلًا إِلَى

وقال يمدح الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي :

شَاقَّتْكَ آرَامُ إِلْفِ	بَيْنَ الْعَذِيبِ وَحِقْفِ
إِذْ وَاصَلْتِكَ الْأَمَانِي	بَيْنَ ارْتِقَابِ وَخَوْفِ
فِيهَا حَوَى نَعْمَ عَيْنِ	وَرَوْحَ أُذُنِ وَأَنْفِ
مِنْ جَنَّةٍ ضَحِكْتَ مِنْ	بُكَاءِ أَجْفَانِ وَطَفِ
إِنْ غَنَّتِ الْوُرُقُ فِيهَا	أَذْكَتْ مَجَامِرَ عَرَفِ

(١) التائقين وتعليم الكلام وأيضاً الشرب باليد ، فهو تقليل له وتحقير .

(٢) التقليل .

(٣) الأحق الفاحش

وَأَوْجَسَ الْغُصْنُ أَنْسًا وَنَبَهُ الطَّلُّ نَوْرًا
خَلَعَتْ فِيهَا عِذَارِي وَلَشِمَ خَدَّ لِيُورِدِ
وَرُضْتُ فِيهَا غَرَامِي رَأَقَتْ فِرَاقَ نَسِيبِي
فَمَا التَّخْلُصُ مِنْهَا لَوْلَا مَدِيحُ هُمَامِ
لَأَنَّهُ ذُو ذِكَاةٍ وَشَمْسُ عِلْمٍ وَفَهْمِ
(مُحَمَّد) الْحَبْرُ الْأَسْمَى بَدْرٌ بَدَا نُورُهُ مِنْ
مَنْ قَدْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَصَافَحْتَهُ صَغِيرًا
يَرْتَاجُ إِنْ عَنْ بَحْثٍ وَيَزْدَهِيهِ ابْنِهَا جُ
يُبْدِي بِأَعْدَبِ لَفْظٍ إِلَى شُمُوسِ بَيَانِ
بَيْنَ الْهُدَى وَنُهَاةٍ وَبَيْنَ مَا يَقْتَفِيهِ
شَيْخٌ غَذَتْهُ الْمَعَالِي فَهِيَ بِهِ خَيْرُ رِيَمِ

فَهَزَّ عِطْفًا لِعِطْفِ يَرْنُو بِأَجْفَانِ خِشْفِ
بَيْنَ اجْتِنَاءٍ وَقُطْفِ وَرَشَفِ خِلْفِ لِقُطْفِ
يَقُودُهُ طَرْفُ طَرْفِ فَهَامَ وَضْفَى بَرَصْفِ
فِي وَسْعِ حِذْقِي وَظَرْفِي مِنْ الْغَبَاوَةِ يَشْفِي
مُبْدٍ لِمَا أَنْتَ تُخْفِي وَظَرْفُ ظَرْفٍ وَلُطْفِ
(الْفَاسِي) الْمُحَلِّي لِيُوصَفِ شُمُوسِ عِلْمٍ وَكَشْفِ
مِنْ الْعُلَا كُلِّ صِنْفِ أَكْفُ أَمْرٍ وَكَفُ
مِنْ ذِي ذِكَاةٍ وَظَرْفِ كَالْخَرْقِ يَحْطَى بِضَيْفِ
مَالًا يُودَى بِالْأَلْفِ تُضِيءُ مِنْ كُلِّ جَرْفِ
فِي النَّصْرِ أَوْثَقُ حِلْفِ وَالْعُجْبِ غَايَةُ خُلْفِ
بَدْرٌ أَفْضَلُ خِلْفِ لَأَنَّهُ خَيْرُ خِشْفِ

يُبْدِي شَائِلَ زُهْرًا	لدى خَلَّائِقَ غُلْفِ
كَالشَّمْسِ تَقْذِفُ نُورًا	لدى ثَنَاءٍ وَقَذْفِ
سَجِيَّةٌ قَدْ حَوَاهَا	عن كُلِّ أَرْوَغَ عَفٍّ
مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ أَحَاطُوا	بِكُلِّ مَدْحٍ وَوَصْفِ
قَدْ أَسْرَجُوا لِلْمَزَايَا	مِنْ الْهُدَى كُلِّ طَرَفِ
أَوْتَادُ فَاسٍ فَفَاسٍ	تَلَوُّ مِنْهُمْ بِكَهْفِ
لَأَنَّهُمْ قَدْ حَمَوْهَا	بِالْعِلْمِ مِنْ كُلِّ رَجَفِ
فَلَمْ يَهْمُوا بِنَقْصِ	وَلَمْ يَقُوهُوا بِخُلْفِ
وَمَا ابْتَغَوْا قَطُّ أَمْرًا	يَحْكِي سَحَابَةً صَيْفِ
بَلْ حَرَّرُوا كُلَّ عَدْلٍ	مِنْ الْخِلَافِ وَصَرْفِ
وَأَوْضَحُوا لِلْمَعَالِي	كُلَّ اصْطِلَاحٍ وَعُرْفِ
وَأَنْجَبُوا بِإِمَامٍ	أَبْدَى سَنَاهُمْ بِضَعْفِ
يَضِيقُ عَنْ عُسْرِ مَا قَدْ	حَوَى رَوِيٍّ وَحَرَفِ
لَأَنَّ مُجْتَمَعَهُ سَعْدَى	يُذِلُّ بَعِيَّ وَضَعْفِ
أَبْقَى سَيَادَتَهُ مَنْ	يَبْقَى بِلَا نَقْصٍ كَيْفِ

وَزَارَ أَبَا عَلِيٍّ الْيُوسَى عِنْدَ نَزُولِهِ بِصَنْهَاجَةٍ فَقَالَ فِيهِ :

بِكَ هَذَا الْمَكَانُ يَا مَنْ فِرَاقُهُ	هَالِكُنَا زَالَ نَحْسُهُ وَمُحَاقُّهُ
قَدْ أَقَامَ لِكُونِكُمْ فِيهِ عُرْسًا	فَتَحَلَّتْ بِثَلَجِهِ أَطْوَاقُهُ
وَتَغَنَّتْ رِيَاحُهُ النُّكْبُ لَحْنًا	أَرْقَصَ الْغُصْنُ بِالْحُسَيْنِ عِرَاقُهُ (١)
مَنْ لِصَنْهَاجَةٍ بِوَصْلِ (ابْنِ مَسْعُودٍ)	(د) الْإِمَامِ الَّذِي دَهَا إِشْرَاقُهُ

وسقى بحرُهُ المشارق من بُعد
(حسن) العلم والشمالك والأ
لا تحللت بحسنه غير آيا
المغارب منذ طاب مذاقه
خلاق حُسن الزمان منه اشتقاقه
م وفي فاسنا يكون اثلاقه

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

لى فى هوى المحبوب أعظم نشوة
فإذا سكرت صحت من طربى بها
فإذا صحت فما صحت عن العلا
جمحت بميدان النسب قريحى
نأدته : يا مجلى العنا رسم الهوى
فتخلصت سناءه إذ لبأها
وجدت مكان القول مفقود المدى
جم الفضائل لا يحاول حضرها
قصرت بئان الشرح عن تبينها
بهمت وحق ليمثلها فى مثله
شمس العوالم كلها ومجدها
قبل الوجود تلالأت أنواره
أصل الأصول وفرعها وملأها
ولدته آمنة أب الأب آدم
ضحكت به زمير الحقيقة إذ بكت
فمناهل الإيمان طم هداها
تأمت لكوك القول فى أمداحه

موصولة الأفراح رق طلاها
وإذا صحت سكرت من ذكراها
وإذا سكرت فما سكرت سفاها
ومديح من ساد الورى يرعاها
أرقلن بى لما امتطيت مطاها
كالشمس إشراق الضحى جلأها
سأى الذرى أعنى الورى مرقاها
غمر المزايأ عوض لا تتناها
إذ بان عجز الفهم عن معناها
والمثل مفقود لأحمد طه
فى النشأة الأولى وفى عقبها
فالعرش والكرسى بعض سناها
وسراج غيبتها وفجر دجاها
لله من تلد ابنها وأباها
فرق الردى همالة عيناها
ومنازل الخسران صم صداها
والتيه فى أمداحه أقصاها

قَدْ طَرَزَ الْقُرْآنَ بَعْضُ حُلَاهَا
 (أَسْرَى) بِهِ لَيْلًا كَفَاكَ (وطه) (١)
 أَتَنَى عَلَيْهِ اللَّهُ جَلَّ شِفَاهَا؟
 جِبْرِيلُ أَنْ يَدْنُو مِنْ أَدْنَاهَا
 مَدَحُ لِمَنْ خَفَضَ الْعُلَا وَعَلَاهَا
 فَاضَتْ بِمَا رَوَى الْجِيُوشُ مِيَاهَا
 فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ مَا أَعْلَاهَا
 مَا حَامَ خَلْقُ قَطْ. حَوْلَ حِمَاهَا
 لَا مَادِحًا (حَاشَاكَ) - عِنْدَكَ جَاهَا
 أَهْدَيْتُ أَبْكَارِي إِلَى مَوْلَاهَا
 وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْتَ مَا نَلْنَاهَا
 يَرْجُو مِنْ ادْوِيَةِ الضُّعْفَى أَشْفَاهَا
 يَرْجُو مِنْ أَسْبَابِ الْهُدَى أَقْوَاهَا
 إِذْ أَوْثَقْتَهُ ذُنُوبُهُ إِكْرَاهَا
 حَتَّى بَرَاهُ الْوَجْدُ مِنْ جَرَّاهَا
 لِحِمَاكَ مَعَ مَنْ قَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
 حَتَّى تُنَاوِلَهُ الْمُنَى يُمْنَاهَا
 بِالرَّفَقِ لَا فُظًّا وَلَا جَبَّاهَا
 سَهْلًا عَلَى الضُّعْفَاءِ لَا تِيَاهَا
 قَدْ بَصَّرَ الْأَلْبَابَ بَعْدَ عَمَاهَا
 قَدْ طَيَّبَ الْأَسْمَاعَ وَالْأَفْوَاهَا

لَا يُسْتَطَاعُ مَدِيحُ مَنْ أَوْصَاهُ
 وَإِذَا امْتَرَيْتَ فَإِنَّ (سُبْحَانَ الَّذِي
 قَالُوا : أَلَا أَمَدَحُهُ فَقُلْتَ أَبَعْدَمَا
 فِي حَضْرَةِ قُدْسِيَّةٍ لَمْ يَسْتَطِعْ
 مَا بَعْدَ مَدَحِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَبَنَانُهُ فَاضَتْ نَوَالًا مِثْلَ مَا
 وَأَنَالَهُ الرَّحْمَنُ جَلَّ مَكَانَهُ
 أَقْسَمْتُ بِالْهَيْمَانِ فِي أَسْرَارِهَا
 عُذْرًا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُكَ طَالِبًا
 وَلَكِنْ أَسَأْتُ بِمَا نَظَّمْتُ فَإِنِّي
 أَنْتَ الَّذِي - أَوْلَيْتَنَا أَسْبَابَهَا
 هَا عَبْدُكَ الْمُضْطَرُّ أَمَّ جَنَابَكُمْ
 هَا عَبْدُكَ الْمَلْهُوفُ لَآذَ بِبَابِكُمْ
 قَدْ غَلَّه الْإِيغَالُ فِي شَهَوَاتِهِ
 وَتَنَاوَشْتَهُ مُعْضِلَاتُ زَمَانِهِ
 فَإِنِّلَهُ تَخْصِيصًا بِجَرِّ إِضَافَةٍ
 وَامْنَحْهُ فِي حَدِّ الْغِنَى طَرْدَ الْعَنَاءِ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا مَنْ جَاءَنَا
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا مَنْ جَاءَنَا
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا مَنْ حُبَّهُ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا مَنْ ذَكَرُهُ

وقال في مخاطبة المولى محمد المعروف بالعالم ابن السلطان مولاي إسماعيل
على لسان الشريف الجليل المولى أبي عبد الله الصقلي :

أدامَ الله مولانا العلياً يحاكى الزُّهر والزُّهر الجنياً
ذكرى الخلق زينَ الخلق يحيى م النواظر والخواطر حيثُ حياً
وحياة الإلاه بكل فضل ولا زالَ العلاء له نجياً
أمولانا الذى خفض الثريا وبان به العلاء بشراً سويّاً
لقد أضنتُ محبتك المزايا كما أضنى الهوى غيلان ميا
بحارك لا تكدرها دلاء إذا ما كدرت يوماً ركيّاً
أمير المؤمنين أبوك من قد آتاه ربه ملكاً عليّاً
وجدك خيرُ خلق الله طراً بحسبك أن تكونَ له سميّاً
فكيف وقد عكفت على علاه وصرتَ بكنزِ سنته غنيّاً
وجنبتَ المثالب والمثاني وصيرتَ الهوى يهوى هويّاً
وبينَ يدَي خطابك يا ملاذى أبوح بما غدوتُ به شجيّاً
بعادك يا محمد وهو سُم أعان البثّ والشكوى عليّاً
ونارُ الشوق وهى أحرُ نار رأت قلبى بها أولى صليّاً
فراقك صير البيضاء (١) سوداً لأنك كنتَ كوكبها السنيّاً
أما شاقتك فأس ؟ فقبلُ شاقَت ليالى السفح مولانا الرضيا (٢)
لعلَّ أباك ينبوعُ المعالى مُعيدَ رميمِ ميث الفخر حياً
يكونُ بكم على فاس سخياً كما كان الزمان به سخياً

(١) فاس .

(٢) هو الشريف الرضى الشاعر العاطفى المشهور ويشير ابن زاكور إلى قوله :
يا ليلة السفح هلاعدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم

يَرُدُّ لِمَطْلَعِ الْخُلَفَاءِ مِنْكُمْ هِلَالَ الْفَضْلِ مُلْتاحاً بِهِيَا
فَيَسْرِجُ مِنْكَ غِيْهَبُنَا فَتَلْقَى بِكَ الْآمَالَ بَاهِرَةَ الْمُحْيَا

وقال موشحاً في السلطان على نسق (حق الهنا والسرور) :

حَدَّثَ عَنْ مَنَاقِبِ	مولانا الرَّفِيعِ الْقَدْرِ الْأَكْمَلِ
حَاصِدِ الْكَتَائِبِ	وَنَارُ الْوَعْيِ بِالْبَيْضِ تَشْعَلُ
مُخْجِلِ السَّحَائِبِ	بِالْجُودِ الَّذِي مَا زَالَ يَنْهَلُ
أَيْنَ جُودُ حَاتِمٍ ؟	مَنْ جُودِ الَّذِي سَاسَ الْبَرِيَّا
نَافِذِ الْعَزَائِمِ	مُعِيدِ السُّرُورِ الْمِيْتَ حَيَّا

دِيْمَةُ النَّوَالِ	مِلَادُ الْوَرَى غَرْباً وَشَرْقَا
فَلَا زَالَ حَالِي	بِالْعِزِّ الَّذِي يَغْلُو وَيَرْقَى
أَرْبَ الْجَلَالِ	طُوقَ مَلِكِهِ بِالنَّصْرِ طَوْقَا
أَزِينَ الْمَوَاسِمِ	أَيَا مَنْ حَوَى مُلْكاً عَلِيَّا
لَوْلَا أَنْتَ غَانِمِ	لَكَانَ الْهَنَا عَنَّا غَنِيَّا

أَفْخَرَ الْخَلَائِفِ	أَغُوْثُ الْوَرَى بَرًّا وَبَحْرَا
حَوِيَّتَ اللَّطَائِفِ	وَأَوْدَعَتْهَا بِالْقَسْرِ قَصْرَا
دُمْتَ فِيهِ قَاطِفِ	مَنْ نَخَلَ الْمُتَى وَالسَّعْدِ تَمْرَا
تَغَرُّ الْيَمْنِ بَائِمِ	وَطَيْرُ الْمُتَى يَشْدُوْ هَنِيَّا :
أَزِينَ الْمَوَاسِمِ	أَيَا مَنْ حَوَى مُلْكاً عَلِيَّا

وقال في التوسل :

إِرحمُوا عبداً أَتاكم يا موالينَا
سائِفاً^(١) تُربِ حِمَاكُم مِسكَ دَارِينَا
شاحِداً بيضَ رِداكُم لِلْمُنَاوِينَا

وقال فيه :

قَرَعْتُ بِذُلِّي بابَ العَزِيزِ وَلِلنَّفْسِ مِمَّا تَلَطَّطَ أَزِيزُ
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِذَا جِئْتُهُ ذَلِيلًا لَجَأْتُ لِحِرْزِ حَرِيزُ

وقال يمدح مدينة القصر الكبير :

أَبَى القَصْرُ إِلَّا أَنْ يَحُوزَ العُلَا قَسْراً وَأَنْ يَبْنَى المَجْدُ التَّليدُ بِهِ قَصْراً
لَنْ يَفَاتَهُ المَاءُ المُفَجَّرُ مِنْ صَفَا فَفِيهِ مِيَاهُ الفَضْلِ قَدْ فُجِّرَتْ بَحْراً

وقال يمدح أبا العباس الجرائي من أهل القصر :

بِالقَصْرِ ساداتُ ذُوو هَدَى رَضِعُوا لِبَنانِ المَجْدِ مِنْ ثُدَيِ
صاغُوا مُبالِغَةً لِحِرْزِهِمْ فِي الفَضْلِ (فَعِلاً) مِنَ الجَرَى
هُم زِينَةُ القَصْرِ وَحِلِيَّتُهُ والقَصْرُ مُفْتَقِرٌ إِلَى الحَلَى

وقال وقد أشرف على مقام الفاتح الأكبر مولانا إدريس بن عبد الله
بزرهون :

هَذَا هِلَالُ المَغْرِبِ هَذَا مُجَلَّى الغَيْهَبِ

هذا الذى أنوارُهُ	تَفُوقُ كُلَّ كَوَكَبٍ
هذا الذى مِنْ أُمِّهِ	لا يَخْتَشَى مِنْ نُوبٍ
هذا الذى مِنْ زَارِهِ	لَيْسَ يَرَى مِنْ تَعَبٍ
هذا رَفِيعُ الرُّتَبِ	هذا عَظِيمُ المَنْصِبِ
هذا عَرِيقُ الحَسَبِ	هذا شَرِيفُ النِّسَبِ
هذا الرضى إدْرِيسُ نَجِّ	لُ (الكامل) المَهْدَبِ
شَمْسُ الهُدَى ابنِ حَسَنِ	ابنِ حَسَنِ المُنْتَخَبِ
ابنِ عَلِيٍّ والبَتُّو	ل خَيْرِ أُمٍّ وَأَبٍ
بنتُ الرُّسُولِ المِصْطَفَى	المُجْتَبَى المُقَرَّبِ
مُحَمَّدُ أَزْكَى الوَرَى	مِنْ عَجَمٍ أَوْ عَرَبِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا	لَا حَ ضِيَاءُ الشُّهُبِ
وآلِهِ وَصَحْبِهِ	مِنْ كُلِّ لَيْثٍ مِخْرَبِ

وقال فى مقام القاضى أبى الفضل عياض بمراكش

هذا ضريحُك يا عياضُ	يا من (شِفَاهُ) ^(١) شِفَا المَراضِ
سَحَتْ عليه - لَأَن حَوَى	مِنكَ الحَدَائِقَ والرِّياضَ
والبَحَرَ بِحَرَ مَعَارِفِ	وعوارِفِ سَهْلِ الفِرَاضِ
دِيمُ تَلْتُ ثَرَاهُ مِنْ	رَضوانِ رَبِّ عَنْكَ رَاضِ

وقال فى مقام أبى القاسم السَّهِيلِ ثَمَّة :

سَلامُ الإِلهِ وَرَضوانِهِ	على قَبْرِكُم يا أبا القَاسِمِ
----------------------------	--------------------------------

(١) إشارة إلى كتابه (الشفا) المعروف .

يَفُوحُ ثَرَاهُ بِنَشْرِهِمَا كَفَوْحِ شَذَا (رَوْضِكَ) النَّاسِمِ^(١)

وقال بها مستدعيًا من الشيخ أبي العباس العطار أن يُقرئه أرجوزة ابن
سينا الطبيّة :

مَازَا عَلَى الْعَطَّارِ لَوْ أَهْدَى لَنَا
وَأَبَاحَنَا أَسْرَارَهَا تِلْكَ الَّتِي
إِلَى وَإِنْ شَهِدْتَ بِنَقْصِي سِرِّي
لَا أَرْضَى لِكَمَالِهِ - حَاشَاهُ - أَنْ
هَذَا وَرَايَةً حُبِّهِ وَوَدَادِهِ
وَعُصُونُ رَوْضِ الشُّكْرِ وَهِيَ نَضِيرَةٌ
نَفَحَاتِهِ مِنْ جُودَةِ الْأَرْجُوزَةِ
أَمَسْتُ عَلَى مَنْ دُونَهُ مَحْرُوزَهُ
وَبِهِ شَائِلُ شِيَمَتِي مَلْمُوزَهُ
تَبْقَى الْمَعَارِفُ عِنْدَهُ مَكْنُوزَهُ
أَبَدًا أَرَاهَا فِي الْحَشَا مَرْكُوزَهُ
مَا إِنْ تَزَالُ بِذِكْرِهِ مَهْزُوزَهُ

وكتب إلى الشيخ أبي على اليوسى :

سَلامٌ عَلَيْكُمْ وَالْحَوَادِثُ أَلْوَانُ
سَلامٌ عَلَيْكُمْ وَالْأَسَى يَتَّبِعُ الْأَسَى
سَلامٌ عَلَيْكُمْ حَيْثُ سَارَتْ خُذُوجُكُمْ
وَرَوْضُ رَبِّي الْقَفَرُ حَيْثُ حَلَلْتُمْ
أَحِبَابِنَا يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ بِهَجَةٍ
أَحِبَابِنَا يَا أَرْجَحَ النَّاسِ نُهْيَةً
أَحِبَابِنَا يَا أَرْبَحَ النَّاسِ صَفَقَةً
أَعَذِبَ شَيْءٌ مَا أَمَرٌ فِرَاقُكُمْ
أَحْسَنَ شَيْءٍ شَانِي الْبُعْدِ عَنْكُمْ
وَمِنْ دُونِ آمَالِ الْمُحِبِّينِ حِرْمَانُ
عَلَيْكُمْ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْكُمْ فَخَوَانُ
وَسَايَرُكُمْ رَوْحُ الْإِلَهِ وَرَيْحَانُ
بِهِ إِنَّ ذَاكَ الْقَفَرُ عِنْدِي عُمَرَانُ
لِبَيِّنِكُمْ بَيْنَ الْجَوَارِحِ نِيرَانُ
عَبِيدُكُمْ مُدْ سِرْتُمْ عَنْهُ حِيرَانُ
مَسِيرُكُمْ دُونِي لِلْقَلْبِ خُسْرَانُ
فَمُذْ بَنْتُمْ مَا خَامَرَ الْقَلْبَ سُلُوانُ
وَكُنْتُ بِكُمْ يَا أَجْمَلَ النَّاسِ أَرْذَانُ

(١) فيه إشارة إلى كتابه (الروض الأنف) الذي شرح به سيرة ابن هشام .

وقد كنتُ من قبل النوى شأني الشانُ
 على مُقلتي فالوجدُ من ذاك يقظانُ
 وهل للمنى بعدَ الأجابة شريانُ
 فلا ماؤها صدًا ولا النبت سعدانُ
 فحالي بما ألقى من البين سَحْبَانُ
 غريبٌ إلى لُقيا الأجابة عطشانُ
 مصيفٌ لهم حيثُ التقى الضالُّ والبانُ
 خزامى ويعصيدة^(١) وعيد^(٢) وظيان^(٣)
 وأغرته آرامُ هناك وغزلانُ
 محاجره مُزنٌ من الدمع هتانُ
 يطير به قلبٌ إليهم حنانُ
 إليكم فصدري من زفيرى ملآنُ
 لرأفته منكم ليبدُ وحسانُ
 ومالكنا والشافعى ونعمانُ
 فخلقكم يالين الخلق رضوانُ
 فنافسه فيها الثريا وكيوانُ
 فغار لها درٌ ثمينٌ وعقيانُ
 فغازله منهنَّ حورٌ وولدانُ
 فراح بها بين الورى وهو نشوانُ

أأرفع شىء حُطَّ. قدرى بينكم
 أأجود شىء ما أضنَّ خيالكم
 وعرقُ المنى من بُعدكم غير نابض
 وسيركم أدوى رياض مسرق
 لئن منطقتى قد أخرسته نواكم
 فما مُدِنفُ أضناه بُعدٌ وفرقة
 تذكّر مشاتهم بنجدٍ وهاجه
 ومربّعهم بين الربى حيث جمعت
 وشافته أحداجٌ لسلمى بعاقِل^(٤)
 متى لاح من نجدٍ بريقٌ يراق من
 وإن فاح من نجدٍ نسيمٌ عرار
 بأكثر منى حسرةً وتشوقاً
 سلامٌ على ما رافق الركب منكم
 وقُسَّ وسحبانٌ وكعبٌ وحاتمٌ
 سلامٌ كريمٌ مثلُ نسمةٍ خلقكم
 سلامٌ فتى بوائيموه مراتباً
 وطوقتموه لا لشيءٍ فلائداً
 وأوليتموه لا بمنٌ فوائداً
 وسقيتموه كآسٌ ودٌ رويةً

(١) اليعصيدة : بقلة من الأحرار تشبها الإبل .

(٢) العيد : شجر يتداوى به .

(٣) الظبان : نبت يشبه النسرين .

(٤) العاقل يطلق على مواضع سبعة .

وكان بكم ، فالله يجمعه بكم ،
 علينا إذا شئنا محياك يا أبا
 وتمزيق أطمار الكتابة عند ما
 وشمس ويدر نيران ووابل
 ورضوى وسلمى فى الوقار وشمخ
 هناك ابن زاكور يتم مراده
 قريبا يسلى الهم والهم غضبان
 على لما تقضى المسرة إذعان
 يقابلنا منكم غدير وبستان
 وبحر طمى من فيضه العذب خلجان
 بنجد وأطواد السراق وثهلان
 ويبدو له وجه المني وهو حسان

وقال يمدح القائد عبد الخالق الروسى :

فرجت من همى ومن بؤسى
 عبد لخالقه وبارئه
 رأس الرووس وخيرهم حسبا
 أبهاهم وجهاً وأوجههم
 أنداهم كفاً أكفهم
 أنقاهم ثوباً وألبسهم
 أزكاهم غرساً وأغرسهم
 أحماهم للفخر أحرسهم
 أذكاهم نفساً وأنفسهم
 أسداهم خلقاً وأحسنهم
 أعلامهم همماً أهمهم
 أحلاهم ذكراً وأذكرهم
 مثل ابن زاكور وحسبك ما
 بمدح صفو الصفوة الروسى
 غوث لملهوف وموكوس
 وأجلهم فى نفس مرووس
 فى أعين الأعيان والروس (١)
 عن فعل محظور وملقوس (٢)
 للمجد وهو أجل ملبوس
 للخير وهو أجل مغروس
 للفضل وهو أجل محروس
 نفساً وأرافهم بمنفوس
 خلقاً وأخلقهم بتنفيس
 بفكاك مصفود ومحبوس
 لشج عديم الذكر ذى بوس
 أولاه من بر وتانىيس

(١) مخفف الرووس ورؤوس القوم أكابريه .

(٢) معيب .

أولاه ما يبقى له أثرٌ في أوجُه الغرِّ الأماليس
هُوَ إِذْ حَبَاهُ بِمَا حَبَاهُ بِهِ فِي حُكْمٍ مَعْقُولٍ وَمَحْسُوسِ
قَامُوسٍ مُكْرَمَةٍ طَمَى فحبا قَامُوسٍ مُحَمَّدَةٍ (بقاموس)
فَلَهُ الْمَحَامِدُ مِثْلُ طَلْعَتِهِ مَجْدُودَةٍ فِي عَرْشِ بَلْقِيسِ

وقال يمدح الشيخ أبا عبد الله القسمطيني

يا من أَلَحَّ عَلَيَّ فِي الْإِنْشَادِ وَمَدِيحِ شَيْخِي غُنْيَةِ الْقُصَادِ
بَلَّغْتَ أَسْمَاعِي وَذَاكَ مُرَادِي لَوْ أَنَّي أَحْظَى بَبَعْضِ مُرَادِي
أَمَّا الْمَدِيحُ فَإِنَّهُ مِنْ صَنْعَتِي قَدِمًا وَحَوْكُ بَرُودِهِ مِنْ قَادِي (١)
لَكِنْ عَجَزْتُ وَحُقُّ لِي عَنْ مَدْحٍ مِنْ مُدَحَّتْ بِهِ زَمْرٌ مِنَ الْأَمْجَادِ
وَأَبَتْ لَهُ هِمَّائِهِ مِيلًا إِلَى التَّشْرِيفِ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
وَرَأَى الْكَمَالَ بِأَنْ يَكُونَ كَمَالُهُ يَسْرَى إِلَى الْآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ
وَالِي الزَّمَانِ مَعَ الْمَكَانِ كَمَطْلَعِ مِ الْأَنْوَارِ مِنْهُ وَمَوْضِعِ الْمِيلَادِ
إِيهِ قُسْنَطِينَةُ فِخَارِكِ فَافْخَرِي أَنْ كُنْتَ مِنْشَأَهُ عَلَى بَغْدَادِ
وَتَطَاوَلِي حَتَّى تَفُوقِي قَلْعَةَ نُسَبَتِ لَدَيْكَ إِلَى بَنِي حَمَّادِ
أَنْجَبْتَ فِي الْعَصْرِ الْأَخِيرِ بِفَاضِلِ سَادِ الْمُقَدَّمِ عَصْرُهُ مِنْ هَادِ
وَنُتِجَتْ بِلَرْ مُحَاسِنِ أَضْوَاوِهِ مُزْرِيَّةٌ بِالْكَوْكَبِ الْوَقَّادِ
بِرَجَالِهَا تَسْمُو الْبِلَادُ فَهَمَّ لَهَا كَالدُّرِّ فِي اللَّبَّاتِ وَالْأَجْيَادِ
وَالْغَيْثِ لِلْمِجْدَابِ أَوْ كَالْمَاءِ مِ لِلْهَفَّانِ وَالْأَرْوَاحِ لِلْأَجْسَادِ
وَلَفَّاسُنَا أَوْلَى بِذَلِكَ لَكُونَهُ فِيهَا الْمَنَارِ مَنَارِ رَشِيدٍ بَادِ

(١) القاد والقيد القدر ، يقال بينهما قيد ربح وقاده ، ولا نرى مناسبة له هنا . ويصح أن يكون مصحفاً من عاد جمع عادة .

وَالْبَحْرَ بِحَرِّ الْعِلْمِ يَقْذِفُ لُجَّةً م
وَالرَّوْضَ رَوْضَ الْبِشْرِ يُثْمِرُ دَوْحَهُ
وَالْغَيْثَ غَيْثَ الْفَضْلِ يُمَطِّرُ وَبِلَهُ
وَالطَّوْدَ طُودَ الْحِلْمِ لَيْسَ يَسُوْمُهُ م
وَالْبَدْرَ بَدْرَ الْحُسْنِ يَسْطَعُ نُورَهُ
وَالشَّمْسَ شَمْسَ النَّبْلِ بَاهِرَةَ السَّنَا
دَامَتْ لَنَا وَلَنْ يَرُودُ بِهَا الْمُنَى
وَقَالَ مَادِحًا :

يَا لُجَّةً عِلْمًا وَدِيمَةً نَائِلِ
فَاطِمَ ذِي وَأَفَاضَهَا وَأَجَلَّهَا (١)
فَتَلَاقَتَا فَتَبَارَتَا فِي نَائِلِ
فَتَسَاوَتَا فِي قَسَمِهَا إِذْ لَمْ يَجِدْ
فَاسْلَمَ بِتَفْرِيجِ الْمُلَمَاتِ الَّتِي
وَاخْلُدْ وَمِثْلُكَ وَهُوَ أَنْتَ مُخْلَدٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا ابْنَ الْأَلَى حَوْتَ الْمَفَاخِرِ كُلِّهَا
وَعَلَكَ أَوْ وَحَلَكَ وَهُوَ يَمِينُ مِنْ
مَا أَنْتَ إِلَّا مُزَنَةٌ مِنْ نَائِلِ
وَالْفَضْلُ أَفْضَلُ مَنْ تَوَلَّى أَمْرَ مَنْ
قَدِمًا وَأَنْهَلَهَا الْعَلَاءُ وَعَلَّهَا
بَهْرَتُهُ آيٌ مِنْهُمَا فَتَوَلَّاهُ
قَالَ الْعَلَا يَا فَضْلُ قُمْ فَتَوَلَّاهُ
رَبَطَ. الْفَضَائِلُ بِالْفِعَالِ وَحَلَّهَا

(١) أَكْثَرُ عَطَاءِهَا .

(٢) جَعَلَهَا تَنْهَلُ وَتَنْصَبُ .

(٣) حَمَلَهَا وَرَفَعَهَا .

وَأَجْلَهَا وَأَقْلَهَا وَأَهْلَهَا
من غيمها ذى الجود إِلَّا طَلَهَا

فَسَمَّالَهَا فَأَمَّالَهَا وَأَسَّالَهَا
فَاهْتَزَّ مَوْقِعُهَا الْجَمَادُ وَلَمْ يَنْلِ

وقال في هذا الغرض :

ونيلك ما تُريدُ على التَّمامِ
تَقُودُ لَكَ الْأَمَانِي فِي زَمَامِ
ذُلُولًا فِي مَطَاوِعَةِ الْإِمَامِ
وإن سَكَنَ الْبَوَازِخُ مِنْ شَمَامِ^(١)
وَأَخْدَمَكَ الْمُلُوكُ مِنَ الْأَنَامِ
وَلَقَّكَ الْبَشَائِرُ بِالْدَّوَامِ
سُمُوءًا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِ سَامِ
وَقَدْ حُسِبَ الْكَرَامُ مِنَ اللَّثَامِ
إِذَا قَالَ الثَّنَاءُ بِكَ اعْتِصَامِي
وَقَدْ عَاضَ اللَّثَامُ بِالْإِبْتِسَامِ
(فَنِعْمَ « النَّجْدُ » مِنْ بَطْلِ تَهَاي)
بِأَنَّ الْفَضْلَ فَضْلُكَ جَدُّ نَامِ
بِأَنَّ الْخَيْرَ قَالَ بِكَ ارْتِسَامِي
بِأَنَّ الْمَجْدَ قَالَ بِكَ اهْتِمَامِي
بِأَنَّ الْعِزَّ عَزَّكَ فِي انْتِظَامِ
لِرَبْعِ عِلَاقِ يَا مَوْلَايَ حَامِ
عَلَى مَغْنَاكَ مُشْدُولِ الْقِرَامِ^(٢)

لَكَ الْبُشْرَى بِتَيْسِيرِ الْمَرَامِ
بِحَمْدِ اللَّهِ أَصْبَحْتَ اللَّيَالِي
بِحَوْلِ اللَّهِ أَضْحَى كُلُّ صَعْبٍ
بِقَضْلِ اللَّهِ ذَلٌّ لَكَ الْمُتَنَاوِي
فَظَفَرَكِ الْإِلَهُ بِكُلِّ بَاغٍ
وَأَسْمَعَكَ الْهَوَاتِفَ بِالتَّهَانِي
وَأَبْقَى كَعْبِكَ الْمَيْمُونَ يَسْمُو
فَنِعْمَ الْغَيْثُ سَيْبِكَ وَهُوَ هَامِ
وَنِعْمَ الْبَحْرُ فَضْلُكَ وَهُوَ طَامِ
وَنِعْمَ الْبَدْرُ وَجْهُكَ حِينَ يُمْسِي
وَإِنْ كَشَفْتَ لَطَى الْهَيْجَاءِ سَاقًا
أَعْنَدَكَ دَامَ عِنْدَكَ كُلُّ فَضْلٍ
أَعْنَدَكَ دَامَ عِنْدَكَ كُلُّ خَيْرٍ
أَعْنَدَكَ دَامَ عِنْدَكَ كُلُّ مُجْدٍ
أَعْنَدَكَ دَامَ عِنْدَكَ كُلُّ عِزٍّ
وَأَنَّ الْحِفْظَ حِفْظُ اللَّهِ رَبِّي
وَأَنَّ السُّتْرَ سِتْرُ اللَّهِ أَضْحَى

(١) جبل بعينه .
(٢) القرام الستر والثوب .

وَأَنَّ الْفَضْلَ فَضْلُ اللَّهِ أَمْسَى
وَأَنَّ الرُّشْدَ وَالتَّوْفِيقَ مَا لَا
فَلَا بَرَحَتْ تُقَادُ لَكَ الْأَمَانِ
بِعُقْرِ ذَرَاكَ مِنْسَجِمِ الْعَمَامِ
لِمَنْ يَهْوَاكَ مِيلَةً مُسْتَهَامِ
عَلَى وَفْقِ الْمَنَاقِبِ وَالْمَقَامِ

وقال للقائد أبي علي بن عبد الخالق :

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ عِيدُ الْوُدُودِ
أَنْتَ لِلْأَعْيَادِ عِيدٌ وَزَيْنٌ
وَهَنِيئاً لَكَ بِالْعِيدِ أَيْضاً
مَنْ يَرَى مِنْكَ هَلالاً بَعِيدٍ
أَوْ يَرَى يَوْماً عَظِيماً شَهِيداً
وَيَرَى شَمْسَ سَنَاءٍ تَبَدَّتْ
أَوْ يَرَى وَجْهَ كَرِيمٍ كَرِيمٍ^(١)
عَشِيقَتُ مَنْهُ الْمَعَالَى مَجِيداً
رَاقٍ فِي جِيدِ الزَّمَانِ حِلَاهُ
فَلَهُ الْحُسْنُ الَّذِي حَرَّكَ الْغَيَّ
وَلَهُ الْوَجْهَ الْبَهِيجُ الْمَجْلَى
وَلَهُ الذِّكْرُ الذَّكِيُّ شِذَاهُ
وَلَهُ الْحَمْدُ الْأَنِيقُ الْعُقُودُ
وَلَهُ الْفَضْلُ الْمُبَارَى نَدَاهُ
يَا هَلالَ الْعِيدِ فِي عَيْنِ غَيْدِ
فَهَنِيئاً بِسَنَاكَ لِجَعِيدِ
بِفَخْرِ الدِّينِ وَزَهْوِ السَّعِيدِ
يَجْتَلِي عِيدَيْنِ وَقْتَ الشُّهُودِ
يَالَهُ فِي دِينِنَا مِنْ شَهِيدِ
فَتَهَادَتْهَا بِرُوحِ السُّعُودِ
يَتَدَلَّى لِكُدُودِ^(٢) كُدُودِ
لَا مَجِيدَ لَعْلَى مِنْ مَجِيدِ
مِثْلَ مَا رَاقَ حَلِيٌّ بِجَعِيدِ
رَاقٍ لِلْعَادَةِ ذَاتِ الْعُقُودِ
ظُلُمَاتٍ مِنْ نَوَائِبِ سُودِ
وَلَهُ الْعَرَضُ النَّقِيُّ الْجُلُودِ
وَلَهُ الْمَجْدُ الرَّقِيقُ الْبُرُودِ
لُجَجَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ الْمَدِيدِ

(١) الرَّمُّ الظُّبْيُ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ وَسَهْلُ الْمَزَاجَةِ وَالتَّجْنِيسُ .

(٢) كُدُودُ الْأَوَّلِ فَعُولٌ مِنَ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ وَالثَّانِي تَشْبِيهُ بِالْكَدِّ فِي ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ

كُدُودُ كُدُودِ الْقَزْرِ يَنْسَجُ دَائِباً وَيَهْلِكُ غَمّاً وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُهُ

ظَلَمَ الْخَطْبُ الثَّقِيلُ الشَّدِيدُ
 زَيْدٌ مَدْحًا قَالَ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟
 بِمَكَانِ جَدِّهِ فِي الْجُدُودِ
 أَيْ أَبِ عَالٍ وَبِخْتِ عَتِيدِ
 مَدْحًا مِنْ ذِي مَقَالٍ سَدِيدِ
 بَلْبِيدٍ كَفْرُهُ فِي النَّشِيدِ
 جَاءَهُ كُلُّ قَرِيبٍ بَعِيدِ
 بَعْدَمَا كَانَ لَقِيَ فِي الصَّعِيدِ
 دَرَّةَ التَّاجِ عَلَى رَأْسِ رُودِ
 حِينَ عَمَّ الْخَلْقَ خُلُقُ الْعَبِيدِ
 فَعَدُوا مِنْ خَوْفِهِ كَالْفُهُودِ
 وَمَسَاءً فِي صَبَاحِ السُّعُودِ
 وَهَزِيعًا مَظْلَمًا لِلْعَبِيدِ
 شَاكِرًا فَضْلَ عَزِيزٍ حَمِيدِ

وَلَهُ الْعَقْلُ الْمُجَلَّى سَنَاهُ
 وَلَهُ الطَّبِيعُ السَّلِيمُ مَتَى مَا
 وَلَهُ سَعْدٌ يُرَى فِي السُّعُودِ
 فَكَلَّا الْجَدَّيْنِ أَشْرَفُ جَدُّ
 وَلَهُ النَّفْسُ الَّتِي أَكْسَبَتْهُ
 يَقْتَدِي أَنْ قَالَ مَدْحًا بِحَقِّ
 كُلَّمَا هُمْ بِنَظْمِ الْقَوَافِ
 يَرْتَقِي مِنْ صَنْعِهِ لِلثَّرِيَا
 يَا أَبَا الْعَالِي الْمَقَامِ عَلِيُّ
 يَا ابْنَ عَبْدِ الْخَالِقِ الْحُرِّ الْأَسْمَى
 يَا ابْنَ لَيْثٍ مَلَأَ الْأُسْدَ رَعْبًا
 دُمُ صَبَاحًا فِي مَسَاءِ الْوُدُودِ
 وَنَهَارًا مُشْمِسًا لِمَحِبِّ
 وَكَمَا أَنْتَ عَزِيزًا حَمِيدًا

وقال مَوْلِدِيَّةٌ :

صَلَاةُ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ عَلَى مَنْ أَتَى مِنْ صَمِيمِ
 قُرَيْشٍ وَلَاةُ الْحَطِيمِ يَتِيْمَةً عِقْدُ الْوُجُودِ

تَرَى هَلْ تَعُودُ السُّعُودُ وَتُنَجِّزُ تِلْكَ الْوُعُودُ
 وَيُورِقُ لِلْوَصْلِ عُودُ ذَوَى بَعْظِمِ الصُّدُودِ
 وَتَجْمَعُنَا دُونَ بَاسِ مَغَانِي التَّهَانِي بِفَاسِ

نَحْيِي	بورِد	وَأَسْ	بِأَكْنَافِ رَوْضِ مَجُودٍ
وَيَجْمَعُنَا	كُلُّ	عَيْدٍ	وَكُلُّ زَمَانٍ سَعِيدٍ
فَنَنْظُمُ	فِيهِ	الْقَصِيدَ	وَكُلُّ كَلَامٍ مُفِيدٍ
وَنُنَشِّدُ	حُرَّ	الْكَلَامِ	وَنُنَسِّقُ دُرَّ النَّظَامِ
وَنَكْشِفُ	عَذَا	الظَّلَامِ	بَخُورَ لُحُونِ التَّشِيدِ
وَنُثَبِتُ	حَلَى	الْبَدِيعِ	بِتَيِّجَانِ شَهْرِ رَبِيعِ
وَمَوْلِدِ	طَه	الرَّفِيعِ	فَاعْظِمْ بِهِ مِنْ وَدُودِ
وَأُبْهِجُ	نَفْسِي	بِمَا	يُبْصِرُهَا مِنْ عَمَى
وَيُورِثُهَا	عَنْ	ظَمَا	مَوَارِدَ لَيْسَتْ تَبِيدُ
مَوَارِدَ	مَذْحِ	الرَّسُولِ	مُحَمَّدٍ أَصْلِ الْأُصُولِ
عَلَيْهِ	صَلَاةٌ	تَصُولُ	عَلَى صَلَوَاتِ الْعَبِيدِ
عَلَيْهِ	صَلَاةٌ	الْإِلَهِ	صَلَاةٌ تُعَلِّي عُلَاهِ
وَتُظْفِرُهُ	مِنْ	مُنَاهِ	بِكُلِّ طَوِيلٍ مَدِيدِ
عَلَيْهِ	صَلَاةٌ	قَدِيمِ	حَبَاهُ لِيَخْلُقَ عَظِيمِ
وَأُثْنِي	عَلَيْهِ	الْكَرِيمِ ^(١)	بِهِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ

* * *

صَلَاةُ	السَّمِيعِ	الْعَلِيمِ	عَلَى مَنْ أُنَى مِنْ صَمِيمِ
قُرَيْشٍ	وُلَاةِ	الْحَظِيمِ	يَتِيمَةِ عِقْدِ الْوُجُودِ

وقال مضمناً أحرف اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقد أنشد أبياتاً^(٢)

(١) إظهار في محل الإضمار .

(٢) وهي :

أحرف أربع بها هام قلبي	وتلاشت بها هموي وفكري
ألف ألف الخلائق بالود	فلام على السلامة تجري
ثم لام زيادة في المعاني	ثم هاء بها أهيم وأدرى

للحلاج ضمنها أحرف اسم الجلالة :

وَأَنَارَتْ بِإِذْنِ رَبِّي فِكْرِي	أَحْرَفُ أَرْبَعِ شَفْتِ دَاءِ صَدْرِي
ثُمَّ مِيمُ الْمُرَادِ يَبْدُو لِحُرِّي	وَهِيَ مِيمُ الْمُنَى فَحَاءُ حَيَاةِ
وَنَجَاحِ وَيُسْرَةٍ بَعْدَ عُسْرِ	ثُمَّ دَالُ الدُّنُوِّ مِنْ كُلِّ يُمْنِ

الرَّبْعِيَّاتُ وَالزَّهْرِيَّاتُ

قد أنعم البستان

جاء	الأصيل	مُخِي قَتِيل	النَّائِبَات
قُمْ يَا حَمِيم	نُبْرَدُ حَمِيم	الحَسَرَات	
قَدْكَ مِنَ الْأَشْجَانِ	يَا مَنْ لَهُ قَلْبٌ رَفِيقٌ		
إِضْغَ إِلَى أَلْحَانِ	وَرَقِي تُنَادِي مِنْ سَحِيقِ		
قَدْ أَيْنَعَ الْبُسْتَانِ	فَهَاتِهَا مِثْلَ الْعَقِيقِ		
تَشْنِي غَلِيل	صَبُّ غَلِيل	ذِي زَفَرَات	
هَبْ النَّسِيمِ	يُنْهَدِي شَمِيمِ	الزَّهْرَات	
وَالشَّمْسُ بِالْوَرَسِ	تَرْقُمُ بِالرَّقْصِ مُلَا		
تَفْعَلُ بِالنَّفْسِ	فِعْلَ الْخَلِيجِ بِالطَّلَا		
حَتَّى عَلَى الْأُنَيْسِ	يَاذَا الْأَسَى وَانْظُرْ إِلَى		
غُصْنٍ يَمِيلُ	بَصْبَاً بَلِيلِ	ذِي نَسَمَات	
مَنْ لَا يَهْيَمُ	بِشَذَا النَّسِيمِ	أَفْسَى الْقُسَاةِ	

الروض في الصباح

الروضُ فِي الصَّبَاحِ	نَشْوَانُ	مِنْ طُلُوعِ
أَرْسَلَ بِالْأَقَاخِ	مَهْذَبِ	العُقُولِ
تَرْوِي بِهِ الرِّيحَ	شَمَائِلِ	الرُّسُولِ
يُعَلِّمُ الطَّبِيبِ	كَيْفِيَّةَ	العِلَاجِ

إِذْ نَشَرُهُ مُذِيبٌ	بُرُودَةٌ	الْمِزَاجُ
فَيَنْشَنِي	الْبَلِيدُ	فِي وَصْفِهِ يَقُولُ
مَا يُطْرَبُ	الْجَلِيدُ	وَيُخَصِّمُ الْعَذُولُ
وَيُبْرِي	الْعَمِيدُ	ذَا السَّلُّ وَالذُّبُولُ
أَنْبَأْنَا	الْقَضِيبُ	فِي ضِمْنِ الْاِحْتِیَاجِ
أَنْ الدُّنَا	تَطِيبُ	لِتَارِكِ اللَّجَاجِ
وَاللَّذَى	يُدِيرُ	كُؤُوسَ الْاِعْتِبَارِ
فِي رَوْضِهِ	النَّضِيرُ	بُرْهَانَ الْاِفْتِقَارِ
يَعْلُمُهُ	الْبَصِيرُ	كَالشَّمْسِ فِي النَّهَارِ
بَيْنَا يُرَى جَدِيبٌ		فِي شِدَّةِ اِحْتِیَاجِ
إِذَا بِهِ خَصِيبٌ		فِي حُلِّ اِبْتِهَاجِ

عشبة أنيقة

وعشبة ما كان آنق حُسْنُهَا
خَلَعَتْ عَلَى الْبُسْتَانِ حُلَّةَ عَسْجَدٍ
فَلِذَا الْغُصُونُ تَمَايَلَتْ وَتَعَانَقَتْ

تَبَلَّتْ فُوَادِي بِالسَّنَا الْوَضَاحِ
نَدَبَتْ حَلِيفَ الْوَجْدِ لِلْأَفْرَاحِ
طَرِبًا بِشَدْوِ بِلَابِلِ الْأَدْوَاحِ

سرح جياذ اللحظ

سَرَحَ جِيَاذَ اللَّحْظِ فِي ذِي الْبِطَاحِ
وَانْظُرْ إِلَى الْبُسْتَانِ فِي حُلَّةِ
وَأَيْنَعَتْ بِالنُّورِ أَفْنَانُهُ
قَدْ أَقْبَلَ الْأَنْسُ وَفَرَّ الْأَسَى
فَاشْرَبَ طِلَا الْأَفْرَاحِ فِي ظِلِّهِ

قَدْ عَرَبَدَ النُّوَارُ فِيهَا فَفَاحِ
قَدْ ذَهَبَتْهَا شَمْسُ هَذَا الصَّبَاحِ
فَغَرَّدَ الْقُمْرَى عَلَيْهَا وَصَاحِ
وَأَدْبَرَ النَّحْسُ وَجَاءَ النَّجَاحِ
فَلَيْسَ فِي كَاسَاتِهَا مِنْ جُنَاحِ

نشوتي أولى

كُنْ عَاذِلِي أَوَّلَا	فَالنَّشْرُ فَاح	مِنْ الْأَقَاحِ
فَنَشْوِي أَوَّلِي	مَنْ لَحِي لَاح	بَيْنَ الْبَطَاحِ
دِرَاهِمُ النُّورِ	وَشَتْ بُرُودِ	خُضِرَ النُّجُودِ
وَنَفْحَةُ الْخَيْرِي	جَاءَتْ تَقُودِ	سَعْدَ السُّعُودِ
وَنِعْمَةُ الطَّيْرِ	أَنْسَتِكَ عُودِ	غَيْدَاءَ رُودِ
حَادِي الْمَنَى أَمَلِي	آيَ انْشِرَاحِ	ذَاتَ اتِّضَاحِ
لِلَّهِ مَا أَحْلَى	نَشْرَ الْأَقَاحِ	مَعَ الصَّبَاحِ
مَا أَبْدَعَ الْبُسْتَانِ	قَدْ اكْتَسَى	بِالسُّنْدُسِ
مُكَلَّلَ الْأَفْنَانِ	لَا يَأْتِسِي	بِمَنْ نَسَى
فَاطْرَبَ بِهِ كَيْلًا	تَرْضَى اللَّوَّاحِ	فَهُوَ النِّجَاحِ
وَلَا تُطْعَ نَذْلًا	يَرَى الْجُنَّاحِ	فِي الْارْتِبَاحِ

لتشكر من طرز البستان

أَرْسِلْ جِيَادَ النَّظَرِ	وَاعْتَبِرْ	وَاشْرَبْ طِلَالَ السَّلْوَانِ
وَذُدْ شُرُودَ الْغَيْرِ	وَلْتَنْشُرْ	مَنْ طَرَزَ الْبُسْتَانَ
حَلَاهُ غِبُّ الْمَطَرِ	بِالسَّزْهَرِ	مُكَلَّلَ التَّيْجَانِ
وِطَائِرُ الْبِشْرِ صَدَحَ	لِأَنَّ قَدَحَ	زَنَدَ الْمُنَى السَّعْدِ
بَاكَرَ مَعَاهِدَةَ الْفَرَحِ	فَقَدْ شَرَحَ	جَمَالَهَا الْوَرْدِ

* * *

وَاعْتَنَقَتْ هَيْفَ الْغُصُونِ	يَسْتَنْثِرُونَ	جَوَاهِرَ الْأَطَوَاقِ
كَانَهُمْ مُدْلَهُونَ	مُتِمِّمُونَ	سَمَتْ لَهُمْ أَشْوَاقِ

وَلِلْبَنَفْسِجِ عُمُونَ لَا يَنْعَسُونَ تَبْكِي مِنَ الْإِيْرَاقِ
وَالنَّرَجِسُ الْغَضُّ نَفَحَ لَمَّا اضْطَبَّحَ مِنْ نَشْرِهِ نَدُّ
فَارْكُضْ سَوَابِقَ الْفَرَحِ فَقَدْ جَرَحَ خُدُودَهُ الْوَرْدُ

* * *

وَزَانَ وَجَنَاتِ الشَّقِيقِ نَدَى رَقِيقِ رُوَاهُ يَبْهَرُ
كَأَنَّمَا عَلَى الْعَقِيقِ دُرٌّ أَزْيِقِ مِنْ أَنْفَسِ الْجَوهرِ
أَوْ دَمْعُ مَنْ ضَمَّ الْعَشِيقِ يَشْكُو الْحَرِيقِ بِخَدِّهِ الْأَحْمَرِ
يَسْلُوبُهُ مَنْ انْتَرَحَ مِنْ الْمَرْحِ مِنَ اللَّئَوَى مَدُوا
لَبَّ مُنَادَى الْفَرَحِ فَقَدْ جَرَحَ خُدُودَهُ الْوَرْدُ

وجه الصباح

وَجْهَ الصَّبَاحِ تَلَالُاتُ أَنْوَارِهِ إِذْ طَبَّيْتُ أَرْدَانَهُ أَنْوَارُهُ
ثَمَلْتُ رِيَاضَ الْحَزَنِ مِنْ أَنْدَائِهِ اللَّهُ مَا صَنَعْتَ بِهِنَّ عُقَارُهُ
فَتَأَوَّدَتْ أَغْصَانُهَا شُكْرًا لِمَنْ صَدَحَتْ بِحَمْدِ جَلَالِهِ أَطْيَارُهُ

إِزْوَطِي النُّورَ عَنْ نَشْرِ السَّحَرِ

مُدًّا لِلْسَّلَوَانِ أَشْرَاكَ النَّظَرِ فِي ابْتِهَاجِ الرُّوضِ مِنْ وَجْدِ الْمَطَرِ
وَتَلَقَّى الْأُنْسَ عَنْ آسِ الرَّبِّيِّ وَإِزْوَطِي النُّورَ عَنْ نَشْرِ السَّحَرِ
وَارْتَشِفْتَ ثَغَرَ أَقْحَاحٍ بِاسِمَاءِ وَاصْطَبَّحَ بِالظَّلِّ مِنْ كَأْسِ الزَّهَرِ
وَالْتَثِمَ وَجْهَ الْمُنَى مُسْتَبْشِرًا حَيْثُ رَامَ الْغُصْنَ تَقْبِيلَ النَّهَرِ
وَجَلَى الْوَرْدُ خُدُودًا أُشْرِيبَتْ حُمْرَةَ الْعِيقِيَانِ مِنْ فَرَطِ الْخَفَرِ
وَانْبَرَى التَّسْرِينُ يُهْدِي ذَهَبًا فِي صِحَافٍ مُفْرَغَاتٍ مِنْ دُرِّ

وحبا الخيري أنفاس الصبا وانتشى البستان من خمر الحيا
نظمت في جبهه أنداه قيد الألاحظ في بهجته
واعتبر بالنور يذوى بينما واشكر الله على آلائه
نفحات أنشرت ميت الفكر فاستقاء النور من ذاك السكر
عقد در كلما ماس انتشر واجل غيم الغم عن شمس العبر
هو معشوق لشم وبصر إنما ينجح سعيًا من شكر

حديث صحيح

حدث عرفت الصبا عن نفحة الزهر قالوا جميعاً : شرود الأنس مقتنص
عن الغصون عن السقيا عن المطر بين الربى يشباك الشم والنظر

النور الأصفر

النور	الأصفر	يبدي	ثغوره
أنهى	وأبهر	من كل	صوره
يولى	النفوسا	حلى	ابتهاج
حاكى	الكووسا	بعد	المزاج
يفرى	النحوسا	فرى	الدياج

* * *

اللون	أنضر	يوليك	نوره
والنشر	أعطر	(يشنى ^(١))	الضروره
يا من	أذاه	هم	المدينه
عج	برباه	واقطف	فونه

فَفِي شِدَاهُ حَسْمُ الْعُفُونَةِ

الله	أكبر	مُذْكَى بُخُورِهِ
حُسْنُ	مُحَبَّرٌ	لِيَمْ لَا تَزُورِهِ
عَرَجٌ	عَلَيْهِ	عِنْدَ الصَّبَاحِ
وَانْهَضَ	إِلَيْهِ	مَعَ الصَّبَاحِ
تَجَدَّدَ	لَدَيْهِ	أَصْلَ النَّجَاحِ

سر بديع

جَلَّ	صَنِيعٌ	الْبَدِيعِ	الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ
حَلَّى	الرَّبِيعِ	الرَّفِيعِ	بِحِيلَةِ الذُّنُورِ
سِرٌّ	بَدِيعٌ	لِي مُذِيعِ	سِرَائِرَ الْأَزْهَارِ
الرَّوْضُ	رَاضٍ	وَهُوَ رَاضٍ	غُصُونِ أَشْجَارِهِ
شِفَا	الْمِرَاضِ	فِي مِرَاضٍ	جُفُونِ أَنْوَارِهِ

صَحَّ	الْعَلِيلِ	مِنْ عَلِيلِ	نَسِيمِهِ الْمِغْطَارِ
إِذْ فِي	مَمِيلِ	النَّحِيلِ	مِنْ غُصْنِهِ أَسْرَارِ
وَفِي	مَسِيلِ	سَلَسِيلِ	مِيَاهِهِ اسْتِعْبَارِ
فِعْلُهُ	مَاضٍ	عِنْدَ قَاضٍ	أَفْكَارِ زَوَارِهِ
إِذْ لَا	اعْتِرَاضِ	فِي اقْتِرَاضِ	نُقُودِ أَزْهَارِهِ

وَلَا جُنَاحَ فِي مُبَاحِ أَلْحَانِ وَرَشَانِهِ

وهل يُتَاحِ ارْتِيَاحُ إِلَّا بِرِيحَانِهِ
تَرَوِي الرِّيحَ عَنْ صِحَّاحِ آثَارِ نَيْسَانِهِ
مَنْ فِي الرِّيَاضِ وَالْحِيَاضِ أَجَلُ أَوْطَارِهِ
فِيهِ تَرَاضُ عَنْ تَرَاضِ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ

نغر الصباح

نَغْرُ الصَّبَاحِ تَبَسُّمُ مِنْ شَدُو طَيْرِ تَرَنَّمِ
وَالْوَرْدُ أَبَدَى عَقِيقًا بِشَذْرِ تَبْرِ مُعَلِّمِ
كَأَنَّهُ يَنْدَاهُ وَجْهُ صَبِيحٍ مُلْتَمِ

فصل المنى

فَصْلُ الْمُنَى أَقْبَلَ يُفَرِّجُ الْأَحْزَانَ
فَانْهَضَ بِنَا وَأَعْجَلَ لِإِدْوَحَةِ الْبُسْتَانِ
قُمْ فَاسْقِ يَا خَمَّارَ وَاتْرَعْ كُؤُوسَ الرَّاحِ
صَهْبًا كَلَوْنَ النَّارِ تُنْفِرُ الْأَتْرَاحِ
أَمَا تَرَى النُّوَارَ قَدْ دَبَّجَ الْأَذْوَاحِ
وَالطَّيْرَ قَدْ وَلَوَلَ فَاطْرَبَ الْأَغْصَانَ
وَالْوَرْدُ قَدْ أَخْجَلَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
وَالزَّهْرُ قَدْ نَضَّدَ عَمَائِمَ الْأَشْجَارِ
وَالنُّورُ قَدْ عَرَبَدَ بِخُمْرَةِ الْأَنْهَارِ
فَهَذَا كَالْعَسْجَدِ وَذَاكَ كَالْبُلَّارِ

قطائف الربيع

أَتَلَوْنِي يَا عَاذِلِي
وَالطَّيْرُ مُذْ بَرَزَتْ لَهُ
مُتَرَنِّمٌ كَلَفًا بِهَا
وَالْغُصْنُ أَوْمًا رَاكِعًا
عَرَّجَ عَلَيْهَا إِذْ بِهَا
مَا بَيْنَ أَصْفَرٍ فَاقِيعٍ
فِي وَشَطٍ أَخْضَرَ يَانِعٍ
لَا سِيَّما عِنْدَ الْأَصْبِي
وَالشَّمْسُ تَرْقُمُ مَتْنَهَا
فِي حُسْنِ هَاتِيكَ الْقَطَائِفِ
غَرْدٌ عَلَى الْأَدْوَاكِ هَاتِفِ
طَرِبْتُ عَلَى الْأَفْرَاحِ عَاكِفِ
لِجَمَالِهَا لَدُنَّ الْمَعَاظِفِ
مَا آتَى الصَّبَّ الْمُلَاطِفِ
فِي أَحْمَرِ غُضِّ الْمَقَاطِفِ
لِلْوَاظِفِ. الْأَبْصَارِ خَاطِفِ
لِي فَحَسْنُهَا السَّلَوَانِ قَاطِفِ
بِنُضَارِهَا رَقْمَ الْمَطَارِفِ

عشية جميلة

وعشية أذكى رواءَ جمالها
بَسَطَتْ قَطَائِفَ تَبْرِهَا بِحَدَائِقِ
نَدَبَتْ لِرَاحِ الْأَنْسِ مَحْرُوقِ الْجَوِي
بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَاعِجِ الْأَشْوَاكِ
مَرْقُومَةٍ بِزَبَرْجَدِ الْأَوَاقِ
بِلُطَى النُّوَى، قَمِ هَاتِيهَا يَاسَاقِ !

شجرة برقوق أسود

ومثمرة بعيون الظُّبَاءِ
إِذَا رَأَتْهَا مَنْ بَرَاهِ الْجَوِي
تَحَلَّتْ بِسُنْدُسٍ أَوَاقِهَا
سَلَا مَنْ سَبَبَتْهُ بِأَحْدَاقِهَا

الأصيل الذهبي

وَأَفَى الْأَصِيلِ مَذْهَبُ الْأَطْوَاكِ
أَشْجَى بِبَهْجَتِهِ الْهَزَارَ وَغُصْنَهُ
يَخْتَالُ فِي حُلٍّ مِنَ الْإِشْرَاقِ
فَشَدَا وَمَالَ وَذَى حُلَى الْعُشَاقِ

قرة العين

قد قطفنا ذهباً من سندُسٍ واقتضينا شفقاً من حِندسٍ
وقنصنا بين أزهار الربى قُرّة العين وزهو الأنفس

سلوة الأحزان

قد اكتسى العريان	من مائس الأغصان	بالسندُسِ
وطرّز البُستان	بالورد والريحان	والنرجسِ
هبت به الأزهار	بنسمة الأسحار	من الوسن
وهاجت الأطيّار	برائق الأشعار	أمّ الحسن (١)
تُسبّح الجبار	الواحد القهار	مولى المنن
من علّم الأزمان	بمذهب الأشجان	عن مُبليس
وكلّل الأفنان	بنورها الفينان	ذى النفس
فالروض في نشر	يبثُّ بالفجر	سرّ الزهر
والأرض في حشر	كتائب النور	ذات الغرر
يُكسى ملا البشر	ببسطها الخضر	من اعتبر
شمّ بارق السلوان	ياذا الأسيّ اليقظان	في الخلدس
فسلوة الأحزان	في نفحة البُستان	بالغلس

جيد الروض حال

حدث عن عجائب	زمانِ الربيع	الفصل الأجل
واشكر ذا المواهب	غزير النداء	ذا الفضل الأشمل

مُرْسِلُ السَّحَابِ	تَعِيرُ الْجَدِيبِ	زِيَّ مُخْضَلِ
نَبَهُ جَفَنُ الْأَفْكَارِ	وَاقْدَحُ بِالْحِجَا	زَنْدُ الرُّوْيَةِ
وَاقْطِيفُ نَوْرِ الْأَشْمَجَارِ	وَوَحْدُ بِهِ	رَبُّ الْبَرِيَّةِ
صُنِعَ ذِي الْجَلَالِ	رَبِّي تَعَالَى	يُنْبِئُهُ الْمُحَقَّا
جَيْدُ الرُّوْضِ حَالِي	وَقُضِبُ الرَّبِّي	طُوقُنْ طَوْقَا
مَنْ يَلْحَظُ بِحَالِ	سِوَى رَبِّنَا	ذِي الْخَلْقِ يَشْتَقَى
فَلَا زَالَ يَخْتَارُ	بَلَا عَلَّةٍ وَلَا	سَجِيَّةٍ
حَفَّ عَذَبَ الْأَنْهَارِ	بِخُضْرِ الْبُسْطِ	السُّنْدُوسِيَّةِ
وَمَدَّ الْقَطَائِفِ	مَنْ نَشَرَ الْحَيَا	نُمُقْنَ نَوْرَا
خُفَّتْ بِاللُّطَائِفِ	وَقَدْ نَمْنَمَتْ	نَجْدًا وَغَوْرًا
زُرْ تِلْكَ الْمَقَاطِفِ	وَلَا تَصْطَلِي	لِلْغَمِّ جَمْرَا
وَشِمُّ بَرَقَ إِنْذَارِ	وَإِذْ كُرَانَ تَضِقُ	فَتَكَ الْمَنِيَّةِ
وَاقْرَعْ بَابَ الْأَنْوَارِ	بِالصَّلَاةِ عَلَى	شَمْسِ الْبَرِيَّةِ

لمطة : (١) طبيعتها

لمطةٌ فيها ما تُحِبُّ النُّفُوسُ	وما يُرِيحُ الْقَلْبَ مِنْ كُلِّ بُوسٍ
هَوَاؤُهَا يُحْيِي قَتِيلَ الْمُنَى	وماوُهَا يَقْتُلُ حَيَّ النُّحُوسِ
وَتُرْبُهَا يُنْبِتُ مُجْلَى الضَّنَا	وجوُهَا يُطْلَعُ مُسْلَى النُّفُوسِ
لو حُلَّ فِيهَا مِنْ بَرَاهِ الْجَوَى	عَلَّه الْأَنْسُ بِأَمْسَى الْكُؤُوسِ

(٢) فواكِهها

لمطةٌ فيها التَّيْنُ وَالْعَنْبُ ما يَنْقُضِي لِي مِنْهُمَا عَجْبُ

أَحْمَرُهُ الْغَضُّ وَأَبْيَضُهُ
وَالْأَسْوَدُ التَّيْنِيُّ يُشَبِّهُهُ
مِدَاهِنٌ مِنْ عَنِبرٍ جُمِعَتْ
فَمَا تَبَدَّدَتْ فِي مِقَاطِفِهَا
يُوعِدُ أَنْ لَيْسَتْ بِقَانَعَةٍ
إِلَّا بِأَكْلٍ فَوْقَ مَا يَعْجَبُ

كَيْتَانِ

إِنَّ رَوْضَ الْكَيْتَانِ رَوْضٌ أَرِيضٌ
يَكْتَسِي نَضْرَةً بِهِ وَسُرُورًا
وَمَدَى اللَّهْوِ فِي ذَرَاهِ عَرِيضٌ
مَنْ حَشَاهُ مِنَ الْهُومِ مَرِيضٌ

تَاغَزُوتُ

بِتَاغَزُوتٍ قَدْ غَزَوْنَا الْعِنَبَا
إِلَّا مَدَدْنَا لَجَنَاهُ سَبَبَا
فَلَمْ نَدْعِ مِنْهُ جَنِيًّا طَيِّبَا
وَهُوَ يَلُوحُ فِي دُجَاهَا شُهَبَا

جَبَلُ مَصْمُودَةٍ

جَبَلٌ جَلَّتْ ذَرَاهُ الرِّيحَانِ
وَحِمَاهُمْ مِنْ كُلِّ سَوَاءٍ وَأَبْقَا
مَتَعَ اللَّهُ سَاكِنِيهِ إِلَى حِينِ
وَقَفَتْ دُونَهُ الشَّوَامِخُ إِجْلَا
هُمْ كَهَوْفَا يَأْوِي إِلَيْهَا الْمَسَاكِينِ
يَمْتَلِي قَلْبُ مَنْ رَعَاهُ سُورًا
لَا لَهُ إِذْ لَهُ وَقَارُ السَّلَاطِينِ
وَتُدَلِّي لَهُ مَنَاةُ الْآفَانِينِ

الْأَرْضُ وَالسَّحَابُ

إِذَا سَحَّتْ سَحَابُ اللَّهِ
وَيَبْلُغُ حُسْنُهَا أَقْصَاهُ
تَرَى الْأَرْضِينَ تَهْتَزُّ
وَيَخْلُفُ ذُلَّهَا الْعِزُّ

الخيبري

أَهْدَى لَنَا الْخَيْرُ فِي الرَّوْضَةِ
أَصْفَرُهُ الْفَاقِعُ مِنْ ذَهَبِ
وَالْأَحْمَرُ السَّاطِعُ وَجَنَّةُ مَنْ
سَرَى إِلَيْهِ خَفِيَّةٌ خَجَلُ
عَرَفَ خُيُورَ فَيْكِ مُبَيَّضَهُ
وَالْأَبْيَضُ النَّاصِعُ مِنْ فِضِّهِ
أَغْرَى بِكُلِّ الْمَبْتَلَى بَعْضَهُ
فَعَضَّهُ فِي خَدِّهِ عَضُّهُ

الغزل

ليت شعري

رَحِبْتُ بِي فِي النَّوْمِ ثُمَّتَ قَالَتْ
وَأَبَاحْتَنِي مِنْ طَلَاهَا عِنَاقًا
لَيْتَ شَعْرِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وَضَلًّا
كَيْفَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي وَحَبِيبِي
وَارْتَشَافًا مِنْ ظَلَمِ ثَغْرِ شَنِيبِ
أَيَكُونُ مِنْهَا كَذَاكَ نَصِيبِي ؟

اهنا بملك فتى

مَاذَا التَّهَاجُرُ يَا مُنَى الْقَلْبِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ عَدَا
وَتَذَلِّي لِبَدِيعِ حُسْنِكُمْ
صِدْقِي أَصْلَكَ وَدَعِ مُعَاتَبَتِي
وَلتُطْفِئْ مِنْ نَارِ الصُّدُودِ فَقَدْ
وَاهِنًا بِمُلْكِ فَتَى أَخِي ثِقَةٍ
ذِي عِفَّةٍ تَحْمِيهِ عِفَّتُهُ
أَزْرَى بِمَقُولِهِ وَمَنْصِبِهِ
وَعَلَيْكَ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ
أَذْكَى مِنَ النَّسْرِينَ فِي سَحَرٍ

مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا ذَنْبٍ
أَنَى أَحْبَبْتُ غَايَةَ الْحُبِّ
يَا حُسْنَ ذَاكَ الْفَعْلِ مِنْ صَبٍّ
وَأَفْلُلُ شَبَابَةَ الدُّعْرِ وَالرُّعْبِ
أَفْنَى أَوَارُ لِيَهْيِيهَا قَلْبِي
مُسْتَبْصِرٍ بِالطَّغْنِ وَالضَّرْبِ
عَنْ أَنْ يَجِيءَ بِفَاحِشِ نَكْبٍ
(بَابُنِ الْحُسَيْنِ) (وَعَمْرُو ذِي الْكَلْبِ) (١)

كالبدر إلا أنه لا يغيب

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ السَّمِيعِ الْمَجِيبِ
مَا قَدْ دَهَى قَلْبِي الْمَعْنَى الْكَثِيبِ

(١) ابن الحسين هو أبو الطيب المتنبي وذو الكلب هو عمرو بن العجلان الهذلي شاعر مشهور كان له كلب . لا يفارقه فسمى به .

وقدنى البين بسيف قضيب
لوني برود الشمس عند المغيب
فلست أصغى إعدول مريب
وخدد الخدين دمعى الصبيب
ولا الفتى العذرى عرو^(١) اللبيب
ولى من العفة أوفى نصيب
من شادن يهتز مثل القضيب
كالبدر إلا أنه لا يغيب
أبصرت بدرًا فوق غصن رطيب
بجُلنار إن ذا لعجيب
من زفرات وصنى ونحيب
أشكو إلى الله السميع المجيب

نارُ الهوى قد زلعت كبدى
واستل من جفنى الكرى وارتنى
دغى لحاك الله يا عاذلى
أما ترى السقم برى أضلعى
ما هام مثلى قيس ليلي بها
ولا ابن زيدون بولادة
أفدى بنفسى من به أولعت
منعم الأطراف طوى الحشا
لو أبصرت عينك صورته
قد سطر الحسن على وجهه
جرعنى من بينه أكوساً
فصرت من حرّ الجوى مُشداً

أشراك الأدب

صدته بالأشراك من أدب
واغتبت من فيه بالضرب
مُثمراً بالهلال والشهب
ونجوت من لجة العطب
يا حيانى حُشاشتى وأبى

رُبَّ من صادنى وبرج بى
فقطفت الشقيق من وجهه
وهصرت من قدّه غصناً
قال لى عندما ظفرت به
ما أساوى لديك ؟ قلت له

قد هويت :

ما أرجى من الوصال قضيتُ

ذاب قلبى من الصدود ولولا

ليت شِعْرى وهل يرقُّ لِحالِي مَنْ هَوَيْتُ؟ فَإِنِّى قد هَوَيْتُ

ذا صَبَّ شَج

يا مُثِيرًا فى حشا الصَّبِّ الشَّجى نار وجدٍ بِلِحاظِ الدَّعَجِ
كم تُبارى بصدودٍ من غدا يرتجى فتحَ رضاك المرتجِ
وتقاويه بنيران الجفَا وبخديك نعيم المَهجِ
لا تُعَذِّبْنى فَإِنِّى دَنِفٌ وغرامى ثابتٌ بالحُججِ
ضمَّ سقمى لشحوبى واجعلنْ شغفى أوسطَ ضرب مُنتجِ
ينتج المطلوب إن ركبته بين الأشكال : ذا صَبَّ شَجِ

ذكرى

ولقد ذكرتُ بالرُّبى من لَمِطَةٍ ونسيمها يُهدى إلىَّ أريجاً
فاهتاجَ ريحُ الشُّوق بين أضالِى يُذكى لظى وجدى فأجَّ أجيجاً

فى سبحات الخيال بالجزائر

ذكرتكِ والبحرُ طلقُ المحيَا على مَتْنِه رونقُ وابتهاجِ
فاض سريعا يحاكى فُؤادى لأمواجه لَدَدُ وانزعاجِ
ألا ليت شِعْرى أيجمعنا بلدُ له من سنائك سِراجِ؟

رقِّ يا رضوان

هلَّ لِصَبٍّ من لَمَاكَ المُزدرى بسُلافِ الرَّاحِ
رشفاتٌ مُزجتُ بالسُّكْرِ تمنَحُ الأَفراحِ
مَروياتٌ عن صحاحِ الجَوهِرِ عن مُنى الأرواحِ

عن هلالِ الحسنِ عن ظبي النقا
من جنانِ الوصلِ دوني أغلقا
عن قضيبِ البانِ
رق يا رضوان

* * *

وارث لي من ذا العذاب الأكبر
فعلّي ذاك المحيّا الأنور
ففسى أرتاح
ذى السنا الوضاح
من شجرٍ نشرُ سلامٍ عنبري
وثنّت بان الربى كف الصبا
ما انبري الإصباح
وشدا القمرى
وصبا قلبي لأيام الصبا
ريق العمر

عهود الحمى

يا رعى الله ليالٍ قد خلت
وعهودًا سلفت لي بالحمى
كلالٍ في سلوكٍ من نضارٍ
فسقّى الويل الحمى غير مضارٍ
حيث لا هم ولا غم سوى
من عتار كنضارٍ أفرغت
عللوا قلب الشجى من شرها
مع ظباء كلف القلب بهم
في رياض كزرابٍ نُمقت
أترى أحظى بوصلٍ بعدما
فعلى آرامها من مدنفٍ
رنة العود وكاسات تدارٍ
في أباريق حكمت شهب الدّارِ
بشقيق كعقيق وبهارٍ
بعدت من طاقى تلك الدّيارِ
شائقي نشرُ سلامٍ كالعرارِ

على غرار « ليل الهوى يقظان »

مَنْ علّم الغزلان الفتك بالليث الجرى

وسلَّط العَيْنَان^(١) عَلَى قُدُوبِ الْبَشْرِ
 يَا ضَرَّةَ الشَّمْسِ اللَّهُ فِي الصَّبِّ الْكُتَيْبِ
 يَا مُنِيَةَ النَّفْسِ هَجْرَكَ لِلنَّفْسِ مُذِيبِ
 حَدَّثَنِي حَدْسِي أَنَّكَ لِلْبِّ سَلِيبِ

* * *

بَأْسَهُمُ الْأَجْفَانِ ذَاتِ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
 مُضْمِيَةِ الْوَلْهَانِ بِالْدَّعَجِ وَالْحَوَرِ
 مَا ضَرَّ يَا مَحْبُوبَ يَا هَاجِرِي بِلَا ذُنُوبِ
 لَوْ تُنْعَشِ الْمَطْلُوبِ بِلَفْظِكَ الْعَذْبِ الْخُلُوبِ
 بَغَايَةِ الْمَرْغُوبِ مِنْ وَصْلِكَ الْمَحْيِ الْقُلُوبِ
 تَذَكَّرْ يَا وَسْنَانَ يَا إِذَا الرُّوَاءِ الْأَنْضَرِ
 لِيَا لِي الْبُسْتَانَ تَحْتَ الْعَرِيشِ الْأَخْضَرِ
 وَأَنَا فِي نَشْوَةِ مِنْ خَمَرِ ثَغْرِكَ النَّقْيِ
 مَهْيُجِ الصَّبْنَوَةِ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَغْشَقِ
 لَمْ تَعْرَنَا جَفْوَةَ تُثِيرُ نَارَ حَرَقِ

* * *

مَا بَيْنَنَا نَدَمَانِ إِلَّا أَرِيحَ الزَّهَرِ
 أَوْ نَعْمَةَ الْوَرْشَانِ عَلَى غُصُونِ الشَّجَرِ
 وَالْبَدْرُ مِنْ بَعْدِهِ يَرْقُبُنَا بِكُلِّ عَيْنِ
 أَرْسَلَ مِنْ وَجْدِهِ عَيْنًا عَلَيْنَا الْفَرْقَدِينَ
 فَخَابَ فِي قَصْدِهِ وَخِيبَةُ الرُّقْبَانِ شَيْنِ

* * *

(١) هذا على لغة من يلزم المعنى الألف في الأحوال كلها ، قال : أعرف منها الجيد والعينانا .

والورقُ في الأغصانِ فاقت حنين الوتر
بمطرب الألحان عند الصُّباح المُسفر
تثير أشواق بصوتها المبرى السقم
قامت على ساق إذ عنبرُ الليل بسم
عن ثغر أشواق تشدو بطيب النغم

* * *

مَقَالَ ذى أشجان حلف أَسَى وضرر
« ليل الهوى يقظان والحبُّ ترب السهر »

الهوى فضاح

وهذا التوشيح ينشد على قافيتين ويركب على صنعتين :

أدير الكاسات من خمر اللعس يالها من راح تحكى الجُّنار
واسقنيها خمرة تجلو النفس علنى أرتاح من حرِّ الأوار
بأبى ظبى رمانى بسهام ريشها الأهداب تبرى الأفئدة
مزق القلب الكئيب المستهام إذ رنا وانساب سيف جرده
عنبرى الخال مسكى الختام يذهل الألباب در نضده
همت وجدًا من سناه المقتبس من سنا الإصباح أو بدر أنار
لاح حين افتر ثغر كالقبس أزهر وضاح أذكى زند نار

* * *

نرجسى اللحظ. وردى الوجنتين بدم الأكباد أزرت بالشقيق
بدر حسن فوق غصن من لجين مائل مباد للبان شقيق
قد نضًا نحوى سيف المقلتين أوهن الأعضاد واشتد الحريق

عِيلٌ صَبْرِي فِي هَوَى طَلَبِ الْأَنْسِ وَالْحَبَا قَدْ رَاحَ مَذْ شَطَطُ الْمَزَارِ
وَرَدَّاذُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي أَنْبَجَسَ وَالْهَوَى فُضَّاحَ لَا يُخْفِي اسْتِتَارَ

جَمَلُ الْهَوَى

أَعَدَّتْ نَبَالًا لِلْحَشَا وَهِيَ الْلِحَاطُ .
وَحَيْثُ سَبْتَهُ بِالْذَّلَالِ سَقَتَهُ مِنْ
فَهَامِ فَرَامِ السَّتْرِ إِذْ هَاجَ فَانْتَشَى
فِيَالِكَ مِمَّا يَسْتَلِينُ الَّذِي قَسَا
لِيَ اللَّهِ كَمْ قَلْبِي يَذُوبُ مِنَ الْجَوَى
مَنْ لَاحَ بَرَقُ الشُّوقِ فِي سُدْفِ الْحَشَا
أَرَى أُمَّ أَوْفَى مُذْ وَفَى لِي صَرْمَهَا
إِذَا سَامَنِي صَبْرٌ عَلَيْهَا هَنِيئَةٌ
وَلِنْ شِمْتُ بَرَقًا لِلْسُّلُوفِ عَنِ الْأَسَى
فَلَا يَهْنَأُ الْعُدَّالُ حَادِثَ بَيْنِهَا
أَرَاهَا إِذَا أَفْنَى نَحِيْبِي تَأَلَّى
وَفَاطَتْ^(١) دَوَاعِيَ الصَّبْرِ عَنْهَا بُعِيدَهَا
وَصَمَّ صَدَى الْأَسْمَاعِ عَنْ هَذِرِ عُذْلَى
نَجِيَّةً أَفْكَارِي تُحَدِّثُ لَوْعَتِي

لَهَا الْهُدْبُ رِيْشُ وَالْمَحَاجِرُ أَرْعَاطُ^(١)
سَلَاةُ كَاسَاتِ الْهَوَى وَهِيَ بُهَاطُ
فَنَاءٌ بِهِ حَمْلُ الْهَوَى وَهُوَ مُنْهَاطُ^(٢)
وَيَمْلِكُ طَبِيعَ الْمَرْءِ وَالْمَرْءُ جَوَّاطُ^(٣)
إِذَا عَنَّْ مِنْ بَيْنِ الْأَحْبَةِ مَغْنَاطُ^(٤)
أُتِيجَ لِأَجْفَانِ التَّوَلَّى إِبْقَاطُ
يَسَاوَرِي أَيْمٌ مِنَ الْهَمِّ جِنْعَاطُ^(٥)
يَنْضَضُضُ مِنْ وَجْدٍ عَلَى وَيَغْتَاظُ
تَأَوَّبَنِي مِنْهُ كَطَاطُ^(٦) وَلِغَلَاظُ
فَإِنِّي بِهِ كَأْسُ التَّنْعَمِ لَمَاطُ
وَأَذْهَلَنِي عَنِّي مِنَ الشُّوقِ أَقْيَاطُ^(٧)
وَكُلُّ دَوَاعِي الصَّبْرِ بِالْبَيْنِ فَيَاطُ
فَأَخْفَقَ عُدَّالٌ لَذَاكَ وَوَعَاطُ
بِمَا لَا تَعِي مِنْ مَسْنَدِ الْوُدِّ حَفَاطُ

(١) جمع رَغَطَ بِالضَّمِّ وَهُوَ مَدْخَلُ النِّصْلِ فِي السَّهْمِ .

(٢) مَنَكَّرٌ وَلَمْ أَجِدْهُ بِالْمَشَالَةِ فَيَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ كُتُبِ اللَّفَةِ .

(٣) جَافٌ مُتَكَبِّرٌ .

(٤) مَنْ غَضَّظَهُ الْأَمْرُ إِذَا جَهَدَهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ .

(٥) شَرَسَ الْأَخْلَاقُ .

(٦) تَعَبٌ وَشَدَّةٌ .

(٧) جَمْعُ قَيْظٍ وَهُوَ حَرَارَةُ الصَّيْفِ .

(٨) فَاطٌ بِالْمَشَالَةِ مَاتَ وَالْمَرَادُ هُنَا ذَهَبَتْ .

لَهُ بَيْنَ أَكْنَافِ الْمَحَبَّةِ إِنْظَاظُ (١)
وإِنِّي عَلَى عَيْنِ الْحَيَاةِ لِمِلْظَاظُ (٢)

عَلَيْهَا كَرِيَاهَا تَحِيَّةُ ذِي هَوَى
أَلِحْ عَلَيْهَا مَا حَبِيتُ بِذِكْرهَا

مَا أَنْتَ أَوْلَ عَاذِلٍ

دَعْنِي لِحَاكَةِ اللَّهِ لَسْتُ بِعَاذِلٍ
لَكِنْ جَهَلْتُ فَلَمْتَنِي بِالْبَاطِلِ
قَدْ قَدْ أَحْشَانِي وَلَيْسَ بِنَابِلٍ
بِجُفُونِهِ الْمَلَأَى بِإِثْمِدِ بَابِلٍ
بَدْرُ الدُّجَى لَوْ كَانَ لَيْسَ بِأَقِلٍ
إِذْ كَانَ فِيهِ مُعَلَقًا بِسَلْسِلِ

يَا عَاذِلِي مَا أَنْتَ أَوْلَ عَاذِلٍ
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مِنْ أَحَبِّ عَذْرَتِي
نَفْسِي الْفِدَاءُ لَمَنْ بِأَسْهَمِ لِحِظِهِ
ظِيٌّ تَمْلِكُنِي وَأَسْرُ مُهْجَتِي
يَحْكِي مُحْيَاهُ وَفَاحِمُ فَرْعِهِ
خَفَقَانُ قَلْبِي أَصْلُهُ مِنْ قُرْطِهِ

الْخَوْخُ فِي اللَّيَالِي

وَلَسْتُ عَنْ حُبِّهِ بِسَالٍ
مَا إِنْ لَهُ فِي الْبَهَاءِ تَالٍ
فِي الْقَدِّ وَاللَّحْظِ وَالْجَمَالِ
نَارًا لَطَاها حَدَايَ صَالٍ
«يَا طَالِبَ الْخَوْخِ فِي اللَّيَالِي»

أَفْدَى رَشَاءً لِلْوَصَالِ قَالَ
أَغْرَّ يَبْسِمُ عَنْ لَالٍ
كَالْخَوِطِ وَالظِّيِّ وَالْهَلَالِ
قَالَ فَأَضْرَمُ فِي فُوَادِي
إِذْ قُلْتُ صِلْنِي حَبِيبَ قَلْبِي :

حَسْبِيَ اللَّهُ

وَأَلْبَسْنِي الشَّقْوَ ثَوْبَ الْأَصِيلِ
يَخُذُ فُوَادِي بِخَذِّ أَسِيلِ
فَحَسْبِيَ الْإِلَهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

حَكِيمُ الْخَيَالِ بِجِسْمِي النَّحِيلِ
وَأَسْلَمْنِي لِلنَّوَى شَادِنُ
وَجَرَعَنِي الْبَيْنُ كَأَسِ الْمُنُونِ

(١) إقامة ولزوم .

(٢) ملحق .

حبّ دُرس

الحُسْنُ فَيْكَ قَدْ اكْتَمَلَ
 لَكِنْ سَلَكَتْ سَبِيلَ مَنْ
 غَرَّرْتَنِي إِذْ زُرْتَنِي
 فَظَنَنْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ
 لَمْ يَبْدُ بِدُرٍّ وَصَالِكُمْ
 وَجَفَوْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا
 كَمْ حِيلَةٌ أَبَدَيْتُهَا
 وَقَنِعْتُ مِنْكُمْ فِي الصَّبَا م
 فَصَرَمْتُ حَبْلَ مُودَّتِي
 فَالْآنَ إِذْ حَمَلْتَنِي
 وَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَرَى
 عَزَيْتُ فَيْكَ تَوَلَّيْتُ
 وَدَرَسْتُ حَبْلَكَ مِنْ فُؤَا

لَوْ كُنْتَ تُوصَفُ بِالْخَجَلِ
 نَبَذَ الْوَفَاءَ وَمَا احْتَفَلَ
 مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ أَوْ أَمَلٍ
 وَالصَّدَقُ عَنْكَ قَدْ ارْتَحَلَ
 لِمَحَبَّتِكُمْ حَتَّى أَفَلَ
 جَرَمَ بِجَانِبِكُمْ أَخَلَ
 لِرِضَاكَ مَا نَفَعَتْ حِيلٌ
 بَتَّ بِالتَّطَارُحِ وَالْغَزَلِ
 بِمُدَى الْقَطِيعَةِ وَالْمَلَلِ
 فِي الْحُبِّ مَا لَا يَحْتَمَلُ
 جَسَمِي تُسَاوِرُهُ الْعِلَلُ
 وَأَصَحْتُ فَيْكَ لِمَنْ عَذَلُ
 دَى مِثْلَ مَا دَرَسَ الطَّلَلُ

إخلاف

عَاهَدُونَا عَلَى الْوَفَاءِ فَخَانُوا
 لَوْ عَلِمْنَا اطْرَادَ نَقْضِ لَدِينِهِمْ
 فَكَأَنَّا عَلَى الْخِلَافِ اصْطَحَبْنَا
 لَا عَتَمَدَنَا عَكْسَ الْمُرَادِ فَفُزْنَا

عذل العاذلين كجهل الجاهلين

جَارَى بِهَذِهِ الْمَوْشِحَةِ « قَضَتْ خَمْرُ الثَّغُورِ ، بِفَطْرِ الصَّائِمِينَ ، وَصُومُ الْمَفْطَرِينَ »
 قَضَى صَرْفُ الدُّهُورِ بَيِّنِ الْعَاشِقِينَ وَحَيْنَ الْبَائِسِينَ
 وَرُبَّ فَتَى يُهَابُ جَلِيلَ فِي النُّفُوسِ

يُذَلِّلُهُ السُّبَابُ إِلَى ظَنِّي شَمُوسٍ
 أَغْنَى لَهُ رُضَابُ أَلَدُ مِنَ الشَّمُوسِ
 بَلَحْظِ ذِي فُتُورٍ يَرُوعُ الْآمِنِينَا وَيَسْبِي النَّاسِكِينَا
 أَلَا بِأَيِّ سَنِيْعٍ^(١) بَدِيعُ فِي الصَّفَاتِ
 لَهُ صَبَغُ النَجِيعِ خَدُودًا مُذْهَبَاتِ
 يَسِيعُ بِهَا الْخَلِيعِ كَوْوَسًا مُتْرَعَاتِ
 تُنْشِطُ لِلْمُسْرُورِ وَتُسَلِّي الْوَالِهِينَا بِرَغَمِ الْحَاسِدِينَا
 فَكَاسَاتُ الْحُمِيَا بِرَاحَاتِ الْغَوَانِي
 وَتَوْرِيدُ الْمَحِيَا وَتَرْدِيدُ الْمَثَانِي
 وَسَاقِ كَالْثَرِيَا تُسَلِّي كُلَّ عَانِ
 وَتَدْعُو لِلْحَبُورِ وَعَذَلُ الْعَاذِلِينَا كَجَهْلِ الْجَاهِلِينَا

قصاراه زفير

نَسِيمَ الصَّبَا بَلَّغَ تَحِيَّةَ مُذْنِفٍ
 فَإِنْ قَالَ مَا حَالُ الْمُحِبِّ فَقُلْ لَهُ
 قُصَارَاهُ إِنْ شَبَّتْ لُظَى الشُّوقِ فِي الْحَشَا
 إِلَى مَنْ بِهِ حِلْفُ الْكَآبَةِ مُوَلَّعُ
 بَعَاذُكَ أَضْنَى قَلْبِهِ فَهَوَ مُوجَعُ
 زَفِيرُ تُلْبِيهِ عَلَى الْفُورِ أَدْمَعُ

ما صدق عن سبيل الملاح

إِنَّ الَّذِي حَازَ مُهْجَتِي شَغَفَا
 سَدَّدَ نَحْوِي سِهَامَ قَوْسِ جَفَا
 إِنْ كَانَ أَبْهَجَنِي غَدَاةَ وَفَا
 سَلَّمَهُ اللَّهُ لَا أَعَاتِبُهُ
 مَنْ لَجَّ فِي هَجْرِهِ وَمَا عَطَفَا
 حَسْبِي إِلَهُ مِنَ الْجَفَا وَكَفَى
 فَكَمْ بَرَانِي النَّحِيبُ حِينَ جَفَا
 فَعَنَ سَبِيلِ الْمِلَاحِ مَا صَدَفَا

وإن كَسَانِي السَّقَامَ والدَّنْفَا
فإنَّ فِي نَفْسِي ذِي الْغَرَامِ شِفَا
إن صِرْتُ مِنْهَا عَلَى شَفِيرِ شِفَا
جَنَيْتُ مِنْ عَرْشِ هَجْرِهِ التَّلْفَا
يَا ظَبْيُ يَا شَمْسُ خِلْقَةً وَصَفَا
هَبْ لِي مِنَ الْوَصْلِ رَوْضَةً أَنْفَا

وَلَا سَخِطْتُ الَّذِي رَمَانِي بِهِ
لَكِنْ نَفَقْتُ الْغَرَامَ مُسْتَشْفِيَا
سَأَسْأَلُ الصَّفْحَ عَنْ جِنَايَتِهِ
وَأَطْلُبُ الصَّفْوَةَ مِنْ رِضَاهُ فَقَدْ
يَا غُصْنُ يَا بَدْرُ عَطْفَةً وَسَدَا
أَصْلَيْتَنِي بِالصُّدُودِ نَارَ أَسَى

وارحمة للعاشق

قَدْ صِرْتُ عَبْدُ جَمَالِهِ الرَّقْرَاقِ
لَا عَنْ مُبَايَعَةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقِ
رَثْمٌ ثَوَى بِأَضَالِيعِ الْعُشَاقِ
أَصْمَتُهُ أَسْهَمَ لَحْظِهِ مِنْ رَاقِ
وَارْحَمَةً لِلْعَاشِقِ الْمُشْتَاقِ
وَاصْدَحْ بِذِكْرِ جَمَالِهِ يَا سَاقِ
مَنْ لِي بِأَحْوَرَ فَاتِرِ الْأَحْدَاقِ

مَنْ لِي بِأَحْوَرَ فَاتِرِ الْأَحْدَاقِ
ظَبْيُ تَمَلَّكْنِي بِسِحْرِ لِحَاطِهِ
بَدْرُ مَطَالَعُهُ قُلُوبُ ذَوِي الْهَوَى
هَاجَتْ بِهِ زُمُرُ الْأَنَامِ فَمَا لَمَنْ
كَتَبَتْ بَنَانُ الْحُسْنِ فِي وَجَدَاتِهِ
قُمْ فَاسْقِنِي صِرْفَ الْمَدَامِ وَغَنِّي
وَأَعِذْ عَلَى سَمْعِي سَلِمْتَ مِنَ الضَّنَا

بين الوصل والصد

وَلَمْ تُسَلِّنِي عَنْهُ كُؤُوسُ رَحِيقِ
وَيَهْجُرُنِي حَتَّى أُغْصَّ بِرِيقِي
بَدَارِ نَعِيمٍ أَوْ عَذَابِ حَرِيقِ

بِرُوحِي مَنْ أَوْدَى بِعَقْلِي حُبُهُ
يُوَاصِلُنِي حَتَّى أَفِيقَ مِنَ الْجَوَى
غَدَوْتُ بِهِ مِنْ وَصْلِهِ وَصُدُودِهِ

الشوق لا يلزمه إلا الله

وَتَفَجَّرَتْ بِرِيَاضِكِ الْأَمْوَاهُ

يَا دَارَ مَنْ أَهْوَى رَعَاكَ اللَّهُ

وغدوت في حُلِّ النَّصَارَةِ تَزْدَهِي
 ما كَانَ آنَقَ نَزْهَةً سَلَفَتْ لَنَا
 وَالْدَّهْرُ سَالَمْنَا وَقُلَّ شِبَابُهُ
 وَالْأَنْسُ يَنْظِمُ شَمْلَنَا فِي سِلْكِهِ
 فِي جَنَّةٍ مَا كَانَ أَلْطَفَ نَشْرَهَا
 مَا سَتَ لِدَانُ إِغْصُونِهَا لَمَّا شَدَا
 وَتَبَسَّمتْ أَزْهَارُهَا لَمَّا بَكَى
 أَقْشَتْ نَوَاسِمَهَا سَرَائِرَ نَوْرِهَا
 وَالرَّوْضُ مُبْتَهِجُ الْأَصَانِلِ وَالضُّحَى
 مَا كَانَ إِلَّا رَيْثَمَا انْتَعَشَتْ بِهِ
 وَاغْتَالَنا صَرْفُ الْحَوَادِثِ بِالنَّوَى
 آهَ لِمَا أَلْقَاهُ مِنْ وَجْدَى عَلَى
 يَا لَيْتَ شِغْرِى وَالْمَتَى عَيْنُ الْعَنَا
 أَيْرَوْضِ خَضْبُ الْوَصْلِ بُسْتَانِ الْمَتَى
 لَوْ مَا الَّذِي أَرْجُوهُ مِنْ جَمْعٍ عَلَى
 مَا إِنْ تَزَالُ سَحَابٌ كَمَدَامِى
 وَتَحِيَّتِي مَوْصُولَةٌ كَمَوْدَتِي
 كَنَوَاسِمِ الْعَهْدِ الَّذِي مِنْ طَبِيبِهِ
 فَبِلَابِلِي مِنْ بُعْدِهِ مَوْقُودَةٌ

وَهَفَا عَلَيْكَ مِنَ الصَّبَا أُنْدَاهُ
 بِرُبَاكِ إِذْ بَرَقَ الْمَتَى شِمْنَاهُ
 عَنْ حَرْبِنَا وَأَجَبْتِي مَا تَاهُوا
 وَالْوَصْلُ صَافِحٌ يَمْنُنَا يُمْنَاهُ
 حَسَدَتْ عَلَيْهِ أُنُوفُنَا الْأَفْوَاهُ
 شَحْرُورُهَا النَّشْوَانُ وَاطْرِبَاهُ
 فِيهَا الْحَيَا هَمَّالَةٌ عَيْنَاهُ
 لِلَّهِ سِرُّ النُّورِ مَا أَقْشَاهُ
 سَقِيًّا لِذَاكَ الْعَصْرِ مَا أَخْلَاهُ
 أَرَوَّاحُنَا حَتَّى اسْتَرَدَّ سَنَاهُ
 عَجَبًا لِهَذَا الدَّهْرِ مَا أَجْفَاهُ
 مَا قَدْ مَضَى لَوْ كَانَ يَنْفَعُ آهَ
 وَالْمَرَّةُ قَدْ يَحْظَى بِبَعْضِ مُنَاهُ
 فَلَطَّالَمَا مَحَلَّ النَّوَى أَذْوَاهُ
 دَعَا قَضَيْتُ كَأَبَةٍ لَوْمَاهُ
 تَسْقِي مَنَازِلَ أَنْسِنَا وَرُبَاهُ
 تَنْتَرَى إِلَى مَنْ فِي الْحَشَا سُكْنَاهُ
 تُذَكِّي سَعِيرَ أَضَالِي ذِكْرَاهُ
 وَالشُّوقُ لَا يَذْرِيه إِلَّا اللَّهُ

شؤون وشجون

أَهَاجَكَ بَيْنَهُمْ إِذْ نَالُوا وَطَى الْوَصَالِ الَّذِي قَدْ طَوُّوا

وَتَوَدِّعُ صَبْرَكَ إِذْ وَدَّعُوكَ
وَشَاقَكَ أَنْتَهُمْ بِاللَّوَى
وَنِيلُهُمْ بَيْنَ مَهْفَى الشَّمَالِ
وَعَقْدُ الْمُنَى غَيْرُ مُنْتَشِرٍ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ وَنَضَّرَهُمْ
حَلَّتْ لَكَ أَيَّامُهُمْ بِالْعُذِيبِ
شَوَّوْا وَوَدَّعَهُمْ لَكَ حَتَّى صَفَا
وَعَاطَوْكَ كَأْسَهُ مَمْرُوجَةً
وَأَجْنَوْكَ رَوْضَةً وَصَلَّهُمْ
رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُمْ بِالرِّيَاضِ
وَأَيَّامَ أَنْسٍ لَهُمْ بِالْحِمَى
لِيَالِي يُبْهِجُنِي جَمْعُهُمْ
وَيُبْرِي قَلْبِي مِنْ سُقْمِهِ
وَأَبْنَى مِنَ الشَّعْرِ نَظْمًا أَنْيَقًا
سَقَاكَ الْحَيَا يَا عُرُوشَ النِّقَا
وَيَا مُلْتَقَى النَّهْرِ وَالْمُنْحَى
وَيَا نَفْحَةَ الرُّوضِ طَيْبِي بِهِمْ
أَلَا نَفْحَةٌ مِنْ رَبِّي وَصَلَّهُمْ
أَلَا عَطْفَةٌ لِأَسِيرِهِمْ
سَلَامٌ إِلَهِهِ وَرِضْوَانُهُ
وَلَا زَالَ شَوْقِي لَهُمْ صَاعِدًا
وَلَا زَالَ وَدِّي لَهُمْ تَنْتَهَى

وَتَقْطِيرُ قَلْبِكَ لَمَّا نَأَوْا
وَمُنْعَرَجِ النَّهْرِ حَيْثُ انْتَدَوْا
وَمَهْفَى الصَّبَا فِي الصَّبَا مَا اشْتَهَوْا
وَسَعْدُكَ دَانَ بِمَا قَدْ دَنَوْا
كَمَا عَذَكَ يَوْمَ اللَّقَا قَدْ عَفَوْا
وَمِنْ نُكْبَةٍ قَدْ خَلَوْا فَحَلَوْا
وَمَا رَمَدُوا بِالْجَفَا مَا شَوَّوْا
بِمَا مِنْ عَظِيمِ السُّرُورِ عَطَوْا
بِمَا مِنْ ثِمَارِ الْمُنَى قَدْ جَنَوْا
كَمَا عَهْدَ حُبِّي فِيهَا رَعَوْا
حَمَّوْا مِنْ سُرُورِي بِهَا مَا حَمَّوْا
وَيُوْنِزُقُنِي لَهُوُّهُمْ إِذْ لَهُوْا
بِلِسْعِ الْأَسَى شَدُوهُمْ إِنْ شَدَّوْا
يُنْزِي الرُّوَاةَ الَّذِي قَدْ رَوَّوْا
فَفِيكَ سَقَوْنِي الَّذِي قَدْ سَقَوْا
أَلَا اسْلَمَ فَفِيكَ عَلَيَّ حَنَّوْا
فَإِنَّهُمْ قَدْ زَكَّوْا وَذَكَّوْا
تَبَرَّدُ مَا بِالنَّوَى قَدْ كَوَّوْا
أَلَا رَحْمَةً لِلَّذِي قَدْ سَبَّوْا
يَوْمَئِذِهِمْ حَيْثُمَا قَدْ ثَوَّوْا
كَزَفَرَاتِ قَلْبِي يَوْمَ نَأَوْا
نُسَيْمَاتِهِ الْغُرَّ حَيْثُ انْتَهَوْا

مسارحُ الأشواقِ

صاحِ مَاذَا التَّوَانِي عَنْ مُرَادِ الْأَمَانِي فِي أَصِيلِ مُعْضَفَرِ الْأَرْذَانِ
 فَالْعَشَا يَا مَسَارِحَ الْأَشْوَاكِ
 وَحُلَاهَا مَطَارِحُ الْأَخْدَاقِ
 كَمْ بِهَا مِنْ مَصَارِعِ الْعُشَاقِ
 شَوَّقَتْ كُلَّ عَانٍ لِمَعَانِي التَّهَانِي وَحَبِيبٍ قَدْ جَلَّ عَنْ نُقْصَانِ
 لَيْسَ يُنْبِئِي عَنْ حَالِهِ تَشْبِيهُ
 إِنَّمَا يَرْتَقِي لَهُ التَّنْزِيهِ
 عَنْ سِمَاتٍ مَنْ شَانَهُ التَّمْوِيهِ
 مِنْ بَعِيدٍ وَدَانٍ مِنْ حِسَانِ الزَّمَانِ وَحِسَانٍ فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ
 فَإِلَيْهِ انْتَهَى جَمَالُ الصُّورَةِ
 وَعَلَيْهِ زَهْرُ الْحِلْيِ مَقْصُورَةُ
 وَبِأَسْرَارِ ذَاتِهِ مَخْصُورَةُ
 جَلَّ عَمَّا نَعَانِي مِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي بِغَرِيبِ الْأَلْفَافِ وَالْأَوْزَانِ

عَلَّوْنِي

عَلَّوْنِي بِالْوَصْلِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَبِذِكْرِي أَيَّامِنَا السَّالِفَاتِ
 إِذْ ضَرَبْنَا لِلْأَنْسِ أَطْنَابَ لَهُوَ بَيْنَ تِلْكَ أَلْهِ الرِّيَاضِ وَالْجَنَّاتِ
 إِنَّ فِي ذِكْرِهَا التَّيْدَادَ لِمَنْ أَمَّ سَيِّ حَلِيفَ الْأَشْوَاكِ وَالزَّفَرَاتِ
 يَا رَعَى اللَّهُ لَيْلَ وَصْلِي سَحَبْنَا فِيهِ ذَيْلَ السُّرُورِ وَاللَّذَّاتِ
 مَعَ فِتَاةٍ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حُسْنًا ذَاتُ دَلٍّ فَيَالِهَا مِنْ فِتَاةٍ
 بَيْنَ أَذْوَاحِ رَوْضَةٍ رَاضِهَا اللَّهُ بِسَحِّ السَّحَابِ الْهَاطِلَاتِ

رِيحٌ مِنْهُ بِأَعْطَرَ النَّسَمَاتِ
 فِي النَّشَاوَى فَاشْبَهَتْ قَيْنَاتِ
 نَتَعَاطَى لَذَايِدَ الرَّشَفَاتِ
 نَقَلُهَا وَرَدُّ رَوْضَةِ الْجَنَاتِ
 قَرَطَسَتْهُ الْعُيُونُ بِاللَّحْظَاتِ
 نَشَرَ الْفَجْرُ فِي الدُّجَى رَايَاتِ
 وَفُؤَادِي يَدُوبُ مِنْ زَفَرَاتِ
 فَحَكَيْنَا تَحَالَفَ اللَّامَاتِ
 وَنَجِيعِي يَسِيلُ فِي عِبْرَاتِ
 مِثْ كَمَا كُنْتُ قَبْلُ فِي الْحَسَرَاتِ
 نَشَرْتُكَ الشَّدَادُ مِنْ غَمَرَاتِ

أَرَجَ الْمَزْنَ نَوْرَهَا فَاتَّتْنَا
 هَتَفَتْ وَرُقُهَا بِأَفْنَانِهَا الْمُدَّ
 بَاتَ يَخْدُو بَنَا الْجُبُورُ وَبَتْنَا
 خَمْرَةً أَطْفَاتٍ لَهَيْبَ فُؤَادِي
 إِنَّ فِي رَشْفِهَا شِفَاءً لِمَنْ قَدْ
 لَمْ تَزَلْ نَقْطِطُ الْمَسْرَةَ حَتَّى
 وَشَدَا طَائِرُ الصَّبَاحِ فَقُمْنَا
 مَنَحْتَنِي عِنْدَ الْوِدَاعِ عِنَاقًا
 وَمَضَتْ وَالْفِرَاقُ يَنْحُتُ قَلْبِي
 لَيْلَتِي غُلَّتِي اشْتَفَتْ فِيكَ لَوْ طُلَّ
 قَدْ طَوْتُكَ أَيْدَى السُّرُورِ وَقِدْمًا

حَنِين

فَإِنَّ لَنَا عَلَى مَسْرَاكِ دِينَا
 يَحْنُ إِلَى بُشَيْنَةَ أَوْرُدِينَا
 بُدُورًا كَانَ مَطْلَعُهُمْ لَدِينَا
 إِلَيْهِ فَاسْتَرَاخُوا وَاكْتَوَيْنَا
 بِأَنَّ نَوَاهُمْ مَا كَانَ هِينَا
 فَلَا تَزْرِي عَلَيْنَا إِنْ بَكَيْنَا
 وَكَانَ السَّيْرُ لِإِلَاقِمَارِ زَيْنَا
 بَيِّنَهُمُ الْمَذِيبُ الصَّخْرَ حِينَا

صَبَا نَجِدُ أَلَا هُبِّي عَلَيْنَا
 فَرُبَّمَا بَرَدَتْ غَدِيلَ صَبَّ
 أَجِدْكِ هَلْ رَأَيْتَ وَلَنْ تَرِيهَا
 سَمَوْا صُعْدًا إِلَى مَهْفَاكِ شَوْقًا
 فَهَلْ شَاهَدَتْ طَلَعَتَهُمْ فَتَدْرِي
 وَهَلْ آنَسَتْ شَيْئًا مِنْ حُلَاهُمْ
 لَيْنَ سَارُوا بِأَقْمَارِ الدِّيَاجِي
 لَقَدْ أَشْلَوْا^(١) وَحَقَّهُمْ عَلَيْنَا

وله هذا التخميس وقد اقترح عليه بالجزائر :

جَلَّ مَنْ أَنْشَأَ ظَبِيًّا أَهْيَفَا زَادَ قَلْبِي فِي هَوَاهُ شَغَفَا
اضْطَفَاهُ الْحُسْنُ مِنْ أَهْلِ الصِّفَا (من عَذِيرِي مِنْ غَزَالٍ مُصْطَفَى
قَدْ جَفَا عَيْنِي الْكَرَى لَمَّا جَفَا)

قَدْ جِئْتَنِي وَبَرَانِي حُبُّهُ وَرَمَتْ قَلْبِي الْمَعْنَى هُدْبُهُ
بُعْدُهُ دَائِي وَطَبِّي قُرْبُهُ (لَيْنُ الْعِطْفِ وَلَكِنْ قَلْبُهُ
قَدْ قَسَا حَتَّى حَكَى صَلَدَ الصِّفَا)

وله تخميس آخر :

صَبَرْتُ لِلصَّدِّ حَتَّى عِيلَ مُصْطَبَرِي وَضِفْتُ ذُرْعًا مِنْ أَرْبَى عَلَى الْقَمَرِ
لَجَجْتُ فِي حُبِّهِ فَلَجَّ فِي ضُرَرِي (مَنْ مُنْصِفِي مِنْ سَقِيمِ الْجَفْنِ ذِي حَوَرِ
رَكِبْتُ بَحَرَ الْهَوَى فِيهِ عَلَى غَرَرِ)

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قُلْتُ قَوْلَةً عَظُمَتْ جَاءَتْ بِهَا لَوْعَةُ الْحُبِّ الَّتِي اضْطَرَمَتْ
بَلْ مَالِكِي عَادِلٌ حَالِي بِهِ انْتَظَمْتُ (ظَبْيٌ لَهُ صُورَةٌ فِي الْحُسْنِ قَدْ قُسِمَتْ
بَيْنَ الْكُثِيبِ وَبَيْنَ الْغُصْنِ وَالزَّهْرِ)

يَا صُورَةً عَلَّهَا الْحُسْنُ وَأَنْهَلَهَا لَوْ أَوْ رَدَتْ مُهْجَةً اللَّهْفَانِ مِنْهَلَهَا
مَا كَانَ أَجْمَلَهَا مَا كَانَ أَكْمَلَهَا (آلَتْ لَوَاحِظُهُ أَنْ لَا يَعِيشَ لَهَا
صَبٌّ وَلَوْ أَنَّ فِي قَسْوَةِ الْحَجَرِ)

الرشاء

قال يرثى سيدة من أقاربه

هِيَ الدُّنْيَا يَغُرُّ بِنَا سَنَاهَا فَنَأْمَنُهَا فَيَفْجَأُنَا دُجَاهَا
 تُعَلِّلُنَا بِإِدْرَاكِ الْأَمَانِي وَلَا يَنْفَكُ يِرْشُقُنَا رَدَاهَا
 فَلَوْ أَنَّا عَقَلْنَا مَا لَهَوْنَا بِمَا أَبَدَتْ إِلَيْنَا مِنْ حُلَاهَا
 وَلَكِنَّا أَضَرَّ بِنَا هَوَاهَا وَأَرَادَنَا التَّنَافُسَ فِي خَلَاهَا
 أَلْهَوُ وَالرَّدَى فِينَا مُقِيمٌ أَعَدَّ لَنَا زِبَالاً قَدْ بَرَاهَا
 وَنَرْجُو الْخُلْدَ فِيهَا وَالْمَنَآيَا تُدِيرُ عَلَيَّ أَحِبَّتِنَا طِلَاهَا
 وَتَفْجَعُنَا بَرْزُءٍ إِثْرَ رُزْءٍ عَلَيَّ أَنَا سَتِطَحَنُنَا رَحَاهَا

* * *

سَقَى الرَّحْمَانُ قَبْرًا ضَمَّ شَخْصًا تَسْرِبَلُ بِالْمَكَارِمِ وَارْتَدَاهَا
 وَنَضَرَ مَضْجَعًا لِفَتَاةٍ صِدْقٍ حَوَى غَرَرَ الْفَضَائِلِ إِذْ حَوَاهَا
 لَقَدْ كَانَتْ تَحُضُّ عَلَى الْمَعَالِي وَتَنْدُبُ لِلْمَكَارِمِ مَنْ أَبَاهَا
 وَقَدْ كَانَتْ بِأَفْقِ الْفَضْلِ شَمْسًا فَحَطَّتْهَا الْمَنِيَّةُ عَنْ ذُرَاهَا
 وَالْأَبْسَاسِ الْمُنُونِ مَلَى كَسُوفٍ فَهَلَّا فَضْلُهَا الْوَاقِي حِمَاهَا
 فَكَمْ أَحْيَتْ مَوَاهِبُهَا كَثِيبًا أَحْلَتْهُ النَّوَائِبُ فِي حِمَاهَا
 وَكَمْ رَبَّتْ بِأَنْعُمِهَا يَتِيمًا قَلَّتْهُ أُمُّهُ حَتَّى سَلَاهَا
 لَشِنْ مَاتَتْ فَمَا مَاتَتْ حُلَاهَا وَإِنْ أَوْدَتْ فَمَا أَوْدَى عُلَاهَا
 فَقَدْ أَبْقَتْ مَآثِرَ مُشْرِقَاتٍ تُخْبِرُ عَنْ عُلَاهَا فِي نَوَاهَا
 وَمَنْ يُنْجِبُ بِمِثْلِكَ يَا ابْنَ عَمِّي فَقَدْ ذَخَرَ الْمَحَامِدَ وَاقْتَنَاهَا

أَجُورًا لَا يُحَاطُ بِمُنْتَهَاهَا
سَيَسْقِينَا الرَّدَىٰ مِمَّا سَقَاهَا
وَقَدَّسَ رُوحَهَا وَسَقَىٰ ثَرَاهَا
إِلَيْهَا مَا تَأَرَّجَ مِنْ شَذَاهَا

تَجَلَّدَ وَاحْتَسِبَ وَاصْبِرْ لِيُتَعَطَىٰ
وَلَا تَحْزَنْ فَإِنَّا عَنْ قَرِيبٍ
جَزَاهَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْ حَصَانٍ
وَلَا زَالَتْ جِنَانُ الْخُلْدِ تُهْدَىٰ

وقال يرثي الإمام أبا علي اليوسي رحمه الله :

قَبْلَ أَنْ يَقْضَىٰ مِمَّا فَجَعَا
ذَابَ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّي جَزَعَا
مَاتَ فِيهِ الْعِلْمُ وَالِدَيْنُ مَعَا
أَحَدٍ قَدْ سَدَّ مِنْهُ مَوْضِعَا
أَتَكَلَّ الْعَالَمُ فِيهِ أَجْمَعَا
أَيَّ رُكْنٍ لِرِشَادٍ ضَعُفَا
حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ بَرًّا أَوْ رَعَا
مَنْ لَخَلَقَ اللَّهُ طُرًّا وَسِعَا
رَحُبْتُ لِمَا نَعَاهُ مَنْ نَعَىٰ
يَنْفَعُ الْمُشْكَلَ أَلَّا يَسْمَعَا
بَعْدَ مَا طَافَ وَلَبَّىٰ وَسَعَىٰ
ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّىٰ وَدَعَا

يَا جَمِيلَ الصَّبْرِ لَبٌّ مَنْ دَعَا
لَبٌّ شَخْصًا جَزَعًا مِنْ مَوْتٍ مَنْ
وَاحْتَسِبَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ أَمْرًا
وَاقْتَصِرْ وَاللَّهُ مَا يُلْقَاكَ مِنْ
أَقْصَدَ الْيُوسَىٰ سَهْمٌ مِنْ رَدَىٰ
ضَعُفَ الْمَوْتُ الْإِمَامَ الْأَرْوَعا
حَجٌّ مِنْهُ بَيْتَ عِلْمٍ إِثْرٌ مَا
وَسِعَتْ حُفْرَةُ قَبْرِ ضَيْقٍ
ضَاقَتْ الْأَرْضُ بِنَا وَهِيَ الَّتِي
فَتَصَامَمْنَا وَهَيْهَاتَ فَمَا
بَأْنِي مَنْ زَارَ قَبْرَ الْمُصْطَفَىٰ
وَأَنْشَنَىٰ تَكْدِفُهُ أَنْوَارُهُ

وقال :

مِنَّا إِذَا لُبُّهُ مِنَ الْجَوَىٰ طَاشَا
وَأُرْعِشَتْ كِبِدُ الْعِلْيَاءِ إِرْعَاشَا

مَاتَ الْحَفِيفُ. فَمَنْ يَحْفَظُ. مَنْ عَاشَا
مَاتَ الْحَفِيفُ. فَظُلُّ الْمَجْدِ مُخْتَبَلَا

مات الحفيظ. وكان العيش منه سني
 وبطشت بالنهي أيدى النوى بتكت
 كانت بطلعته الأيام تؤنسنا
 وألبستنا وكان الزهو ملبسنا
 يا بدر مجد لوان الله أنساه
 قد جلّ فقدك أن يبقى من خلد
 وجلّ فخرك أن يدرى فنحصىه
 فما عرفناك إلا بالذى شهدت
 وما رأيناك إلا مثل رؤيتنا
 وما شهدناك إلا بالبصائر لا
 خمشت بعدك وجه المنع من جزع
 أفرخت ما باض من همى وقد ملأت
 بالبوح بالنوح ترويحاً على شجن
 معتصماً ببقايا الصبر من كمد
 فالمرء سهم وذاك السهم حليته
 فإن رمته الليالى وهى رامية
 أما الذى سوف أهديه إلى جدث
 فنسمات تحيات يغار لها

فأغطشت عيشنا الأنكاد إغطاشا
 إن النوى كان بالألأباب بطاشا
 فأبدلتنا من الإيناس إيحاشا
 حزناً يهيج لنا مبهكى وإجهاشا
 ما أدهشتنا صروف الدهر إدهاشا
 إذ جلّ قدرك أن ترضى بمن عاشا
 حاشا لفخرك من إحصائنا حاشا
 به المزايا وفضل كان جيّاشا
 شمس الظهيرة إذ ما نورها جاشا
 ببصر يدرى الأخيار أو باشا
 إذ كان موتك وجه الصبر خمّاشا
 عقبانته من ذرى الأحشاء أعشاشا
 قد أمجشت ناره فى القلب إمجاشا
 أودى بمعظمه إذا الحشا حاشا
 بأن يرى بخوافى الصبر مرتاشا
 لم يلف عن هدف التأيد طيّاشا
 حللته تنعش الأموات إنعاشا
 روض الربى بات فيه الطل رشاشا

وقال فى رثاء الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسى رحمه الله

مات الرضى شيخنا الفاسى مصطحباً
 مات محمد المحمود سائرُهُ
 ليلسرو والصون والتأييد فى الطلب
 إذ سائرُ الناس معلولٌ من الريب

مات الصَّدوقُ الأَمِينُ البرُّ مُعْتَزلاً
 مات فَأَحْيَا عَظِيمَ الحُزنِ أَعْظَمَ مَنْ
 مَنْ للمعارفِ يُحْيِيهَا وقد دَرَسَتْ
 مَنْ للحقائقِ يُنْشِئُهَا مُحَقِّقَةً
 مَنْ للنُّوادرِ يَحْكِيهَا مُحَبِّبَةً
 لَمْ يَحْتَسِبْ بَعْدَكَ الْباقُونَ فِي تَعَبٍ
 وَلَنْ يُصَابُوا بِرُزْءٍ مِثْلِهِ أَبَداً
 هَلْ أَنْتَ ذَاكِرُنَا عِنْدَ الْإِلَهِ وَمَا
 فَبَيْنَنَا رَحِمٌ يَرَعَى أَذِمَّتْهَا
 وَبَيْنَنَا سَبَبٌ يُبْقِيهِ مُتَّصِلاً
 وَأَنْتَ ذَاكَ فَمَا أَعْرِفُ مِثْلَكَ فِي
 بَلْ أَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْعَصْرِ قَاطِبَةً
 وَلِلَّذِي تَأَهَّ فِي الْأَوْهَامِ تُرْشِدُهُ
 وَلِلَّذِي نَامَ فِي الْعِصْيَانِ تَوْقِظُهُ
 وَلِلَّذِي اعْتَصَصَ مِنْ مَعْنَى تَوْضُحِهِ
 فَرُبَّ بَكَرٍ مِنَ التَّأْلِيفِ مُؤْتَلِفٍ
 وَهَآءِذَا فَتَحَ (الْحَصْنُ الْحَصِينُ^(١)) بِهِ
 أَبْقَى لَهُ حُلُلَ التَّقْرِيطِ رَائِقَةً
 فَطَيَّبَ الرُّوحَ بِالرَّيْحَانِ مُعْتَصِداً
 وَلَا زَمَتَهُ تَحِيَّاتٌ نَوَاسِمُهَا

مَنْ كَانَ نَامُوسُهُ فِي الْخَبِّ ذَا خَبَبٍ
 أَمَاتَ كُلَّ دَوَاعِي اللِّهْوِ وَاللَّعِبِ
 مَنْ لِلطَّائِفِ يُبْدِيهَا وَلِلنَّخْبِ
 مَنْ لِلرَّقَائِقِ يُعْمِلُهَا بِلا تَعَبٍ
 مَنْ لِلدَّوَابِّ يُقْرِئُهَا وَلِلْكَتُبِ
 مِثْلَكَ فِي حَسَبٍ يَا خَيْرَ مُحْتَسِبٍ
 يَا خَيْرَ مُنْقَلِبٍ لَخَيْرِ مُنْقَلَبٍ
 خِلْدَاكَ تَنْسَى فَمَنْ تَذَكَّرَهُ لَمْ يَخْبِ
 مَنْ قَدْ رَعَتْهُ عَيُونُ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ
 مَنْ وَصَلَتْهُ الْعِلَا بِأَوْثَقِ السَّبَبِ
 مَا قَلْتُ بِالْحَقِّ فِي نَبْعٍ وَلَا غَرْبٍ
 أَنْشَأَكَ اللَّهُ لِلتَّفْرِيجِ لِلْكَرْبِ
 بِهِدَى مُحْتَسِبٍ لَا هَدَى مُكْتَسِبٍ
 بَعِزَمٍ مُنْتَسِبٍ لِلْحَقِّ مُنْتَصِبٍ
 حَتَّى يَصِيرَ سُنَى فِي عَيْنِ مُرْتَقِبٍ
 جَلَّاهُ فَوْقَ مَنَاصِتٍ مِنَ الْعَجَبِ
 مِنْ شَرْحِهِ فَانْتَهَى لِلْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
 فِي زِيٍّ مِرْطٍ مِنَ الْعِقْيَانِ مُنْسَجِبِ
 رُوحاً لَهُ بِغُرُورِ الْعَيْشِ لَمْ تَطْبِ
 تَحْيَا بِهَا أَرِيحِيَّاتٌ مِنَ الطَّرْبِ

وقال راثياً لإحدى السيدات :

سقى أمَّ العلاء وبنتَ مجدٍ
بحمد النَّاسِكين لها على ما
ومن عَظفٍ ومَرثِيَّةٍ لِخَلْقٍ
وذاك الزُّهْدُ ليس له نَظِيرُ
فأَمَكَنَها وواصلَ كلَّ وُضَلٍ
وقد برزتَ لها الدنيا قَديمًا
فما مَدَّتْ إليها عَيْنَ وُدٍّ
فأَبَصَرَتِ المنايا في مُناها
فما قَبِلَتْ لها هِبَةً هَوانًا
حَلَى مَنْ أَلْبَسَ التَّقوى رِداءً
ولم يَرَكْنَ إلى أَصلٍ وفَرَعٍ
على أَن لم تُعاشر غيرَ أُسَدٍ
وربَّتَها لِيُوثُ وَغَى ورَبَّتْ
وقد زادتَ بَمن ولدتَ عَلاءَ
بحدِّ سِيادةٍ مَعَهُ انْتِهاً
وما أَتَكَلَّتْ على ما أَسْسُوهُ
وما اغْتَرَّتْ بِما اعْتَرَّتْ أَناسُ
ولكن شَمَرَتْ لِأَجَلٍ دُخْرِ
فما يُدْرِى لها ثَلَمٌ بِغَرْبٍ
وقد سَعِدَتْ فَكانَ لها اتِّعاضٌ.

سحائبُ رَحمةٍ نَشأتْ بِحمدِ
حَوَتْ مِنْ خَصَلَتِي نُسْكَ زُهْدٍ
إِذا ما أَزَمَةُ طَرَقَتْ بِجَهْدٍ
لأنَّ الجَدَّ جادُها بِجدٍ
فأَعَيْتَهُ وَصَدَّتْ كُلَّ صَدٍّ
بزى مُحَرِّقٍ عمرو بنِ هِنْدٍ
نعم مَدَّتْ إِلَيْها عَيْنَ نَقْدٍ
وَكُلَّ هِباتِها بِظُروفِ رَدٍّ
لها وَتَقَدَّرًا لِإِعطاءِ مُكْدٍ
له مِنْ مُلْجِمِ التَّوفيقِ مُسَدٍ
وعِزَّةٍ وَالِدَيْنِ وَجَاهِ وُلْدٍ
وغيرِ أَساوِدٍ فَتَكَتْ بِأُسَدٍ
شُموسَ ممالكٍ وَنُجومَ سَعِدٍ
فما وَقَفَتْ بِمَنْ وَلَدَتْ بِحدِّ
لِجُمْلَتِها بِحَزَرٍ أَوْ بَعْدٍ
مِنَ المَأْثُورِ مِنْ حَسَبٍ وَمَجْدٍ
بِهِ مِنْ سُودِدٍ لِأَبٍ وَجَدِّ
تَحَوَّزُ بِهِ المَدَى عَنِ ساقِ جَدِّ
يُوهِنُها ولا صَدَأُ بِحدِّ
بِمَنْ شَقِيَّتْ على صَعَرٍ بِخدِّ

كذلك وما استكأنت حيث كانت
فلا برحت هبات الله جلّت
ولا عديمت بما وجدت سبيلاً
على حال لذي حلّ وعقد
مواهبه تهب لها بلحد
إلى الخيرات رُوح جنان خلد

وقال :

ذوى خضر الأفراح منذ ذوى الخضر
فلَمْ أَحْمَد الدنيا بلا نور أَحْمَد
ذوى قذوت آمالنا جلّ ما ذوى
على قبره قبر المكارم والعلا
فإن فاتنا تأخير وقتك فليكن
وذاك على قدر المصيبة إنّه
سنصبر حتى يجمع الصبر بيننا
عليك سلام الله يا عيشنا النضر
وهلّ يُحمد الليل البهيم بلا قمر
وكانت به الآمال يانعة الزهر
سلام سليم من شوائب من غدر
لنا منك فى التقديم أجر ومدخر
وحقّك أدهى ما أصيب به بشر
وفى الصبر لو يُقضى به خير مُفتخر

وقال راثياً الأمير زيدان بن السلطان مولاى إسماعيل :

أغدت زيادتنا إلى النقصان
أم كان كلُّ منهما فى حقّ ما
الأجر والوجد العظيم هما معاً
فإن التفت لذا عرفت بهاءه
فإذا ركنت له وذلك غايى
وصرخت مُحترقاً وصحت مؤلّها
زيدان نجل أبيه سرّ مليكنّا
زيدان زيد الخيل والفرسان
أم نقصنا قد صار للرجحان
جلب الأجر وفادح الأشجان
قد أوقفانى موقف الحيران
وبقاءه لولا غلّو الثانى
سالت غروب الدمع من أجفانى
يا دمع زذ سيلاً على زيدان
شمس الملوك الباهر السلطان
والخير خير المُفضل المنان

وَأَبَى الثَّنَاءَ الْحَرُّ يُنْبِتُهُ لَهُ
 نَبْكِيهِ مِلْءَ عِيُونِنَا وَقُلُوبِنَا
 نَبْكِي السَّخَى بِكُلِّ مَضْنُونٍ بِهِ
 نَبْكِي الْمُعْظَمَ أَجَرَ كُلِّ مُؤَمِّلٍ
 نَبْكِي الشَّرِيفَ الْمُحْضَ كُلَّ خِلَالِهِ
 نَبْكِي عُلَاهَ وَمَا لَنَا مِنْ طَاقَةٍ
 نَبْكِيهِ تَبْرِيدًا لِحَرِّ قُلُوبِنَا
 وَنَقُولُ إِثْرَ تَنْهَدٍ يُقْرِى الْجَوَى
 أَهْدَى إِلَهُ إِلَيْكَ كُلَّ تَحِيَّةٍ
 وَهَفَّتْ عَلَيْكَ نَوَاسِمُ الْغُفْرَانِ
 وَبَكَى عَلَيْكَ الْفَضْلُ حَقَّ بُكَائِهِ

حَقْلُ السَّخَاءِ بِوَابِلِ الْإِحْسَانِ
 نَبْكِيهِ بِالْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ
 نَبْكِي الْمُهَيْنِ الْعَيْنِ لِلْأَعْيَانِ
 لِعَطَائِهِ ذَى الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
 جَدَلٌ وَكُلُّ شُؤُونِهِ ذُو شَانِ
 تَوَفَى عُلَاهَ يُكَاذِبُهَا بَبِيَانِ
 بِمُحِبَّرِ الْأَلْحَانِ وَالْأَوْزَانِ
 طَلَبًا لِمَا يُرْضِيهِ مِنْ رِضْوَانِ
 مُحْفُوفَةٍ بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ
 تُزْجِي لَكَ الرَّحْمَاتِ مِنْ رَحْمَانِ
 وَالْفَضْلُ مِنْ يَبْكِيهِ لَيْسَ بِفَانِ

النصائح

جبل الدنيا رث

جبلُ الدُّنْيا ، يا مُبْتَغِيهِ رَثٌ
 والذلُّ في اَطْلَافِها مُنْبِتٌ
 قل للذي أَغْرَاهُ فيها الحَثُّ
 ونال منه وَعْثُها (١) والحَثُّ (٢)
 مُذْبِبانَ عنه وَعْثُها (٣) والحَثُّ (٤)
 مع أَنه يكفيه فيها الحَثُّ (٥)
 سَمِينُها عند الإله غَثٌ
 وشَهْدُها ما فيه إِلَّا الجَثُّ (٦)
 وأَبَواها ذِلَّةٌ وَخُبْتُ
 وَأَخَواها تَعَبٌ وَبَثٌ
 كَمْ باحِثٍ أَضْنَاهُ فيها البَحْثُ
 وراغِثٍ عَدَا عليه الرِّغْثُ (٧)
 مَنْ لَمْ يَنْلُها إِذْ عَلاهُ اللَّهْثُ
 فَرِيماً قَضَى عليه الجَهْثُ (٨)

-
- (١) الطريق الوعر .
 (٢) اليابس الحسن من الرمل .
 (٣) المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام .
 (٤) المترقق من الرمل والتراب .
 (٥) الخبز القفار .
 (٦) خروء العسل أى ما مات من النحل فيها .
 (٧) الرغث الرضاع ، ورغث كنع .
 (٨) الفزع أو الفضب أو الطرب وهذا هو المناسب هنا .

إِنَّ نَيْلَ مِنْهَا بَعْدَ كَدٍّ نَفَتْ
 عَاجِلَهُ مِنَ الِهْمومِ بَعَثُ^(١)
 سَيَّانَ فِيهَا وَالْمَالُ فَرَتْ
 مَنْ قُوَّتُهُ مَنْ بِهَا أَوْ فَتُ^(٢)
 وَمَنْ لَدَيْهِ نَعَمٌ وَحَرْتُ
 وَمَنْ دَهَاةَ كَسْبُهُ وَالْحَرْتُ^(٣)
 وَمَنْ عَدَا عَلَى يَدَيْهِ النَّبْتُ^(٤)
 لِأَنَّهَا لَيْسَ لَدَيْهَا لَبْتُ
 وَلَا يُطَالُ فِي ذَرَاهَا مَكْتُ
 فَسِيرْتُ شَفْهُهَا وَالْكَثُ
 وَيُخْتَلَى طِبَاقُهَا^(٥) وَالشَّتُ^(٦)
 وَيَنْقُضِي ذُكْرَانُهَا وَالْأُنْتُ
 وَالْمَوْتُ كُلُّ مَنْ بِهَا يَجُتُ
 وَالْمُنْتَقَى مِنْ بَزْهِمْ يَرْتُ
 ثُمَّتَ تَعَثُّو فِي حِلَاةِ الْعُتُ^(٧)
 أَيْنَ أَبُونَا آدَمُ وَشَيْئُ
 وَكُلُّ مَنْ هُوَ لِيُوْحِي حَدَثُ^(٨)
 أَيْنَ الْأَلَى عَلَى الرِّشَادِ حَتُّوا

-
- (١) جيش .
 (٢) الفَتْ شَحْمُ الحَنْظَلِ وَقَابِلُ بِهِ الْمَنْ الَّذِي هُوَ كَالْعَمَلِ .
 (٣) جَمْعُ الْمَالِ وَتَحْصِيلُهُ كَالْكَسْبِ .
 (٤) النَّبْتُ ، وَالْمَرَادُ الْجَدُّ فِي الطَّلَبِ .
 (٥ و ٦) نَوْعَانِ مِنَ الشَّجَرِ وَمَعْنَى يُخْتَلَى يَقْطَعُ .
 (٧) جَمْعُ عَثَّةٍ : الْأَرْضُ تَلْحَسُ الثِّيَابَ .
 (٨) حَسَنُ الْحَدِيثِ كَثِيرُهُ .

وَأَظْهَرُوا أَسْرَارَهَا وَبَيَّنُّوا
 وَفَسَّرُوا عَوِيصَهُ وَنَشُّوا
 وَأَعْذَرُوا إِلَى الْأَلَى أَغْثُوا (١)
 أَيْنَ الْأَلَى عَلَى الدُّنَا أَلَّشُوا (٢)
 فَارْتَحَلُوا وَمَا بِهَا أَلَّشُوا
 بَلْ حَمَلَتْهُمْ لِلْمُنُونِ دُلْتُ (٣)
 ثُمَّ اسْتَرَدَّهُمْ إِلَيْهِ الْجِنْتُ (٤)
 وَهُوَ التُّرَابُ كَنَّهُمْ فَرَّثُوا
 فَلِحُلَاهُ بِحُلَاهُمْ غَلَّتْ (٥)
 وَلَهُ بِالْفُرُوثِ مِنْهُمْ غَيْثٌ (٦)
 وَسَيُجْمَعُ الْجَمِيعُ الْبَعْثُ
 وَلِلشَّدَائِدِ هُنَاكَ كَرْتُ (٧)
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَذُنُوبِي شَعْتُ (٨)
 وَالْفِعْلُ وَالْقَوْلُ ذَمِيمٌ غَثٌ
 أَلِيَّ مِنْ حَرِّ السَّعِيرِ وَطَثٌ (٩)
 وَمَنْ عَظِيمٌ مَا حَمَلْتُ جَأْتُ (١٠)
 وَعَنْ مَوَارِدِ النَّجَاةِ رَبَّتُ (١١)

(١) أَتَوْا يَغْثُ الْحَدِيثُ أَيْ فَاسَدَهُ .

(٢) الْخَوَالِثُ بِمَعْنَى أَقَامُوا .

(٣) النَّوَقُ السَّرِيمَةُ ، جَمْعُ دَلَاثٍ .

(٤) الْأَصْلُ وَأَصْلُ الْإِنْسَانِ مِنْ تَرَابٍ كَمَا قَالَ وَهُوَ التُّرَابُ .

(٥) خَلَطَ .

(٦) لَثٌ كَمَا يَلُثُ السَّوِيقُ .

(٧) إِسَاءَةٌ .

(٨) مَنْتَشَرَةٌ .

(٩) ضَرْبٌ شَدِيدٌ .

(١٠) ثَقُلَ وَشَدَّةٌ .

(١١) مَنَعَ وَحَبَسَ .

وَبِعِصَى الْهَالِكِينَ وَلَتْ^(١)
 أُمُّ بِالرُّضَى وَالْعَفْوُ قَدْ أُحِبَّ^(٢)
 فَلِي إِذَنْ إِلَى الْجَنَانِ نَقَتْ^(٣)
 وَفِي حِيَاضِ الْمُتَبَهِّجِينَ مَرَّتْ^(٤)
 وَمِنْ قُطُوفِ الْخَالِدِينَ دَأْتُ^(٥)
 وَبِمِنَادِيلِ النَّعِيمِ مَثَّ^(٦)
 رُحْمَاكَ قَدْ جَنَى عَلَى الرَّفَثِ^(٧)
 وَلِي بِأَضْغَاثِ الضَّلَالِ ضَبِثْتُ^(٨)
 وَزَنْدُ رُشْدِي مَا سَلَاہَ عَلَتْ^(٩)
 فَلِلْسَدَادِ بِالْفَسَادِ عَلَتْ^(١٠)
 فَإِنْ تَوَاخَذْنِي فَصُنْعِي كَثُ^(١١)
 وَإِنْ يَكُنْ لِي فِي رِضَاكَ مَغْثُ^(١٢)
 فَالْعَفْوُ يَا رَبُّ لَدَيْكَ جِنْتُ^(١٣)
 حَاشَاكَ أَنْ يَمْنَعَ مِنْهُ هَيْثُ^(١٤)

-
- (١) ضرب .
 (٢) أى أعامل وهذا لازم معافى مث .
 (٣) إسراع .
 (٤) من مرثته فى الماء أنقعه .
 (٥) أكل .
 (٦) مسح .
 (٧) ضرب والأضغاث حزمات من الحشيش .
 (٨) علث الزند واعتلث لم يور ، فعنى ما سلاه لم يفارقه الحبو وعلث الثانية بمعنى خلط كغلث المتقلمة .
 (٩) غرق .
 (١٠) إعطاء الشيء اليسير .

أصلح بين نفسك والسجايا

أَقُولُ لِمَنْ يَصِيخُ إِلَى اصْطِرَاحٍ
لَأَمْرِ اللَّهِ رَبِّكَ جَلًّا فاقصد
وأصلح بين نفسك والسَّجَايَا م
تَوَقَّ الشَّرَّ لَا تَضْمِرْ لظَاهُهُ
وَعَرِضُكَ كُنْ بِهِ أَبَدًا ضَمِينًا
سَخَاءَكَ إِنَّ عَرِضُكَ لَيْسَ يَنْقُ
وَبِالتَّقْوَى عَلَى الْأَزْمَاتِ تَقْوَى
وَلَا تَشْمَخْ بِأَنْفِكَ يَا ابْنَ طِينٍ
وَأَنْضِجْ مَا رَأَيْتَ بِنَارِ فِكْرٍ
وَفَكْرٍ فِي انْتِهَاءٍ فِي ابْتِدَاءٍ
فَإِنْ أَبَدَى السَّدَادَ سَرَّاجُ ذَهْنٍ
وَدِينُكَ لَنْ يَزِينَكَ غَيْرُ دِينٍ
وَذِيلَ مُرْوَةٍ فَاسْحَبْ وَجَانِبِ
وَبِالْإِغْضَاءِ فَاقْتَنْصِ الْمَزَايَا
وَبِالْعِلْمِ انْتَهِجْ سُبُلَ الْمَعَالِي
تَعَفَّفْ فَالْعَفَافُ أَجَلُّ حَلِيٍّ

فَخَيْرُ الْقَوْلِ يَرْسَخُ فِي الصَّمَاخِ
أَجَلُّ النَّاسِ مَنْ لِلْأَمْرِ وَآخِ (١)
الَّتِي تُرْجَى النِّجَاةُ بِهَا وَآخِ
فَشَرُّ النَّاسِ مَنْ لِلشَّرِّ سَاخِ (٢)
أَخْسُ الْخَلْقِ مَنْ بِالْعَرِضِ سَاخِ
وَبِذَلِكَ لَا يُجِيبُ أَخَا اصْطِرَاحِ
فَأَهْوَنَ بِالرِّجَالِ بِلَا طُبَاخِ (٣)
فَبَيْسَ الْمَرْءِ شَخْصٌ ذُو جَفَاخِ (٤)
فَإِنَّ الْأَكْلَ مِنْ بَعْدِ اطِّبَاخِ
وَشَاوَرُ ذَا الدَّهَاءِ لَدَى التَّيَخَاخِ (٥)
فَأَخَوْفُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّرَاخِي
فَرَاغٍ تَكُنْ لِأَنْفِ الْخُسْرِ لَاحِ (٦)
تَعَشَّ بَرًّا مَوْدَةَ ذِي انْتِفَاخِ
عَنِ الْعَوْرَاءِ فَهُوَ مِنَ الْفَخَاخِ
فَإِنَّ ظِلَامَ لَيْلِ الْجَهْلِ طَاخِ
إِذَا مَا الْفَقْرُ عَمَّكَ بِالنُّضَاخِ (٧)

(١) قاصد من وصى الأمر قصده .

(٢) موقد .

(٣) بلا فائدة .

(٤) كبر وفخر .

(٥) اختلاط الأمر واشتباؤه .

(٦) مسعط .

(٧) من نفض النبل والنبل في العد وفرقها .

ووفر ماء وجهك لا ترقه
 لَعْرُوبٌ يُجىءُ الشرُّ يوماً
 أخفُّ على الفتى من عرف قدمِ
 ورَبُّ الكوخ والقصر المعلى
 وبيض السرِّ لا تُفرخه يوماً
 ولا نخضم^(٥) لخلقٍ قط. عرضاً
 وسمُ أفراسٍ صبرك بارتياضٍ
 وأعدد للزمان لباساً بأسٍ
 ووافقهم ورافقهم ولكن
 وبالله استعن واستغن عنهم
 وحكمهم انبذن فكلُّ حكمٍ
 بذمُّون الفقير فإن آتاه
 ويطرون الغنى فإن تردى
 فكن بالله ربَّ النَّاس طراً
 وأقدام افتقار الخلق فيه

ترد ماء المَحامد ذا انتِصاخ^(١)
 لِمُخْتَبِه فيمري بامتخاخ^(٢)
 بمن على الوضوخ^(٣) من النُّقاخ^(٤)
 سواء والزَّمان إلى انسلاخِ
 فشرُّ السرِّ سرُّ ذو فراخِ
 فيبقى العرض منك بلا اتِّساخِ
 وسمُ أضراس غدرك بامتِلاخِ^(٦)
 وكُن في النَّاسِ صَقْرًا في الأراخِ^(٧)
 مُرافَقَةً البَيَادِق للرخاخِ
 يحن رأس المذلة بانشداخِ
 لهم يجرى على أيدي انفساخِ
 غنى أطروه بالقول الجلاخِ^(٨)
 بفقر فهو مهجورُ المناخِ
 فغير الله ظلُّ ذو انتِساخِ
 لبارهم - علّا - ذاتُ ارتساخِ

(١) من نضخ الماء اشتد فورانه من ينبوعه .

(٢) العرّوب من الرجل معروف ، ويحيى من أجاه إذا أجاه ، والحة القطعة من المخ ويمري يستخرج ، والامتخاخ إخراج المخ من العظم ، وهذا مأخوذ من قولهم في المثل : شرما أجاهك إلى حجة عرّوب يضرب عند طلب المعروف من اللئيم لأن العرّوب لا مخ له والنّاظم قطع النظر عن المثل وجعل امتخاخ العرّوب أخف من رجاء القدم . وكان في الأصل « لعرّوب » والله كم نغاف من أمثال هذا المسخ في النسخة التي بأيدينا .

(٣) الماء في الدلو إلى نصفها .

(٤) الماء البارد الصافي .

(٥) الخضم القطع والأكل بمنتهى الأضراس .

(٦) امتلح الشيء اختلعه وانزع .

(٧) جمع أرخة وهي بقر الوحش وكأنه يريد معنى هذا البيت :

نحن بزاة الطير لا نصاد من رام صيداً فبنا يصطاد

(٨) من قولهم : سيلٌ جلاخ ، أى كثير .

تصن رأسَ اليقين من امتصاخ^(١)
يُطْلَقُ الهوانُ بلا تراخٍ
فعذبُ الماءِ يأجُنُ في السِّباخِ
ودع شعراً يضاف إلى قِلاخِ^(٢)
تجدها كالغناء مع الصُّراخِ

إلهك فاذكر دائماً ودع البذا
يبيع بأفلاذ الزُّجاج زُرُداً
وبالجد لا بالكُد كُن مُتلوذاً
فلن تجدى عندي لأخذكِ مأخذاً
تجد بعده طعم الحياة طبرزداً^(٥)
ويُلْبِسُكَ من نسج المذلة مشوذاً^(٦)
فأخبث لمن بالذل يوماً تشوذاً
فأغبي الورى من كان منهم مُطرزداً^(٧)
وإلا يجد سهم الردى لك منفذاً
وذذ بالسخاء الذم عنك وأشقذاً^(٨)
وإلا فقد تبلى ولا تُلَفِ مُنقذاً

فلا تُسند لغير الله نفعاً
وطلق بنتَ ضيرك أم دفر
ولا تحلّل محلاً فيه لؤم
ودونك فاقتبس منها علوماً
وزنها بالمنظم من كلام
لنَجَدَنِي مَكْرُ اللَّثَامِ

ألا قل لمن يبغي إلى العز منفذاً
ولا تشتري الدنيا بدينك ساء من
وقل للعيون الناظرات لها امرهى^(٣)
وقل للدنايا خامرى^(٤) أم عامر
وإياك والقدم الخسيس فجافه
فإنك إن لم تتد يدريك الحنا
تعمم بعز وهو صبر وعفة
وصدق بفضلٍ ذا تقول تكن فتى
ونفسك جاهدها إذا ما تمردت
ووفر ببذل الوفر عرضك من أذى
ولكن بقصد واجتناب تبذر

(١) من امتصخ الشيء ، انتزعه من جوف شيء آخر .

(٢) قِلاخ : لقب لعدة شعراء .

(٣) مرهت عينه فسدت وأبيضت أجفانها من ترك الكحل .

(٤) أى استترى ، وأم عامر الضمير ، ويضرب بها المثل في الحق لأنها تسمع الدم فتبرز طمعاً في

الصبيد فتصاد .

(٥) الطبرزد : السكر .

(٦) المشوذ الهمزة ، وتشوذ تعميم .

(٧) الذى يقول ولا يفعل .

(٨) أشقذه : طرده .

فَسَلْ عَنْ أَذَاهُمْ أَحْذَرًا مُجَرَّدًا (١)
 تَمَعَّدَ فِيهِمْ بَعْدَ مَا قَدْ تَبَغَّدَا (٢)
 وَمَا الْكَيْدُ إِلَّا مَا أَخَا الْعِلْمَ نَجْدًا
 وَأَعْظَمَ يَخَبُّ كَانَ لِلْبَّ مِشْحَدًا
 أَوْلُئِكَ كُلٌّ فِي حِمَى الْمَكْرِ هَرَبْدًا (٣)
 قَلَوَكَ وَإِنْ كُنْتَ الْعَلِيمَ الْمَنْجَدًا
 عَلَيْهِ وَكَانُوا بِالْحِمَى مِنْهُ لَوْذَا
 فَعَمَّضَ عُيُونَ الصَّبْرِ مِنْكَ عَلَى قَدَى
 لَهُمْ يُحْسِرُ فِي أَرْضِ الْهَوَانِ مُنْبَدًا
 تَسْعَعُرُ مِنْ وَجْدٍ سِبَابَهُمْ أَنْبَدًا
 أَحَدٌ الظُّبَى وَقَعًا عَلَيْهِ وَأَنْفَدَا
 نَبَذَ الَّذِي بِالْغَى مِنْهُمْ تَعَوَّدَا
 فَذَمُّهُمْ مَدْحٌ وَمَذْحُهُمْ بَذَا
 كَمَا لَا تَكُنْ مُرًّا فَتُلْعَقُ وَتُنْبَدَا
 تَدُسُّ خَدَّ مَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ مُفْخِدًا (٤)
 وَكُنْ لِلَّذِي وَشَّتْ يَدَاها مُنْفِدًا
 إِذَا طَمَّ سَبِيلَ الْعِزِّ صَمَّ صَدَا الْأَذَى

وَجَنَّبَ بَنِي الدُّنْيَا يُجَنِّبُكَ كَيْدَهُمْ
 فَسَلْ عَنْ بَنِي الدُّنْيَا عَلِيمًا بِحَالِهِمْ
 لَنَجِدْنِي (٥) مَكْرُ اللَّثَامِ وَكَيْدُهُمْ
 وَأَرْهَفَ سَيْفَ اللَّبِّ رِبْذَةً (٦) خَبَّهُمْ
 وَلَا سِيَّما مَنْ يَدْعَى الْعِلْمَ مِنْهُمْ
 إِذَا أَبْصَرُوا شَرِيانَ فَقَرِكَ نَائِضًا
 وَإِنْ هُمْ رَأَوْا لِلْقَدَمِ وَفَرًّا تَسَاقَطُوا
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَبْقَى قَدَى فِي عُيُونِهِمْ
 فَمَنْ لَمْ يُكَابِدْ حِرَّةً (٧) تَحْتَ قِرَّةٍ
 وَإِنْ سَرَّكَ الْمَحْيَا وَنَارُ قُلُوبِهِمْ
 لَتَرَّكَ سَبَابِ النَّذْلِ كَانَ أَمْضَ مِنْ
 تَعَوَّذَ بِحَبْلِ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالتَّقَى
 وَلَا تَلْتَفِتْ مِنْهُمْ لِمَدْحٍ وَلَا هِجَا
 وَلَا تَكُ حُلُودًا تُسْتَرْطَ بِحُلُوقِهِمْ
 وَجَاهِدْهُمْ بِاللَّهِ رَبِّكَ وَحْدَهُ
 فَخُذْهَا تَهَادَى فِي مُلَاعَةِ حِكْمَةٍ
 تَرَى الْعِزَّ يَجْتَاحُ الْهَوَانَ بَعْضُهُ

(١) الأحوذى : الكيس والمجرذ الحرب المحنك .

(٢) أى افتقر بعد الغنى .

(٣) هو كقول سحيم : أخو خمسين مجتمع أشدى
 أى علمنى وهذبى .

(٤) الرِبْذَةُ : خرقة يجلو بها الصائغ الحلى .

(٥) مثنى الهرْبِذَةِ : وهى سِرٌّ دون الخَبِّبِ .

(٦) هو من قولهم : رماه الله بالحرَّة تحت القرَّة ، يعنى : أعطاه زمان البرد .

(٧) فخرهم تفخيذاً خذلهم وفقرهم .

الموت أفنى القرون

قُلْ لِلَّذِي لَا يَنْتَهَى عَنْ فَحْشِهِ أَأَمَنْتَ مِنْ مَكْرِ الْإِلَهِ وَبَطْشِهِ
 أَمْ أَنْتَ مِنْ غَرَضِ الْمَنُونِ بِمَعْزِلٍ لَمْ تَكْتَرِثْ بِسَهَامِهِ وَبِنَجْشِهِ (١)
 كَلَّا لَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي لَهَوَاتِ مَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْمَاضِيَاتِ بِدَبْشِهِ (٢)
 وَعَدَا عَلَى عَادٍ وَشَدَّادٍ وَلُقْمَانٍ وَأَرْدَى نَسْرَهُ فِي عُشِّهِ
 وَابْنَى بَغِيضٍ رَضَّ كَابِنَى وَائِلٍ وَعَدِيدُهُمْ فَاقَ الْحَصَى فِي فَرَشِهِ (٣)
 مِنْ كُلِّ مَنْ مَلَأَ الْمَلَأَ مِنْ مَالِهِ إِذْ ضَاقُ وَاسِعُ فَرَشِهِ عَنْ فَرَشِهِ
 طَحَنَتْهُمْ أَضْرَاسُهُ طَحْنَ الرَّحَى مَرَّتْ عَلَى يَبَسِ الْحَصِيدِ وَهَشِّهِ
 لَمْ تَبْقَ وَاسْتَفْسِرَ شُهُودُ الْحَسَنِ مِنْ أَسَدٍ إِذَا رَكِبَ الْمَطَا مِنْ هَشِّهِ (٤)
 وَمُقَلَّدٍ بِالْمَكْرِ خَبٌّ حَوْلٍ يَسْبِي الْعُقُولَ بِظَاهِرٍ مِنْ هَشِّهِ
 وَمَمْنَعٍ بِجُنُودِهِ وَبُنُودِهِ شَقِيقَتُ عِدَاةِ بَجِيشِهِ وَبِجَاشِهِ
 وَمُرُوعٍ وَمُصَدَّعٍ وَمُلْفَعٍ بِالْهَمِّ أَضْنَاهُ الزَّمَانُ بِنَهَشِهِ
 وَمُتِّيمٍ بِحَلِيلِهِ وَضَلِيلِهِ صَبَّ بِمَا أَبْدَى الْهَوَى مِنْ رَقَشِهِ
 وَمُدَّمٍ جَادَتْ يَدَاهُ بِعَرَضِهِ إِذْ ضَنَّ مِمَّا قَدْ حَوَاهُ بِقَمَشِهِ (٥)
 وَمُودِبٍ وَمُهَذَّبٍ وَمُشَدَّبٍ عِلَامَةُ رَوْضِ الرِّشَادِ مَحْشِهِ (٦)
 وَمُجَدِّدٍ وَمُنْجِدٍ وَمُسَدِّدٍ مَجْدَامَةُ مُفْنَى الْفَسَادِ مَجْشِهِ (٧)
 لَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهِمْ إِلَّا سُمَى مَنْ قَدْ سَمَا عَنْ خُبِّهِ أَوْ فُحْشِهِ
 أَوْ ضُرِّهِ أَوْ غَدْرِهِ أَوْ شَرِّهِ أَوْ مَكْرِهِ أَوْ كِيدِهِ أَوْ غِشِّهِ

(١) يَبْشُهُ وَسَرَعَتُهُ .

(٢) الدَّبَشُ الْأَكْلُ .

(٣) الْفَرْشُ الْفَضَاءُ الْوَاسِعُ وَالْفَرَاشُ وَالزَّرْعُ وَصَغَارُ الْإِبِلِ وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَفِيهَا يَلِيهِ بِهِ

وَبِمَا يَمْلِكُهُ .

(٤) فَرَسُهُ .

(٥) بِجَمْعِهِ .

(٦) الْحَشَّ الْمَكَانَ الْكَثِيرَ الْحَشِيشِ .

(٧) الْمَجْشُ الرَّحَى .

أَوْ هَمَزَهُ أَوْ غَمَزَهُ أَوْ لَحَزَهُ
 مِنْ فَاضِلٍ عَمَّ الْوَرَى بِنَوَالِهِ
 أَوْ عَادِلٍ لَيْسَتْ تَلِينُ قَنَاتُهُ
 أَوْ عَالِمٍ طَلَعَتْ شُمُوسُ عِلْمِهِ
 أَوْ شَاعِرٍ رَقَّتْ حَوَاشِي طَبْعِهِ
 أَوْ صَابِرٍ فِي النَّائِبَاتِ مُرَزٍّ
 أَوْ عَابِدٍ يُنْضِي مَطِيَّةَ لَيْلِهِ
 فَبَسِيرِهِمْ سِرٌّ سَاحِبًا بُرْدَ التَّقَى
 وَالْبَسَّ جَلَابِيبَ الْعَفَافِ وَرَيْطَهُ
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا
 وَاللَّهُ خَفٌّ وَارِجُ رِضَاهُ وَبَطْشُهُ
 أَجْدَرُ بِمَنْ يَرْجُو وَيَخْشَى اللَّهَ أَنْ
 وَاشْكُرْ إِلَهَكَ دَائِمًا فَالْفَوْزُ فِي

أَوْ رَجَزَهُ أَوْ رَجَسَهُ أَوْ نَجَسَهُ
 لَمْ يَأْلُ فِي صَيْدِ الشَّنَاءِ وَحَرِثِهِ (١)
 جَاثٍ عَلَى كُرْسَى الصَّوَابِ وَعَرْشِهِ (٢)
 مِنْ تَحْتِ كُرْسِيِّ الرَّشَادِ وَعَرْشِهِ
 يَنْحَاشُ عَنْ وَحْشِ الْكَلَامِ وَوَحْشِهِ
 ثَبِتَ عَلَى كَدَشِ الزَّمَانِ وَخَدَشِهِ (٣)
 وَنَهَارِهِ حَادِي النِّشَاطِ بِكَدَشِهِ (٤)
 إِنْ شِئْتَ تُوقَى مِنْ عَنَّاكَ وَكَدَشِهِ
 وَانْقَشَ عِفَاقَكَ بِالْحَيَاءِ وَوَشِّهِ
 وَصْنِ امْتِهَانِكَ بِالْوَقَارِ وَغَشِّهِ
 وَارْكَبْ مَطَا دُهُمِ السَّدَادِ وَبُرْشِهِ
 يَرْقُ إِلَى غُرْفِ الْجِنَانِ بِنَعْشِهِ
 شَكَرَ الْإِلَهَ عَلَى سَحَائِبِ نَعْشِهِ (٥)

الأيام أراقم

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا أَرَاقِمُ
 يَعَالِجُ مِنْهَا الْمَرُءُ كَيْدَ مُنَافِقٍ
 كَمَا اخْرُتَبِقَ الْأَفْعَى لِنَبَاعِ دَفْعَةٍ
 وَيُعْلَمُ مَا فِي طَبْعِهَا بِامْتِحَانِهَا

وَإِنْ بَرَزْتَ فِي زِيٍّ زُخْرِفَهَا الْغَضُّ
 تُرِيهِ ابْتِسَامًا وَهِيَ تَغْلَى مِنَ الْبُغْضِ
 فَلَا تَحْسِبَنَّ الْأَيَّامَ أَطْرُقَ مِنْ غَضٍّ
 كَمَا يُدْرِكُ الدَّاءُ الدَّافِينَ مِنَ النَّبْضِ

(١) الخرش يستعمل غالباً في صيد الضب .

(٢) العرش سرير الملك وسقف البيت وركن الشيء وهو هذين المعنيين في البيت الثاني .

(٣) الكدش الجرح - والخذش أثره .

(٤) الكدش هنا بمعنى السوق والطرْد ، وفي البيت الثاني بمعنى السعي للكسب .

(٥) مصدر نَعَشَهُ بمعنى جَبَرَهُ وَأَقَامَهُ .

لَذَّ بِالذِّى يُشْكِيكَ

لَذَّ بِالذِّى يُشْكِيكَ إِنْ تَشْكُ
وَالنَّاسُ كُلُّ طَوْعِ قُدْرَتِهِ
وَعَلَيْهِ فَاَعْتَمَدْنَ أَخَا ثِقَةٍ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَحْمُ أَبَدًا
وَكُنْ الْغَنَى بِمَا لَدَيْهِ تَرِدْ
وَاحْمَدِهِ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
وَاشْكُرْهُ إِنْ أَسَدَى إِلَيْكَ يَدًا
وَلَهُ التَّصَرُّفُ جَلَّ وَالْمُلْكُ
سَيِّئَانِ فِيهَا الْعَبْدُ وَالْمَلِكُ
إِنْ مَسَّكَ الْإِقْوَاءُ وَالنَّهْكَ^(١)
حَوْلَ الَّذِي بِقَضَائِهِ يُشْكُو
صَفْوَ الْيَقِينِ وَيَنْتَفِ الشُّكُ
حَمْدًا يَطِيبُ بِعَرَفِهِ الْمِسْكُ
تَنْلُ الْغِنَى وَيَعْلُكُ النَّسْكُ

(١) الإقواء والنهك من عيوب القافية ومعناها الفقر والجهد .

الإخوانيات

رسالة شوق

كتبتُ وبى وجدُّ يهيجُ تذكري
ونقتُ أسطاراً على ظهر مُهرقٍ
لمن غاض صبرى من نواه وهزنى
وموجبهُ إهداءً أزكى تحيةٍ
تمرُّ على روضٍ أنيقٍ وتنشئني
فتعربُ عن شوقٍ ثوى بأضالعي
وإني وإن شطَّ المزارُ أحبتي
أحنُّ وأصبو كلَّ حينٍ إليكمُ
أجودُ به كيما يُبردَ لوعتي
عسى من قضى بالبين يجمعُ بيننا
فنمرحُ في أكناف عيش مُنعمٍ
ودونك منى حلةً عبقريةً

على طرس كافور بحبر كعنبرٍ
كما راقَ تطريز بثوب مُحبرٍ
إليه اشتياقُ كالفنا المتأطرٍ
إليكمُ كعرف الندِّ ضاع بمجمرٍ
تهبُّ بأنفاس كرياً اليلنفرِ
وعن كبدى الحرى وطرفى المُسهرِ
صفاء ودادى لم يُشب بتكدرٍ
وأطرُ دمعاً كالغمام الكنهورِ
فيضرمُّها مثلاً الجحيم المُسعرِ
وينظمُّنا فى سلك عزٍّ مؤزرٍ
ونسرحُ فى روض السُرور المنصرِ
معطرةً الأذيال حُفَّت بجوهرِ

جواب

أتانا النظمُ يبهجُ كاللآلى
تحدانا بمُعجزه خبيرُ
فما أحلى العتابَ به ولكن
معاذَ الله أبخسُ حقَّ خِلُ

تروقُ بجيد ربّاتِ الحِجَالِ
بأسرار البلاغة والكمالِ
مضمَّنه يُعدُّ من المُحالِ
يمتُّ إلى بالسَّحر الحلالِ

عَلِيٌّ ذِي الْمَنَاقِبِ وَالْخِصَالِ
 عَلَيْنَا فِي الْإِخَاءِ بِالْإِتِّصَالِ
 عُذِيْتُ بِحُبِّهِمْ مُنْذُ الْفِصَالِ
 سَلَامٌ تَسْتَعِمُّ بِهِ الْقَوَالِ
 أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا ذَا الْمَعَالِ
 فَقَلْبِي مِنْ وَدَادِكَ غَيْرُ سَالِ
 لِمَا يُرْضَى الْإِخَاءَ مِنَ الْوَصَالِ
 مِنَ الْمَعْنَى السَّخِيفِ بِالْإِرْتِجَالِ
 وَفِكْرِي بِالْبَلَاغَةِ غَيْرُ حَالِ

وَبِالْمَوْلَى أَبِي الْحَسَنِ الْمُعَلَّى
 فَكُونُكَ مِنْ ذُرَا الْأَحْبَابِ قَاضٍ
 أَلَسْتُ مِنْ بَنِي تِطْوَانَ مَنْ قَدْ
 عَلَيْهِمْ مَا هَفَمَا رِيحُ الشَّمَالِ
 خُصُوصاً شَيْخُنَا رَبُّ الْمَعَالِ
 فَشُدَّ يَدِ الضَّنَيْنِ عَلَيَّ وَدَادِي
 وَلَكِنْ لَمْ تُسَاعِدْنِي اللَّيَالِي
 وَسَامِحْ مَا تَضَمَّنَهُ قَرِيضِي
 فَشَغَرِي مِنْ بَدِيعِ الْقَوْلِ خَالِ

نَسِيَّةٌ عَنْ دُخُولِ السِّجْنِ

لَا تَجْزَعَنَّ فَمَا يَطُولُ مُقَامُهَا
 إِنَّ الْبُدُورَ يَزِينُهَا تَغْيَامُهَا
 إِنَّ اللَّيْثَ مَقْرُهَا آجَامُهَا
 كَيْلَا يَضِيرَكَ نَبْلُهَا وَسِهَامُهَا
 هَمَلًا وَيُقْنَصُ وَرْقُهَا وَيَمَامُهَا
 فَهِنَّ^(١) الْخُطُوبُ يَهْنُ عَلَيْكَ مَرَامُهَا

نُوبُ الدُّنَى قَدْ أَرَهَقَتْكَ سِهَامُهَا
 مَا لِنْ يَشِينُكَ بَلْ يَزِينُكَ خَطْبُهَا
 هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا حَبَسَتْ لَرِيْبَةٍ
 حَجَبُوا سَنَاْمَ آكَ عَنْ حَذَقِ الْوَرَى
 أَوْ مَا تَرَى الْأَطْيَارَ يُتْرَكُ وَخَشْمُهَا
 فِي سِجْنِ يُوسَفَ لِلْمَبْرَأِ أُسُوهَا

هَمْنَا بِشَعْرِكَ

أَجَابَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ صَدِيقُهُ الْأَدِيبُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَى مَنَدُوصَةٍ وَكَانَ كَتَبَ
 لَهُ بِنَظِيرَتِهَا :

وَسَقَانِ كَاسَاتٍ مِنَ الْهَجْرَانِ

قَسَمًا بِمَنْ بِالْصَدِّقِ أَضْنَانِي

(١) فِيهِ اسْتِمَالُ الْإِذَاْم عَلَى الْمُتَعَدَّى .

وغدا يمزقُ مُهَجَّتِي بِلِحَاطِهِ
 ما أَنْتِ إِلَّا حَائِزُ خَصْلِ الْعُلا
 يَا بَنَ الْأُلَى هَمَعَتْ سَحَابُ أَكْفِهِمْ
 وَعَدَوْا عَلَى الْأَبْطَالِ فِي صَهْوَاتِهِمْ
 مِنْ كُلِّ قَرْمٍ بِاسِلٍ يَوْمَ الْوَغَى
 هِمْنًا بِشِعْرِكَ بَلْ بِسُحْرِكَ فَانْشَنَتْ
 مَا شِئْتُ مِنْ لَفْظٍ أَرَقَّ مِنَ الْهَوَى
 وَبَدِيعَ مَعْنَى كَالنَّسِيمِ لَطَافَةً
 مَا الْبُحْتُرَى وَأَبُو فَرَّاسٍ وَالْبَهَا
 حُزْتَ الْبَرَاةَ وَالْيَرَاةَ وَالْعُلَا
 وَالنِّكْهَا تُسَدُّ إِلَيْكَ تَحِيَّةً
 مَا اهْتَاجَ قُمْرِيٌّ بِأَفْنَانِ الرَّبِّي

وَكَسَانِ ثَوْبِي ذِلَّةً وَهَوَانِ
 مُتَقَلِّدٌ بِأَلَايِ التَّبْيَانِ
 وَتَوَشَّحُوا بِمُثَقِّفِ الْمُرَانِ
 وَنَمُوا إِلَى عَدْنَانٍ أَوْ قِمْحَانِ
 بَادَى الشُّرُورِ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
 أَلْبَابُنَا سَكْرَى بِخَمْرِ بَيَانِ
 وَالَّذِ فِي الْأَسْمَاعِ مِنْ عِيدَانِ
 أَحْلَى مِنَ الرَّشَفَاتِ مِنْ غِزْلَانِ
 بَارَقَ مِنْكَ وَلَا الْفَتَى الْهَمْدَانِ
 وَسَبَقْتَ فِي مِضْمَارِ هَذَا الشَّانِ
 أَذْكَى شِدًّا مِنْ نَفْحَةِ الْبُسْتَانِ
 وَتَمَاسَّتْ هَيْفًا غَصُونُ الْبَانِ

رعى الله أحباباً بتطوران

قالها في التشوق إلى تطوان ومن بها من الأحباب وخاصة الأديب أبا يعقوب

الشويدري :

قَفَا حَدَّثَانِي عَنْ مَعَانٍ وَأَرْبُعِ
 فَبَانَةِ جَرَعَاءِ الْحِمَى الْفُظِّبَائِهِ
 وَعَنْ ذِي حَبَابٍ بِالرِّيَاضِ مُسَلْسَلِ
 فَشَبَّهُ بِهِ وَالشَّمْسُ رَاقٍ أَصِيلُهَا

بِجَزَعِ النَّقَا بَيْنَ الْعِضَابِ فَأَنْقَعَ
 فَأَرَامِهِ اللَّاتِي رَتَعْنَ بِأَضْلَعِي
 يَسِيعُ^(١) كَمَا انْسَابَ الْحَبَابُ بِأَجْرَعِ
 جُمَانًا عَلَى سَيْفٍ بِتَبِيرٍ مُلْفَعِ

سَقَى مَرْتَعِ الْأَحْبَابِ دِيمَةً وَكَفَى
وَإِنِّي وَإِنْ أَمْسَيْتُ فِي فَاَسَ ثَاوِيًا
دِيَارُ أَنَاخِ الْحُسْنُ فِي عَرَصَاتِهَا
إِذَا نَفَحَتْ مِنْ جَانِبِ الْجَوْفِ نَفْحَةً
حَنِينًا إِلَى تِلْكَ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى
رَعَى اللَّهُ أَحْبَابًا بَتَطْوَانٍ كُلَّمَا
أَحْبَابُنَا فِيهَا هَلِ الدَّهْرُ سَامِحٌ
وَهَلِ لِي فِي الْكِتَانِ نُزْهَةٌ وَامِقٌ
فِيَا نَهَرَ الْكِتَانِ جَادَتْكَ دِيمَةً
وَيَا مَنْزَلَ الْأَحْبَابِ لَا زِلْتَ آهَلًا
وَيَا جُمْلَةَ الْأَحْبَابِ مَنِيَّ عَلَيْكُمْ
لَئِنْ فَرَّقَ الْبَيْنَ الْمُشِيتُ انْتِظَامَنَا
شَكِيعَتُ^(٤) بَلِيلِ الْهَمِّ حَتَّى تَفَرَّحْتَ
وَضَعُضَاعُ^(٥) جَسْمِي ضَعُضَعْتَهُ بِلَابِلِي
سَابَكِي لِشَعْشَاعِ الْغَرَامِ الَّذِي هَوَتْ
وَأَصْبُو إِلَى أَهْلِ الصِّفَا كُلَّمَا هَفَا
إِلَى حَيْثُ مَاءُ الْمَكْرُمَاتِ مُسْلَسَلٌ
وَرَوْضُ الْمُتَى فِي عَطْفَةٍ وَتَهْدُلُ

(١) جمع شعيلة وهي النار .

(٢) الشرجع : النعش .

(٣) زائل متفرق .

(٤) شكيم المريض أن وضجر .

(٥) الضضع والضضع الضعيف من كل شيء .

(٦) تصيع الماء اضطرب وهاج .

لَهُ لُجَجٌ يَشْتَاقُهَا كُلُّ مُنْقَعٍ ^(١)
 وَلَيْمَ لَا وَقَدْ أَرَبَى عَلَى كُلِّ مَصْطَعٍ ^(٢)
 يُصِيبُ بِشُهْبِ الشَّعْرِ كُلِّ هَمْلَعٍ ^(٣)
 قَفَا حَدَّثَانِي عَنْ مَغَانٍ وَأَرْبَعٍ

وَحَيْثُ أَبُو يَعْقُوبَ بَحْرُ بِلَاغَةٍ
 هُمَامٌ بِهِ تَطْوَانُ زَادَتْ مُحَاسِنًا
 فَلَا زَالَ فِي أَفْقِ الْبِلَاغَةِ كَوَكْبًا
 عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَالَ نَازِحُ

مراجعة

فِي مَدَى حَائِزِي الْمَعَانِي الرَّقَاقِ
 أَطْرَبْتَنِي نَفَائِسُ الْأَعْلَاقِ
 أَعْجَبْتَنِي جَوَاهِرُ الْأَطْوَاقِ
 رَقَهُ نَارُ مِجْمَرِ الْأَشْوَاقِ
 هُ لِيُخَمِّدَ مِنْ لَهَبِ اشْتِيَاقِ
 إِذْ تَنَسَّمْتُ عَرَفَ قُرْبِ التَّلَاقِ
 رَفَعَ تَعْذِينَا بِنَارِ الْفِرَاقِ

يَا أَخِي الصَّالِحَ ^(٤) الْكَثِيرَ السَّبَاقِ
 أَطْرَبْتَنِي أَلْفَاظُكُمْ وَقَدِيمًا
 أَعْجَبْتَنِي أَبْيَاتُكُمْ وَقَدِيمًا
 ضَاعَ قُسْطُ السَّلَامِ مِنْهَا وَقَدْ أَحْ
 وَأَثَارَتْ مَا لَمْ يَكُنْ عَلِيمَ اللَّهِ
 غَيْرَ أَنِّي نَسِيتُ طُولَ الْفِرَاقِ
 وَرَجَوْتُ الْإِلَهَ سُبْحَانَهُ فِي

في وصف شعر

مَحَاسِنَ مِنْ أَهْوَى تَلُوحِ ثُغُورِهِ
 وَرَقَّتُهُ قَدْ ضَمَّنَتْهَا خُصُورُهُ
 إِذَا لَاحَ وَالتَّفَّتْ عَلَيْهِ شُعُورُهُ
 أَمِيرُ كَلَامِ النَّاسِ بَلْ هُوَ نُورُهُ

يُذَكِّرُنِي هَذَا الْقَرِيضُ وَنُورُهُ
 فَعِزَّتُهُ قَدْ أَشْرَبَتْهَا طِبَاعُهُ
 وَإِشْرَاقُهُ فِي النَّفْسِ نُورُ جَبِينِهِ
 وَأَوْصَافُهُ مِنْ بَعْدُ تَقْضِي بَأَنَّهُ

(١) المنقوع الريان .

(٢) الفصيح البليغ .

(٣) من لا وفاء له ولا يدوم على عهد .

(٤) هو السيد الصالح بن المعطي الشريقي .

مُكَاتِبَةٌ

كَتَبْتُ إِلَى عِيسَى الشَّرِيفِ مُسْلِمًا
وَحَمَلْتُ رَكْبًا قَدْ نَوَّهَ تَحِيَّةً
مُضَمَّنُهَا حَمْدٌ وَمُوجِبُهَا هَوًى
عَلَيْهِ عَلَى ذِي غَرَّةٍ تُخْجِلُ الْقَمَرَ
يَضُوعُ بِهَا أَفْقُ الْجَزَائِرِ فِي السَّحَرِ
وَأَنْفَاسُهَا مِسْكٌ وَالْفَاطُهَا دُرٌّ

فِي ذَرَا تَطَوَّانٍ

يَا ذَوِي وَدَّيَ يَا أَهْلَ الْعُلَا
أَسْمِعُونِي كُلَّ مَعْشُوقِ الْحُلَى
بِمَدِيحِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى
أَسْمِعُونِي مِنْ نَقَاوَاتِ^(١) الْمَدِيحِ
بَلْحُونِ تَلْبِيسِ الْقَلْبِ الْقَرِيحِ
فِي طَيْرِ الْقَلْبِ مِنْهَا فِي مَلَا
يَعْتَلِي مِنْ زَهْوٍ أَيْ اعْتِلَا
يَجْتَلِي مِنْ سِرِّهِ أَيْ اجْتَلَا
يَجْتَلِي مِنْ سِرِّهِ فِي جَهْرِهِ
وَيَرَى مِنْ طَيْهِ فِي نَشْرِهِ
فَهُوَ لَا يَجْنَحُ إِلَّا لِلْعُلَا
قَائِلًا مَهْمَا عَرَاهُ مَا عَرَا
صَلِّ يَا رَبَّ الْوَرَى دَابًّا عَلَى
فِي ذَرَا تَطَوَّانٍ
طَيْبِ الْأَلْحَانِ
سَيِّدِ الْأَكْوَانِ
رَائِقِ الْأَشْعَارِ
حُلَلِ الْأَنْوَارِ
تُخْلِقُ الْأَحْزَانَ
فِي سَمَا السُّلُوفِ
غَايَةِ الْإِحْسَانِ
مُورِثِ الْبُقْيَا
مَالِي الدُّنْيَا
شَأْنُ أَهْلِ الشَّانِ
مِنْ حِلَى النَّشْوَانِ
سَيِّدِ الْأَكْوَانِ

* * *

(١) نقاوة الشيء خلاصته وبخياره .

تمَّ المنتخبُ - بحمد الله - وقد أغضينا كثيرا وتساهلنا فوق ما يظن حتى جاء هذا الحجم .

ولم يبق في الديوان إلا الغثُّ المتهافت والتافه الذى لا غناء فيه من هذه الأنظام المتكلفة والتوسُّلات التى لا مِسَّاس لها بالشاعرية فضلاً عن أنها بدعة في الدين !

وقد يلاحظ القارئ أننا لم نعنون القصائد والأبيات التى قالها ابن زاكور في أشخاص معيَّنين ، حيث إن لها مناسبات ينبغى أن تذكر ولا يغنى عنها العنوان . وإننا لم نتتبع ألفاظ الأشعار كلها بالشرح ، والواقع أننا اكتفينا بالشكل عن كثير من الشرح لأنَّه - ولا ريب يُعين على الفهم - ولم نشرح إلاَّ الغريب النادر الذى توقفنا فيه أو قدرنا أن القارئ يتوقف فيه . ونشكر لدار المعارف عنايتها بإخراجه في هذه الحلة الجميلة من التصحيح الكامل والطبع الأنيق ؛ وتلك سنة أعرفها من أخزَم ويعرفها الناس .

انتهى .

فهرس على الموضوعات

الصفحة

٥	المقدمة (فى الأدب المغربى)
٨	ترجمة ابن زاكور
١٩	نثره
٢٠	شعره
٢٣	ترتيب المنتخب
٢٥	خطبة الديوان لآبن زاكور
٢٧	المديح
٨٦	الربيعيات والزهریات .
٩٨	الغزل
١١٤	الرثاء
١٢١	النصائح
١٣٢	الإخوانيات
١٣٨	خاتمة

فهرس أبجدى للقصائد والأبيات

الصفحة

(حرف الهمة)

٢٧

ديوان حبك بالتوفيق مبتدأ

(حرف الباء)

٧٤

هذا هلال المغرب

٩٥

لمطة فيها التين والعنب .

٩٦

بتا غزوت قد غزونا العنبا .

٩٨

رحبت بي في النوم ثم قالت كيف أنت يا سيدى وحيبي

٩٨

ماذا التهاجر يا منى القلب

٩٨

أشكو إلى الله السميع الحبيب .

٩٩

رُبَّ من صادنى وبرَّخ بي

١١٦

مات الرضى شيخنا الفاسى مصطحبا للسر والصون والتأييد فى الطلب

(حرف التاء)

٢٧

البحر قد أبدى سنا نضرته

٣٠

نظمت حلى المبدى جميل الصفات

٨٦

جاء الأصيل محى قتيل النائبات .

٩٩

ذاب قلبى من الصدود ولولا ما أرجى من الوصال قضيت

١١١

عللوني بالوصل قبل الممات

(حرف الناء)

١٢١

جبل الدنى يا مبتغية رث

(حرف الجيم)

- ٨٦ الروض في الصباح . . . كيفية العلاج
 ١٠٠ يا مثيراً في حشا الصب الشجي
 ١٠٠ ولقد ذكرتُكِ بالرُّبِّي من لمطة ونسيمها يهدى إلى أريجها
 ١٠٠ ذكرتُكِ والبحر طلق المحيَّاً على متنه رونق وابتهاج

(حرف الحاء)

- ٨٧ وعشية ما كان آتق حسنها تبلى فتاوى بالسنا الوضاح
 ٨٧ سرح جياذ اللحظ في ذى البطاح
 ٨٨ كُنْ عاذلي فالنشر فاح من الأفاق
 ١٠٠ هل لصب من لملك المزدري بسلاف الراح

(حرف الخاء)

- ١٢٥ أقول لمن يصيخ إلى اصطراخ .

(حرف الدال)

- ٣٢ يا حسنه والحسن قيّد .
 ٣٨ أملئ الهنا والسعد ردّد .
 ٧٩ يا من ألحّ علىّ في الإنشاد
 ٨٢ كل يوم لك عيد الودود
 ٨٣ صلاة السميع العليم . . . يتيمة عقد الوجود .
 ٨٨ أرسل جياذ النظر . . . زبد المنى السعد
 ١١٨ سقى أم العلاء وبنت مجد

(حرف الذال)

- ١٢٧ ألا قل لمن يبغى إلى العز منفذا

- ٤٠ أرف الرحيل فخاننى صبرى
 ٤٢ لى الله كم قلبى يذوب من الذكرى
 ٤٤ حى على الأنس إن طيف الهموم سرى
 ٤٥ لإلم فؤادى يذوب زفيرا
 ٤٧ يا ليلة الميلاد . . . بنور شمس البشر .
 ٧٤ أبى القصر إلا أن يحوز العلا قسرا
 ٨٥ أحرف أربع شفت داء صدرى
 ٨٩ وجه الصباح تلالآت أنواره
 ٨٩ مد للسلوان أشراك النظر .
 ٩٠ حدث عرف الصبا عن نفحة الزهر
 ٩٠ النور الأصفر يبدى ثغوره
 ٩١ جل صنيع . . . غصون أشجاره .
 ١٠١ يا راعى الله ليال قد خلت كلال فى سلوك من نضار
 ١٠١ من علم الغزلان الفتك بالليث الجرى
 ١٠٣ أدر الكاسات من خمر اللعس يا لها من راح تحكى الجلنار
 ١١٣ صبرت للصد حتى عيل مصطبرى
 ١١٩ ذوى خضر الأفراح منذ ذوى الخضر
 ١٣٢ كتبت وبى وجد يهيج تذكرى
 ١٣٦ يذكرفى هذا القريض ونوره
 ١٣٧ كتبت إلى عيسى الشريف مسلما عليه على ذى غرة تخجل القمر .

- ٤٩ تعزرت بذى العز
 ٧٤ قرعت بنلى باب العزيز

٧٦ ماذا على العطار لو أهدي لنا نفحاته من جونة الأرجوزة
٩٦ إذا سحبت سحاب الله .

(حرف السين)

٧٨ فرجت من همتى ومن بوسى
٩٤ قد قطفنا ذهباً من سندس .
٩٤ قد اكتسى العريان من مائس الأغصان بالسندس
٩٥ لمطة فيها ما تحب النفوس

(حرف الشين)

١١٥ مات الحفيظ فن يحفظ من عاشا
١٢٩ قل للذى لا ينتهى عن فحشه

(حرف الصاد)

٦٥ أما رضاك عمومه وخصوصه

(حرف الضاد)

٦٦ لإلهى إن كانت فعلى لا تُرضى
٧٥ هذا ضريحك يا عياض
٩٦ إن روض الكيتان روض أريض
٩٧ أهدي لنا الخيرى فى الروضة
١٣٠ وما هذه الأيام إلا أراقم وإن برزت فى زى زخرفها الغض

(حرف الطاء)

٥١ ما للأحبة أسياف الجفا اخترطوا

(حرف الظاء)

١٠٤ أعدت نبالا للحشا وهى ألاحظ .

الصفحة	(حرف العين)
١٠٧	نسيم الصبا بلغ تحية مدنف إلى من به حلف الكآبة مولع
١١٥	يا جميل الصبر لبّ مَنْ دعا .
١٣٤	فها حدثاني عن مغان وأربع .

(حرف الغين)

٦٦	لئن كان ورد الخلد أبدع في الصبغ
----	---------------------------------

(حرف الفاء)

٦٧	شافتك آرام إلْف .
٩٣	أتلومني يا عاذلي في حسن هاتيك القطائف
١٠٧	إن الذي حاز مهجتي شغفا
١١٣	جل من أنشأ ظييا أهيفا

(حرف القاف)

٦٩	بكَ هذا المكان يا مَنْ فراقه .
٩٣	وعشية أذكى رواء جمالها بين الجوانح لاجع الأشواق
٩٣	ومثمرة بعيون الظباء تحلت بسندس أوراقها
٩٣	وافي الأصيل مذهب الأطواق .
١٠٨	من لي بأحور فاتر الإحداق .
١٠٨	بروحى من أودى بعقل حبه ولم تسلى عنه كؤوس رحيق .
١٣٦	يا أخى الصالح الكثير السباق .

(حرف الكاف)

١٣١	لذا بالذى يشكيك أن تشك .
-----	--------------------------

(حرف اللام)

- ٥٢ كم إذا تقرطسنى بسمر نبالها
 ٥٤ سلام مخجل عرف الغوالى
 ٥٤ مظنة لإتلاف المحب العواذل . . .
 ٥٧ حق الهنا والسرور . . . ليث الشرى فى الغيل
 ٥٨ زند سعد أورى . . . من عداه الردى نالوا
 ٨٠ يا بلجة علما وديمة نائل كلتاها مدد العلا قد عليها
 ٨٠ يا ابن الألى حوت المفاخر كلّاها
 ١٠٥ يا عاذلى ما أنت أول عاذل
 ١٠٥ أفدى رشاً للوصال قال
 ١٠٥ حكيت الخيال يجسمى النحيل
 ١٠٦ الحسن فيك قد اكتمل
 ١٣٢ أانا النظم يهرى كالآلى .

(حرف الميم)

- ٥٨ عن نور هديك ثغر الدهر مبتسم .
 ٥٩ ثغر السيادة قد تبسم
 ٦٠ هل لذى البعد من تدان يدوم .
 ٦١ ألا أيها القائد المجتبى ومن حاز فى المجد أسنى مقام .
 ٧٥ سلام الإله ورضوانه على قبركم يا أبا القاسم
 ٨١ لك البشرى بتيسير المرام
 ٩٢ ثغر الصباح تبسم
 ١٣٣ نوب الدنى قد أرهقتك سهامها .

حرف النون

- ٦١ تطوان ما أدرا كما تطوان
 ٦٢ عللانى فلقد جاء الصباح . . . سلوة المحزون .

الصفحة

٧٤	يا موالينا
٧٦	سلام عليكم والحوادث ألوان
٩٢	فصل المنى أقبل يفرج الأحزان
٩٦	جبل جللت ذراه الرياحين
١٠٦	قضى صرف الدهور بين العاشقين
١٠٦	عاهدونا على الوفاء
١١١	صاح ماذا التواني
١١٢	صبا نجد ألا هُبي علينا .
١١٩	أغدت زيادتنا إلى النقصان
١٣٣	قسما بمن بالصد قد أضناني .
١٣٧	يا ذوى ودى يا أهل العلا فى ذرا تطوان

(حرف الهاء)

٧٠	موصولة الأفراح رق طلالها
١٠٨	لى فى هوى المحبوب أعظم نشوة
١١٤	يا دار من أهوى رعاك الله
	هى الدنيا يغربنا سناها

(حرف الواو)

١٠٩	أهاجك بينهم إذ نأوا
-----	---------------------

(حرف الياء)

٧٢	أدام الله مولانا العلياً
٧٣	حدث عن مناقب . . . من جود الذى ساس البريا .
٧٤	بالقصر سادات ذوو هدى .
٩٤	حدث عن عجائب . . . زند الروية

تم طبع هذا الكتاب
على مطابع دار المعارف بمصر